

# علم الإنسان الدراسة السوسيولوجية



ثروت أسحق

استاذ مساعد علم اجتماع  
كلية آداب جامعة عين شمس



اهداءات ۲۰۰۱

ا.د. احمد ابو زيد

انٹرویوولوجی

# مَجْلَدُ الْإِنْسَانِ

والدراسة السوسيوأنثربولوجية

هَرُوتُ السَّحْمِيُّ

أستاذ مساعد علم الاجتماع

كلية الآداب — جامعة عين شمس



## الهدوء

الى طلابي الذين أسعد بصواري معهم •  
الذين ارى من خصال عيسونهم ، واجسد  
في عذوبة ابتساماتهم ، واتصور من معاشتي  
لحياتهم وجه مصر المشرق دائما •

ثروت اسحق



## مقدمة

شكرا لله فقد ساعدنى على تقديم هذه المجموعة من المقالات التى يمكن أن تعطى فكرة للقارئ من علم الانثروبولوجيا وتاريخه وفروعه الأساسية بينما استأثرت الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية وأبرز مجالات الدراسة على اهتمام واضح فى هذا المؤلف .

وقد حرص الباحث على أن تتبع المقالات النظرية بدراسات عقلية فى علم الإنسان - لمجتمعنا أو لمجتمعات أخرى - وقد أسهمت هذه لدراسات العقلية المقارنة فىلقاء الضوء على المقولات النظرية والمنهجية كما أسهمت فى توضيح الجوانب المختلفة للبناء الاجتماعى فى المجتمعات المدروسة موضوع الدراسة وقد اجتهد الباحث أن يقدم المقالات النظرية بصورة مبسطة والدراسات العقلية فى صورة مختصرة دونما الإغراق فى تفاصيل تؤدى الى ملل القارئ أو تزيد من حجم الكتاب ككل .

وقد خرج الكتاب فى صورته النهائية فى ٣ أبواب و ١٠ فصول تعرض الباب الأول لنشأة العلم وأبرز فروعه ( الفصلين الأول والثانى ) يتعرض الباب الثانى لمجالات الانثروبولوجيا وفروعها فيعرض الانثروبولوجيا الثقافية كما يعرض نموذجاً لأحد الظواهر الثقافية لى تم دراستها ( الفصل الثالث ) كما يتعرض الباحث فى الفصول التالية لأبرز المجالات فيعرض الفصل الرابع للانثروبولوجيا الريفية ، الخامس للانثروبولوجيا الحضرية والسادس للانثروبولوجيا الصناعية السابع للانثروبولوجيا الاقتصادية والثامن للانثروبولوجيا السياسية . قد استشهد الباحث هنا بالعديد من الدراسات العقلية للبناء وللانساق الاجتماعية .

وقد تضمن الباب الثالث والآخر عرضاً للاتجاه السوسيو - انثروبولوجى وأبرز أدواته كما عرض لأحدى الدراسات العقلية .

وينتهى الكتاب بعرض للأنثروبولوجيا الراديكالية .

وأتعشم في النهاية أن يفيد الطلاب من هذا المؤلف — الذى تمتزج فيه النظرية بالدراسات الحقلية — فى اجراء دراساتهم فى المستقبل لخدمة وطننا الحبيب .

والله ولى التوفيق ...

ثروت اسحق

١٩٨٨/٩/١١

## **الباب الأول**

### **علم الإنسان**

« ظروف النشأة وفروعه الأساسية »

**الفصل الأول : نشأة علم الأنثروبولوجيا**

**الفصل الثاني : علم الإنسان وفروعه**



## الفصل الأول

### « نشأة علم الأنثروبولوجيا »

لا تختلف ظروف نشأة هذا العلم عن ظروف نشأة غيره من العلوم غير أننا نبدأ بطرح التساؤلات التالية لفهم طبيعة هذا العلم وتقاليد و ظروف نشأته .

ما هي الأنثروبولوجيا ؟ لماذا ظهر هذا العلم ؟ وكيف ظهر ؟ وما هي أهدافه ؟ وما هي فروعه الأساسية ؟ وما هي أبرز مدارسها ؟

الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان ونحن كما يذكر عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي روبرت ميرف كائنات تظهر بصورة مؤقتة - وسريعة - على مسرح التاريخ الإنساني ودور عالم الأنثروبولوجيا هو وصف أو إفصاح الطرق الإنسانية التي ننتهجها في حياتنا فإذا كان الكثير من العلماء يدرسون السلوك الإنساني فإن الدراسة الأنثروبولوجية هي الدراسة الأكثر شمولاً لهذا السلوك في ضوء الزمان والمكان أو على حد تعبير ميرف :

«Only anthropology tries to see the Full panorama, in time and space».

**وكلمة أنثروبولوجيا Anthropology** مشتقة من الكلمة الإغريقية Anthropon أي الإنسان و logy بمعنى علم ويعني المصطلح حرفياً العلم الذي يدرس الإنسان حيث تهتم الأنثروبولوجيا الفيزيائية physical Anthropology بدراسة الإنسان ككائن حي لعملية التطور وتدرس الفروق بين السلالات البشرية ، كما تدرس الأنثروبولوجيا الثقافية un material culture المادية و غير المادية Social Anthropology بينما تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية Social Structure وشبكة العلاقات الاجتماعية بدراسة البناء الاجتماعي Net work of social relation ship.

## ومكذا تتولى الأنثروبولوجيا دراسة الإنسان من كافة جوانب حياته .

ومن الواضح أن عالم الأنثروبولوجيا الفيزيائية يستند للتاريخ من جهة وللدراسة المقارنة بين الجماعات البشرية من جهة ثانية ، ويتعاون مع العديد من أصحاب التخصصات الأخرى في دراسته الحقلية بينما يهتم عالم الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة الثقافة والتقاليد الفرعية بالنسبة للأشراخ السكانية والفئات المختلفة . أما عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية فيتولى دراسة العلاقات الاجتماعية على مستوى المجتمع المحلي والمجتمع الكبير .

أذن أن الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يحاول توضيح الطرق التي تنظم خلالها المجتمعات المختلفة ويتناول تحليل نظمها  
«It attempts to explain the ways in which various societies are organized and to analyze their institutions».

ومن الواضح أنه رغم التعدد المذهل للسلوك المقبول والأمراف في العالم الذي نعيش فيه فإن هناك ميلا مؤكدا لتشابه العديد من العادات وأنماط السلوك في مجتمعات مختلفة ، ولعل سير ادوارد تايلور sir Edward Tylor عالم الأنثروبولوجيا البريطاني كان رائدا في تطبيق هذه النظرية المنهجية المقارنة خلال القرن التاسع عشر وقد نهج فيها بعدد على نهجه الأنثروبولوجي الأمريكي جونيان ستيفارد Julian Steward حين حاول إلقاء الضوء على العلاقة الوثيقة بين الانساق الاجتماعية والمواقع التي تشب فيها .

وتهدف الأنثروبولوجيا إلى تعييننا كيفية إدراك المنطق الداخلي للثقافات وبخاصة تلك البعيدة والغريبة عنا .  
«Anthropology teaches us how to comprehend the internal logic of the cultures».

لماذا استؤمننا هذا الدرس جيدا فإن ما يبدو « لا عقلاني » أو « طائش » أو « خليع » في جماعة ( أخرى ) يمكن أن يرى — كما يذكر ميرف — باعتباره عقلاني أو له معنى ، كما أننا نتعلم على أقل تقدير أن نمسك أنفسنا عن الحكم على العادات الغريبة من واقع مفاهيمنا القبلية وهي الظاهرة المعروفة باسم التعصب السلالي Ethno Centerism لدى علماء الأنثروبولوجيا (٣) .

وقد ظهر هذا العلم أساسا نتيجة لحب الاستطلاع المتصل بالعبادات الغريبة للشعوب فهو تقديم قدم التاريخ نفسه ، ولذلك فإن الأبحاث الأولى ترجع الى مئات السنوات التي شهدت محاولات دراسة الانسان وتحليل سلوكه ففى مصر القديمة والصين واليونان وبابل بدأ الانسان يعمل جاهدا لدراسة مجتمعه وقد عبر عن ذلك من خلال الرسم والنقوش والكتابات والصور والتماثيل .

وعندما بدأت الفنون الكبرى على يد الاغريق والرومان والفرس والعرب كانت هناك غرضا كبيرة لكى يتعرف الانسان على سكان البلدان الأخرى وهكذا ظهرت كتابات هيرودوت اليونانى ولوكريوس الرومانى والأسقف أيزدور ومؤلفات الرحالة العرب كإبن خلدون ، والصوى والمسعودى ... الخ (٤) ، كما شهدت العصور الوسطى رحلات مارك بولو وكريستوفر كولومبوس وغيرهم .

ويطلق اسم عصر التنوير على العصر الذى سادت خلاله الفلسفة الناقدة للمجتمع الانطامى فى القرن السابع عشر اذ تم فى هذا القرن التأليف بين تيارين فلسفيين سائدين هما التيار العقلانى « الديكارتى » والتيار التجريبي لدى بيكون من خلال فلاسفة ورواد وضعموا ثقافتهم فى العقل والملاحظة الإمبريقية ، وشهد هذا القرن والقرن الذى يليه فلسفة نقدية — قادها لوك وهيوم وكانت — تعرضت للمجتمع الانطامى الذى كان يرى أن ليس فى الامكان أبدع مما كان وإن لا جدوى من محاولات التغيير القائمة وهكذا وضعت فلسفة التنوير الانسانى تحت مجهر العقل والملاحظة والدراسة المتعمقة .

وقد أدت الثورة الفرنسية والثورة الصناعية الى ردود أعمال واسعة كما استمرت شعلة فلسفة التنوير التى قادها هيغل وماركس فى مجال الفكر ، ومن ثمة ازدادت سرعة التغييرات الفكرية والمادية من خلال نمو الأحزاب الاشتراكية وتقلبات العمال فى القرب .

وخلال القرن التاسع عشر صاحب عصر التنوير بها حمله من « لبرالية فكرية » تبلت فى الفناء العبودية — بمناداة شارب وفورتنس وغيرهما — قيام رحلات علمية اتجهت الى أفريقيا على يد بارثولفنجستون منذ سنة ١٨٥٠ وسبق ذلك تأسيس الجمعية الاثنولوجية فى باريس سنة ١٨٣٩ والجمعية الاثنولوجية فى لندن سنة ١٨٤٣ غير أن كتابات هؤلاء الرحالة قد شابها الخيال والتباهى وكان لسان حالهم « نأتى اليهم بصفتنا متنين لعرق متفوق ... من أجل مرق ما زال فى الضيضى » .

وشهدت الفترة من ١٨٦٠ - ١٨٨٠ ازدهار ما يعرف « بالفترة التطورية » على يد باخوفن وتايلور ومورجان ممن اعتمدوا على ما يعرف « بالتاريخ الظنى » لتتبع تطور الأنظم الاجتماعية في المرحلة البربرية السابقة لمرحلة التمدن والحضارة Civilisation .

وخلال الحقبة الممتدة من ثمانينيات القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب الأولى أظهرت المستعمرات مقاومتها للاستعمار واضحا وأضحى بالنسبة لأبناء هذه المستعمرات صعوبة تبني ثقافة المستعمر ( دون قيد أو شرط ) غير أن هذه الحقيقة نفسها لم تزيد الحكام إلا إصراراً على أحكام التبعية على السكان ومصادق هذا أن بعض الحكام في إفريقيا أمثال كلوزال ولوغارد قد قاموا بتكليف بعض الرحالة أمثال دلاموس وكامرون بدراسة سكان هذه المستعمرات لضمان زيادة التأثير والاستعماري والإبقاء عليها .

وقد شهدت الفترة من ١٩٢٠ الى ١٩٣٠ محاولة تأهيل الإداريين والأنثروبولوجيين بهدف إجراء أبحاث خاصة وأكاديمية وهكذا لم تتمكن الأنثروبولوجيا الكلاسيكية - رغم نفوذها - أنكار أن الاستعمار لم يدعم خلبتها النظرية والحقبة كذلك (٥) .

ويؤرخ البعض (٦) لعلم الأنثروبولوجيا بظهور أميل دور كايم في فرنسا ويواز في أمريكا ومن بعدهما جيمس فريزر ومارسيل موس وماينوفسكى وبعبارة أخرى فإن أنشأة الأكاديمية لهذا العلم لا تتمدى مائة عام ولا يعنى هذا أن هؤلاء الرواد قد انفصلوا عن التراث الذى رسخه الآباء الأول أمثال مونتسكيو وتايلور ومن قبلهم الرحالة الذين قدموا إسهامات أساسية فالمعرفة العلمية تراكمية وقد استمرت المسيرة وقادها حتى منتصف القرن الحالى رانكليف براون وإيفانز برتشارد وغيرها .

غير أن الدراسة الحقلية المتعمقة التى تصد قداس اقداس علم الأنثروبولوجيا لم تبدأ بصورة جادة الا منذ نحو نصف قرن من الزمان ولكن كان انصار هذا العلم يتوقعون أن تكون البداية سابقة لهذا بعدة قرون إذ يذكر شتراوس أن المرء يستطيع أن يتخيل أن عام ١٥٥٨ كان هو العام المناسب لإنشاء كرسي الأنثروبولوجيا بالكوليج دى فرانس ( حيث تأسس هذا الكرسي سنة ١٩٥٨ ) ففى سنة ١٥٥٨ وضع جان ليرى أول كتاب له بعد عودته من رحلة البرازيل وظهر كذلك لاندريا تينى مؤلفا عن فرنسا القطبية الجنوبية (٧) .

ونحن نؤكد مع جيرارد لكيرك Gerard leclerk أن الحقيقة الممتدة من صدور كتاب روسو حول أصل اللامساواة سنة ١٧٥٤ حتى صدور كتابات كونفوسية سنة ١٩٧٤ قد شهدت رؤية نقدية في الصراع ضد الإقطاع ، وعلى مدى أكثر من ثلاثين عاما هاجم الكتاب بربرية الاسبان في الأمريكتين وصفقوا للجمهورية الناشئة في الولايات المتحدة والتي كانت تنشد الحرية والمساواة لاتباعها .

وقد شهدت الفترة الفاصلة بين القرن الثاني عشر والثاسع عشر ظهور بعض الكتابات التي قدمها البعض من أمثال دى جرنود من المجتمعات الإنسانية ومن هذه الوجهة بوسمنا أن نذكر سر اهتمام أوروبا بالقبائل البدائية بقصد التعرف على النوع الإنساني لاعادة تصور وتركيب التاريخ البشرى بأكمله نتيجة لذلك وتتبع تقدم الإنسان ومراحل هذا التطور ويوضح ذلك كوندرسيه بقوله : « أننا حين نحاول البحث فيها هو مشترك بين مختلف افراد الجنس البشرى ، وحين نتبع ذلك من جيل الى جيل نلذك يعنى الاهتمام بتقدم العقل الإنساني والتقدم هذا خاضع للقوانين العامة ... الخ » .

وهكذا لم يخاطر المفكرين في نهائية القرن الثامن عشر ادنى شك في أن افراد الشعوب البدائية المتوحشة هم المبتلون المعاصرون للإنسان الاول ، بل لقد بذل الرحالة جهودهم لاطهار الطوائف في سلوك سكان المجتمعات البدائية وابرار التناقضات في تصرفاتهم وأفكارهم التي تبدو أشد غرابة مما افوه أنفسهم أو درجوا على أتباعه وبينما حاول البعض السخرية أو تقديم الحلول الكفيلة بتقدم هؤلاء القوم من أمثال دى بوماراي P. de pumeraye الذى كان يتهم على ديانة شعوب داهبوت « حين ينكر بأن » الهم هو حيوان اسمه دابوى Daboue وهو يزحف على الأرض .. ويقتسونه من سواه » .

ذكر ألبعض الآخر أننا يجب أن ننكر أنه كان بإمكان هذه الشعوب أن تكون أكثر سعادة — وبغض النظر عن ديانتها — لو لم نأت نحن ( الاستعمار الغربى ) إليها ... (٨) .

وينكر حسين فهم أنه إذا كان عصر النهضة في أوروبا هو « كشف للعالم والإنسان » ففى هذا يكن موضوع الانثروبولوجيا وهدفها لذلك يجد المؤرخ لتاريخ الانثروبولوجيا أن لعصر النهضة ينابيعه الانثروبولوجية الاصلية والعميقة التي تتمثل في تحصيل المعرفة عن ثقافات لم يكن قد كشف النقاب عنها من قبل أو التوصل لنظرية تفسر أوجه الاختلافات

والتشابهات بين السلالات البشرية وبين الناتج الحضارى للشعوب ، كما أسهم عصر النهضة فى دفع حركة الكشف الجغرافية فى عصر النهضة ومن المعروف أن رحلة كرسطوفوكوليس كان لها تأثيرها البارز على التراث الأثنوبولوجى حيث حفلت مذكرات هذا الرحالة بالتفاصيل الأثنوجرافية التى يغلب عليها الطابع الموضوعى وتخلّى عن آلقاء الاتهام على عواهنه فهو يذكر « ومع أنه ليس لديهم دين لكنهم ليسوا وثنيين فهم يؤمنون أن القوة والخير توجدان فى السماء ... الخ » .

ولقد أوضحت **الكشوف الجغرافية** بجلالة حقيقة تنوع الجنس البشرى وانعكس هذا على ظهور نظريات عن أصل الإنسان الاحادى Monogenetic ومن تعدد الأصول الانسانية Polugenetic وتبلورت فكرة العودة إلى الماضى لفهم الحاضر وظهر ما يعرف بالمذهب الانسانى Humanism وشهد القرن التاسع عشر أيضا ازدهار التبادل التجارى وظهور الرأسمالية الحديثة التى دعت حركة الاستعمار دفعات قوية حتى كانت الحضارة الأوربية تسيطر ظلها على أنحاء المعمورة كلها وأدت الثورة الثقافية إلى خضوع التفكير للرؤية الواقعية المادية العلمية الصيغة التى انعكست منى الفلسفة الوضعية والفن الواقعى ، وولد علم الاجتماع على يد كونت بينما أسهمت الجمعيات العلمية مثل جمعية « ملاحظوا الإنسان Les deservateurs de L'homme فى باريس — والتى انتهت بتنظيم رحلات إلى الخارج للملاحظة الشعوب الأخرى سنة ١٨٠٠ -- والجمعية الأثنولوجية البريطانية سنة ١٨٤٣ التى تحولت فيما بعد إلى المعهد الملكى الأثنوبولوجى البريطانى وغيرها من الجمعيات المختلفة «Royal Anthropological institute of Great Britain and Ireland»

فى بلورة علم الإنسان ( الأثنوبولوجيا ) وظهرت مراكز البحوث الانسانية بدم من الحكومات ومن بينها مؤسسة سميثونيان الشهيرة سنة ١٩٤٦ بالولايات المتحدة الأمريكية التى لعبت دورا بارزا فى هذا الشأن .

كما أسهمت **المساحف** فى ظهور الأثنوبولوجيا فى الولايات المتحدة أسست جامعة هارفارد متحفا للأركيولوجى والأثنولوجيا تحت إشراف فريدريك بوتنام .

أما اندور الأكبر فقد لعبه الرحالة الذين كانوا يسعون لوصف تقاليد الشعوب التى زاروها فقد وصف الأب جيروم الاحباش وبوركهارت أهالى الشام والعرب بصفة عامة وتأثر الرحالة بالنظريات قوائم تحوى أسئلة عن المعلومات التى يريدون الإطلاع عليها إلى الأشخاص المقيمين

بين الشعوب البدائية للاجابة عليها ولعل من أهم هذه القوائم ما يعرف بمذكرات واستقصاءات في الانثروبولوجيا Notes and queries in Anthropology والتي نشرت سنة ١٨٧٤ (٩) .

ويعد اميل دوركايم الاب الروحي لعلماء الاجتماع والانثروبولوجيا معا فقد درس اميل دوركايم الانثروبولوجيا الثقافية والفولكلور ويمثل مؤلفه عن « الصور الاولى للحياة الحثية سنة ١٩١٢ آخر اعماله الهامة ، وقد حاول تطبيق مفاهيمه عن دور القوى المجتمعية في الدين — في اكثر مظاهره الاولى — حيث وقع اختياره على قبيلة « الارونسا » في استراليا لدراسة الدين مع ربطه بباقي نظم المجتمع وانساقه الاجتماعية.

وقد نفذت بصرة دوركايم الى هاليواسب Halbwachs وجان هاريسون J. Harrison وفرانسيس كورنفورد Cornford والانثروبولوجي كولوديليني ستراوس Strauss وديموزيل Dumezil الى الحد الذي جعل كوزر يؤكد : «He is, if not the father, then the grandfather of us all».

ومن المسلم به ان هناك ارتباطا وثيقا بين الانثروبولوجيا والدراسات الحقلية غير ان هذا لا يتناقى وما يؤكد ايفانز برتشارد كذلك من انه بدور النظريات والفروض « فلن يمكن القيام باى بحث انثروبولوجى لان الكشف عن الاشياء والصور عليها لا يتم الا بالبحث عنها » ( ١٠ ) . فالدراسة الحقلية غير الموجهة نظريا هي حشد غير منظم للوقائع لا فائدة ترجى منه .

وهكذا بدأ هذا العلم من خلال كتابات الرحالة الذين اهتموا بالقبائل والثقافات والشعوب الغريبة عنهم فاهتموا بتسجيل كل ما يقع تحت ايديهم من هؤلاء القوم وكانت أخلاق الرحالة وأمزجتهم واتجاهاتهم تصيب رؤيتهم وكتاباتهم عن البشر .

غير اننا لا نوافق ايفانز برتشارد في ان هذه الكتابات المتعمقة عن تلك الشعوب قد تبلورت منذ منتصف القرن السابع عشر (١١) ، فالكتابات التي قدمها الرحالة العرب لم يزرح الستار عنها حتى الآن (١٢) . ويستشهد البعض بما ذكره « كراثسونسكى » من فضل العرب في تطوير جميع العلوم ، حيث يصل الى نتيجة مؤداها بأن دور العرب واسهامهم في الصرح للانثروبولوجيا ما زال مغبونا اشد الغبن ويكتفه الغموض اذ ان كراثسونسكى كون يؤكد أن الرحالة العرب هم الذين مهدوا الطريق أمام الرحالة الغربيين وأمام الكشوف الجغرافية نفسها ومن هؤلاء الرحالة العرب

ابن فضلان الذى زار العديد من الاقطار ، والبيرونى الذى زاد الهند و قارن عاداتهم بادات الفرس واليونان والعرب واليهود والمجوس . وابن خلدون الذى تحدث عن العديد من عادات الشعوب والقبائل التى طاف بها ، وقد ساعد على ذلك اتساع رقعة الخلافة الاسلامية فى تلك الحقبة . قد وصف هؤلاء الرحالة اخلاص هؤلاء الشعوب وممارساتهم للسحر والتوتية ، والانراخ ، والاحتفالات الجنائزية وغيرها وربما اتفق هؤلاء الرحالة فى ربط العادات الاجتماعية بالثقافة العمة او بالنساء الاجتماعى - باستثناء حالات قليلة كما فى حالات ابن فضلان فى وصفه لعادات الزواج فى البلاد التركية وبلاد الصقالية والروس - غير انهم استخدموا فى جمع مادتهم الاثنوجرافية بعض الاساليب الانثروبولوجية كالملاحظة والاستماعة بالشخصيات الاخبارية فضلا من انهم قد ابرزوا الكثير من الانماط الثقافية لهذه البلدان .

ويتضح جدوى اسهام هؤلاء الرحالة العرب اذا عرفنا انه لم يكن احد من الآباء الاول لعلم الانثروبولوجيا حتى نهاية القرن التاسع عشر قد قام باى دراسة حقيقية حتى اطلق عليهم اصحاب المعاهد الوثيرة Archaire Anthropologists ( باستثناء مورجان ) ويذكر اينانز برتشارد على لسان وليام جيمس للتدليل على ذلك انه حين سأل جيمس فريزر sir James frazer عن الشعوب البدائية التى زارها صاح قائل « العياذ بالله » (١٣) .

ولقد بدأت الرحلات الانثروبولوجية فى الاصل فى امريكا وذلك حين قام بواز Boas بدراسة قبائل البافيين فى كولومبيا البريطانية ثم فى انجلترا حين قام هادون Haddon على راس بعثة جامعة كمبرج بدراسة منطقة مضائق توريس Torres فى المحيط الهادى الواقعة بين غينيا الجديدة وشمال استراليا وترتب على هذه الرحلة امرين :

١- بدء ظهور الانثروبولوجيا كعلم يحتاج للتخصص .

٢ - اعتبار الدراسة الحقيقية عنصرا جوهريا فى هذا العلم (١٤) .

ويرى غالبية علماء الانثروبولوجيا بأن المجتمعات « انساق طبيعية » تعتمد مكوناتها بعضها على البعض الآخر ويدخل كل جزء فى عقد من العلاقات بالنساء الاجتماعى يتكون من انساق Systems والحياة الاجتماعية يسودها نوع من الترتيب لا يتيسر ان تسير الحياة الاجتماعية بدونها . فكان للنظم والانساق الاجتماعية وظائف فى البناء الاجتماعى

الذى يتكون من علاقات اجتماعية مقررة (١٥) وعلى الرغم من أن البعض أمثال إيفانز برتشارد وشابيرا Schapera ولويس مير Maier يعتقدون بصورة واضحة على التاريخ فإن معظم علماء الأنثروبولوجيا « الوظيفية » الذين يركزون على الدراسة الآتية أو التزامنية Synchronic لمثال مالفينوفسكى Malinowski كانوا ينفرون من ذلك مما جعل تركيزهم الاساسى على العلاقات الاجتماعية أكثر من التحول Transition الذى تتعرض له الثقافة المادية وغير المادية إذ أن مالفينوفسكى يؤكد على التصور النسقى للوحدة والاداء الوظيفى دون الاهتمام بالبحث عن جذورها التاريخية ، ويعتقد البعض (١٦) أن الأنثروبولوجيا قد اصطفت في الحقة من منتصف عشرينيات هذا القرن الى منتصف الاربعينيات بالفكر « الوظيفى » حتى أن مصطلح الأنثروبولوجيا أصبح مرادفاً للأنثروبولوجيا الوظيفية وأدى ذلك لنتائج ايجابية وسلبية في الوقت نفسه فقد ازداد الاهتمام بمسألة التبادل بين النظم داخل الوحدة الاجتماعية في اطار زمانى ومكانى واحد وتلاشى الاهتمام باعادة بناء العملية التاريخية .

ولا معنى هذا أن على العالم الأنثروبولوجى استبعاد التاريخ تماماً فنحن نستبعد فقط جواز العودة الى أساس الحضارة الإنسانية أو للافكار التطورية الظنية المتصلة بظاهرة معينة كما أن التركيز الآن يؤكد على العمليات التى تتم أمام أعيننا بالنسبة للحاضر .

ومن المتفق عليه الآن أننا نلجأ الى التاريخ طالما نحن ندرس مجتمعات لها تاريخها المكتوب وآثارها التى يمكن دراستها أو الرجوع اليها (١٧) .

ويعد مالفينوفسكى كما أسلفنا من أوائل الذين حددوا شروط هذا العلم الجديد وقد اعتبر الأنثروبولوجيا دراسة للمجتمعات الأخرى غير الغربية في مواجهة الحضارة الغربية ، وهذه المواجهة الصريحة بما تحمله من احترام لبنيات الشعوب الأخرى كانت الشكل الاساسى لقيام هذا العلم فلا يسوغ أن نصف سلوكهم بالغرابة أو « اللاعقلانية » (١٨) .

وهكذا انطلقت الأنثروبولوجيا لتصبح نظرية تحليلية للمجتمع وأنساقه لا مجرد تجميع لوقائع مجزئة أو خيالية ، وبدأ علماء الأنثروبولوجيا يعلنون ما ذكره لوبرسيه دى لاريفير Dela Riviere أن اهتمامات المجتمعات البدائية ومصالحها لا تختلف كلياً عن اهتماماتنا وعن مصالحنا ... « أدخلوا الى الشعوب التى ما زالت مجهولة .. وقدموا انفسكم لها بطريقة لا تثيرهم ... الخ » . وتذكر لوسى مير في مؤلفها عن الأنثروبولوجيا

الاجتماعية أن على علماء الانثروبولوجي - تمشيا مع رأى أيلانزيرتشارد - أن يهتموا بالكشف عن انتظام الحياة الاجتماعية لا الوصول الى القوانين التي يخضع لها الناس .

كما أن لوسى مير توافق ليغي شتراوس على أننا ينبغي أيضا أن نهتم بالتاريخ وشواهد الماضي التي لها اثرها في تطور الانساق الاجتماعية في الحاضر فالتاريخ هنا يعد وسيلة لانتقاء الضوء على الحاضر دون أن نضيف له من عقديتنا العديد من التاويلات والتصورات .

واذا كانت الانثروبولوجيا شأنها في ذلك شأن علم الاجنماع قد نظرت الى الشعوب المنعزلة في العالم الثالث نظرة تعكس تنفى هذه الشعوب - في مقابل تقدم شوب اوربا الغربية والولايات المتحدة - وحاولت دراستها لاسبان استقلالها فان الحاجة ماسة اليوم لاستخدام مناهجها المبيدة والنوعية في الدراسة الحقيقية المتعمقة التي تجمع بين المنهج العلمى الرصين والفرقة الانسانية غير المتحيزة وهى الفرقة التى تناهض الاستعمار والفترة العنصرية وتسمى لفهم الإنسان المعاصر ومشكلاته في اطار شمولي من خلال الدراسة المقارنة للثقافات .

وغير خاف أن النظرة الكلاسيكية العنصرية التي خبثت على الدراسة الانثروبولوجية والتي كان من شأنها فيما بعد أن تربط بين هذا العلم وبين الاستعمار ( الذى كان يچثم على معظم ائحاء افريقيا وآسيا ) قد بدأت تنقشع مع بواكير مستقنيات هذا القرن فقد انطلق علماء الانثروبولوجيا من وجهات نظر مخالفة تماما للامس التي قامت على اساسها النظريات الانثروبولوجية المحافظة بينما بدأ علماء العالم يتسلطون من دور هذا العلم في بناء مجتمعاتهم لتحق بركب الحضارة الانسانية حيث قاموا بدراسة تراث المستشرقين دراسة نقدية واعية كما اهتموا بعمل وجهد مماثلين في دراسة مجتمعاتهم المحلية (٢٠) .

وتعرف الانثروبولوجيا بأنها علم الانسان الذى يدرس المجتمعات الانسانية وبصفة خاصة المجتمعات البسيطة والمتحيزة .

ولقد أدرك علماء الانثروبولوجيا منذ زمن طويل ان هناك علاقة قوية تفاعلية بين كل نظم المجتمع وانساقه الاجتماعية ، وأن دورهم يتلخص في مجرد وصف هذا التفاعل - من خلال الاحداث اليومية والعادات والتقاليد وصفا دقيقا - غير أنهم قد أدركوا في مرحلة لاحقة انه لابد من وجود فروض نظرية توجه الدراسة واذ ذاك فان الاحداث

والوقائع ليس لها أى معنى أو أهمية فى حد ذاتها وإنما تكتسب معناها الاجتماعى فى ضوء نظرية عامة تنسوس الدراسة وتوجهها بل أن الأنثروبولوجيا لابد أن تتم على مستوى معين من التجريد الذى يرتفع بالباحث عن مستوى الحقائق الجزئية والوقائع المحسوسة الى التحليل البنائى (٢١) .

ومن الواضح أن الكثير من علماء الأنثروبولوجيا أصبح شغلهم الشاغل الآن العلاقات الاجتماعية المستقرة والدائمة والجماعات الاجتماعية التى تتميز بدرجة عالية من التماسك ، وهم يصرمون النظر بالثالى عن العلاقات بين الأفراد والجماعات القليلة للتغير أو الجماعات التى سرعان ما تتغير ( يتغير الأفراد الذين يؤلفونها ) ومن أبرز الدراسات التى تعبر عن هذا الاتجاه دراسات مالينوفسكى، وسلجمان وايلنريرتشارد وغيرهم من الرواد .

ومن الواضح أنه لابد من وجود درجة معينة من الانساق فى الحياة الاجتماعية وهذا الانساق يمكننا من الحديث من بنية عامة للبحث ومهمة الأنثروبولوجى الاجتماعى عادة الكشف عن هذا البناء الذى ينطوى بدوره على عدد من الأبنية أو الانساق الداخلة فى تكوينه كالانساق القرابى والنظم الاجتماعية التى تضمها هذه الانساق .

ومن الواضح أن الاهتمام الراهن لعالم الأنثروبولوجيا يدور حول العلاقات والقضايا والظواهر — لا للشعوب والقبائل نفسها — التى تبرز ملامح الحياة الاجتماعية وانساقها ومشاكلها .

وللعلم الميدانى وللدراسة الأنثروبولوجية الحقلية الجادة شروطا محددة فالدارس الأنثروبولوجى اليوم يترك مكانه الوثير راغيبا وسلاحه هو أيمانه بعمله وقلبه الرصاص وفنر صغير حيث يجمع ما يقوله الرواء ، ويسجل الاخبار ويرتاد القرى والشواطىء والأدغال يزور ويرحل .. ويبحر .. ليرى كيف يعمل الناس — ويراقب ويدرس وتاتيه البيانات فى نكهتها الحقيقية من خلال الدراسة المتعمقة التى لا يقنع فيها بالمعلومات المنقوصة والاخبار القليلة والمحدثات اليسيرة فالقيام بأبحاث أنثروبولوجية عمل شاق غير أن ثألثته على ما يذكر ريفرز كبيرة ومؤكدة إذ تكن فيها ارادة فهم حياة المجتمعات مكانى ، وقد أجاد مالينوفسكى أيضا فى هذه النقطة إبان عمله فى ماليزيا حين قال : « أن الطريقة التى يتكلم بها البعض الذين أهدونى بالمعلومات عن السكان الأصليين .. تم عن

ذهن غير مجرب وقد كانت آراؤهم في الفسالب مثقلة بالاختضاء والاحكام المسبقة .. فالحال في هذا الميدان يحول أن تكون وجهة نظره موضوعية ، وهو يدرس بنفسه دون تحيز أو ترفع (٢٢) .

### المدارس الانثروبولوجية :

لا يخفى على الدارس الانثروبولوجي أن هناك من يرى الانثروبولوجيا اقرب في طبيعتها الى الفن Art منها الى العلم Science — مثلها مثل الخدمة الاجتماعية على سبيل المثال — وانها تلجأ الى الدراسة **الانثوجرافية الوصفية** غير أن الجانب الأكبر من العلماء يعارضون هذه النظرة ويعتبرون الانثروبولوجيا الاجتماعية علما تستخدم العلماء فيه الطريقة « الاستقرائية » التي تعتمد على الملاحظة والمقارنة وتصنيف الجساعات التي تتميز بدرجة عالية من التماسك والاستمرار (٢٣) ويمكن القول بأن **الاتجاه الثقافي** Cultural يغلب على الدراسات الانثروبولوجية في أمريكا بينما يغلب **الاتجاه البنائي** Structural الذي يركز على دراسة البناء الاجتماعي Social structure على علماء الانثروبولوجيا في بريطانيا والواقع أن الظروف العامة التي لايسست نشأة الانثروبولوجيا في القرن التاسع عشر في كل من بريطانيا وأمريكا مسئولة الى حد كبير عن قيام هذين الاتجاهين فقد اتجه علماء الانثروبولوجيا الانجليز الى دراسة المجتمعات المحلية ( المجتمعات القبلية ) الخاضعة تحت سيطرتهم في أفريقيا بينما اتجه العلماء الأمريكيون لدراسة قبائل الهنود الحمر في أمريكا ذاتها وهذه القبائل — كما يرى ايفانز برتشارد — ليس لها بالضرورة تقاليد موفلة في القدم كما انها تشكل بصورة أو بأخرى مجتمعات مجزأة غير متماسكة مما يسهل دراسة ثقافتها أكثر مما يتيح سبرغور ابنيتها الاجتماعية ، وهذا الاختلاف هو الذي افرز لنا هذه التفرقة « الكلاسيكية » — الشكلية — بين المدخل « البنائي » والمدخل « الثقافي » في الانثروبولوجيا (٢٤) .

ويعتقد دافيد بيدني Bidney (٢٥) أن ايفانز برتشارد قد اختزل فكرة الخلاف بين المدرسة الأمريكية والبريطانية حين ذكر أن الجناح الأول قد تأثر بـ **تسايلور** Tylor وغيره من الآباء الأول لاهتمامهم بالهنود الحمر وأن الجناح الثاني قد تأثر بـ **بورجوان** و **سيفسر** وكايم مع تركيزهم على القبائل والمجتمعات المحلية التي خضعت للاستعمار البريطاني وهو بهذه الصورة قد تجاهل أعمال يواز Boas وكروير وسابير Sapir ، ولوى Lowie ولنتسون Linton وسبير وهي الأعمال التي كان يمكن

— اذا اُمن النظر اليها — أن تعطى له مبررات أخرى اشد واقعية للفرق بين المدرسة الأمريكية والبريطانية .

ويشير بيدنى (٢٦) الى أن الصراع بين الجناح الاول والثانى قد حداً ببعض أمثال ميردوك أن يتهم المدرسة الانجليزية بأنها ليست مدرسة انثروبولوجية على وجه الإطلاق أو حد قوله :

«The British school are actually not anthropologists but professionals of another category».

والامر الذى لا شك فيه كما يذكر البعض أن الدراسة الانثروبولوجية للبناء الاجتماعى مع اغفال الإشارة للثقافة أو العكس هى دراسة مجففة تباهياً ومحبزة علمياً ، وقد تبنى هذه النظرة البعض أمثال ميرث Firth ، ونادل Nadel ، وفورتس Fortes .

وإذا كان ميردوك — قد أظهر تحيزه للثقافة بقوله :

The special province of Anthropology in relation to its sister disciplines is the study of «culture».

فإن البعض على الطرف الآخر يعتقد أن تركيز الانثروبولوجيا على النظم والعلاقات الاجتماعية يجعل التشابه بينها وبين علم الاجتماع كبيراً حتى أن رادكليف براون Brown يرى أنه ليس هناك ما يمنع من تسمية الانثروبولوجيا الاجتماعية بعلم الاجتماع المقارن Comparative Sociology والحقيقة أنه مع وجود الاتفاق بينها في الاتجاهات والأدوات إلا أن لكل منها صبغة متميزة كما أن وجودهما مما سيعمق دون شك من نظرتنا ونهينا للمجتمعات الإنسانية ، ومن هنا فإن علماء الانثروبولوجيا أصبحوا اليوم يتفرون من الفصل بين الجانب الثقافى والبنائى كما أن التكامل بينهما أكثر وضوحاً من دى قبل (٢٧) .

ويعتقد شتراوس أن الانثروبولوجيا تنقسم بالشمول ، والتجانس فضلاً عن اتفاق العلماء فيها على المبادئ الأساسية ( رغم اختلافاتهم الثانوية ) كما أنها تهتم بدراسة المجتمعات الإنسانية فى شتى أشكالها كما تنظر للمجتمعات المختلفة اليوم على أنها ليست مسئلة — بصورة أو بأخرى — عن تخطئها ، ولقد أصبح راسخاً فى ذهن عالم الانثروبولوجيا اليوم ألا يصف هذه القبائل المنعزلة بالخمبول أو اللابلاية أو السذاجة

فالامر كله تلخصه الفروق الثقافية بين ثقافة هؤلاء القوم وثقافة  
الانثروبولوجى ( اذا كان اجنبيا عن المجتمع ) حيث يورد شتراوس على  
سبيل المثال ما يسجله مؤخرا أحد علماء الانثروبولوجى عن قبائل  
« الفاهوكى — كايا » فى غينيا الجديدة فقد تعلم هؤلاء الاهالى لعبة  
كرة القدم وشرعوا قرب نهاية المباراة بضاعفون عدد الجولات حتى  
يصيح عدد الهزائم والانتصارات متساوية تماما فاللعبة تنتهى عندهم —  
بخلاف ما يشيع عندهنا — بالتعادل ، والتأكد من انه ليس هنالك من  
ينتصر على الآخر (٢٨) .

ويعنى هذا أن عالم الانثروبولوجيا يتعمق فى فهم السلوك الاجتماعى  
وتفسيره مهما بدأ هذا السلوك غريبا أو طريفا أو غير متماثل مع ما يألوه  
الباحث نفسه فى مجتمعه وهكذا تدرس الانثروبولوجيا الانسان بصورة  
شاملة من كافة جوانب حياته (٢٩) .

وينبغى أن ننوه فى نهاية هذا البحث أن الانثروبولوجيا الاجتماعية  
نفسها تضم العديد من الفروع من أبرزها الانثروبولوجيا الاقتصادية  
والريفية والحضرية والسياسية والدينية والطبية والصناعية وانثروبولوجيا  
الغنية .

---

« المصادر »

١ — R. F. Murphy, Cultural and social Anthropology, New Jersey., 1986, P. 231

٢ — Nbid. pp. 7-8.

✽ يظهر هذا النوع من التعصب عندما ينظر الفرد أو الجماعة إلى ثقافته على أنها الثقافة الراقية بالقطرة ويتضمن هذا الاتجاه حكماً بالدونية على الثقافات الأخرى . ويمكس التعصب السلالي عدم القدرة على تقدير وجهة نظر الآخرين ذوي الثقافات المختلفة بما تتضمنه من لغة ودين وأخلاق كما يعكس الانتقال إلى النظرة الإنسانية الشمولية ونهم المشاكل التي تواجه البشر في المجتمع » .

محمد عاطف غيث — قاموس علم الاجتماع — الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩ ص ١٦٣ ، ص ١٦٤ .

٣ — Op. Cit. p. 6.

٤ — حسين نهيم — قصة الأنثروبولوجيا — عالم المعرفة ص ٩٨ — الكويت — ١٩٨٦ — ص ٤٠ ، ص ٧٩ .

٥ — محمود عودة — تاريخ علم الاجتماع — دار النهضة العربية — بيروت — بدون . الفصل الأول وانتظر أيضاً جيران لكلوك — الأنثروبولوجيا والاستعمار ترجمة جورج كتوره — معهد الأنساب العربي — بيروت ١٩٨٢ ص ٢٢ : ص ٤٥ وص ٢٠٥ : ٢١٥ .

٦ — ايفانز برتشارد — الأنثروبولوجيا الاجتماعية ترجمة أحمد أبو زيد الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ ص ١٩ ، ص ٢٠ .

٧ — ك.ل. شستراوس — مقالات في الإناسة — اختارها ونقلها للمربية حسن قبيسي — سلسلة الفكر المعاصر — بيروت ١٩٨٣ —

- ٨ — لكرك — المصدر السابق ص ٢٠٩ : ص ٢١٦ .
- ٩ — حسين فهم — المصدر السابق ص ٨٠ : ص ٨٦ ، ص ١١٧ : ص ١٢٠ .
- ١٠ — ايفانز برتشارد — المصدر السابق — مقدمة المترجم .
- ١١ — المصدر نفسه — ص ٨٦ : ص ١٠٤ .
- ١٢ — أحمد الريانة — اسهامات بعض الرحالة العرب في الدراسات الانثروبولوجية المبكرة في مجلة دراسات — المجلد العاشر — ص ١٩٨٣ — ص ٢٨ وما بعدها .
- ١٣ — ايفانز برتشارد — المصدر السابق ص ٢٧ ، ص ٥٣ ، ص ٩٦ ، ص ٩٧ .
- ١٤ — المصدر نفسه ص ٧٣ : ص ٧٥ .
- ١٥ — على ليلة — البنائية الوظيفية — دار المعارف — القاهرة ١٩٨٠ -- ص ١١٣ : ص ١٢٣ .
- ١٦ — نبيل صبحى — الانثروبولوجيا الاجتماعية — دار المعرفة الجامعية — ١٩٨٥ ص ٤٨ : ص ٥٢ .
- ١٧ — ليفى شتراوس — المصدر السابق ص ١٥٠ : ص ١٥٥ .
- ١٨ — حسين فهم — المصدر السابق — ص ١١٦ : ص ١٢٠ .
- ١٩ — لكرك — ص ٦١ ، ص ٢٠٥ : ص ٢١٧ .  
وانظر ايضا مير — الانثروبولوجيا الاجتماعية ترجمة علياء شكرى وحسن الخولى ، مراجعة محمد الجوهري — القاهرة — سنة ١٩٨٥ — الفصل الثالث .
- ٢٠ — حسين فهم — المصدر نفسه ص ٩٥ والخاتمة .
- ٢١ — شتراوس — المصدر نفسه — ص ١٠١ .
- ٢٢ — لكرك — المصدر نفسه — ص ٥٦ : ص ٥٩ .

- ٢٣— أحمد أبو زيد — البناء من ص ٢١ : ص ٦٦ .
- ٢٤— المصدر نفسه من ص ١٧٦ : ص ١٧٩ .
- ٢٥— The Theoretical Anthropology N.Y. 1987.pp. 98 : 101.
- ٢٦— Ibid. p. 102.
- ٢٧— محمد عبده محجوب — مقدمة في الاتجاه السوسيوانثروبولوجى —  
الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٧ — ص ٤٦ .
- ٢٨— ل. شتراوس — المصدر السابق ص ١٠٦ ، ص ١٢٤ ، ص ٢٤ .
- ٢٩— محمد الجوهري — علم الانثروبولوجيا — دار المعارف — ١٩٨٠  
— الفصل الاول .





## الفصل الثاني

### « علم الإنسان وفروعه »

#### ١ - الأنثروبولوجيا الفيزيائية :

يذكر جابريل لاسكر G.W. Lasker (١) في معرض حديثه عن الأنثروبولوجيا الفيزيائية Physical Anthropology الحديثة أن هذا المصطلح يعنى دراسة ميكانزمات التطور الإنسانى . نهى في نظره تعنى بدراسة مشكلات خاصة بجسم الإنسان غير أن هذه المشكلات لا تنهم بدورها الا من خلال الجماعة الإنسانية حيث يحرص الأنثروبولوجى على دراسة التشابه والاختلاف بين الجماعات الإنسانية بحسب خصائص السن والنوع ومحل الميلاد وطرق الحياة ، ومن هنا فانه لا يدرس هذه الخصائص الا من خلال اتصالها بالثقافة Culture ( التى عاش أو يعيش فيها الإنسان ) ، ومن هنا فان الثقافة نفسها هى التى تفسر صيور الاختلاف فى أساليب الحياة وفى السلوك المتعلم ويذكر لاسكر أن دراسة التركيب الجسمى ، والبنية ، والسلالات ، والنمو الإنسانى ، والوراثة والهندسة الإنسانية ، والعوامل البيولوجية الكيميائية ، وأشكال النظام والإنسان ضرورية للدراسة فى مجال الأنثروبولوجيا الفيزيائية .

ويرى بيلز Beals وهويجر H. Hoijer (٢) أن هذا الفرع من فروع الأنثروبولوجيا قد تعرض لقدر كبير من الاهتمام والرعاية منذ مطلع الحرب الثانية وهذا الاهتمام يفوق ما شهدته الفروع الأخرى فقد زاد الانتفاع من المورفولوجيا الجسمية وقياس الهياكل العظمية والأبعاد الجسمية وأحجام الججمة وقلبة الجسم وبرزت دراسات حديثة فى مجالات الوراثة والبيولوجيا وغيرها حيث يزداد الاهتمام بدراسة وتحليل الجماعات الإنسانية ودراسة الإنسان نفسه من خلال عملية التطور إذ أن البشر المعاصرين يتشابهون بعضهم مع بعض تشابها كاملا فى الأبناء الأساسى حيث ينتهون الى ما يعرف بالإنسان الحامل رغم الفوارق الموجودة بينهم فى المظهر الخارجى .

وتتضمن الدراسة فى هذا الفرع دراسة التغيرات البيولوجية من

الحل الى البلوغ وتأثير الظروف البيئية والنواحي الايكولوجية ودراسة  
ميكانيزمات الوراثة في ضوء الاختلاط بين القبائل والشعوب الانسانية  
والتزاوج بينها .

ومن الواضح ان عالم الانثروبولوجيا الفيزيائية يستعين بمجموعة  
كبيرة من العلماء الذين يساهمون في دراسة البقايا العظمية والادوات  
والاطلال والاواني وتحدد عمر الحفريات والسلالات المكتشفة ومن بين هذا  
الفريق المتخصص في هذا الفرع يمكن ان نلمح عالم التاريخ والآثار  
وعالم الازكيولوجي Archeology عالم آثار ما قبل التاريخ ( للربط بين  
احداث وترتيب حدوثها ) وعالم الطبيعة وعالم الجغرافيا والجيولوجيا وعالم  
الوراثة والمتخصص في الهندسة البشرية لاجراء المعالجة الرياضية المعتدة  
لعلم الوراثة مع فهم البيئة والتضاريس فضلا عن عالم الاجتماع وعالم  
الانثروبولوجيا الثقافية لدراسة الثقافة المحيطة بالانسان .

ومن المعروف ان أبرز الدراسات في مجال الانثروبولوجيا الفيزيائية  
ترجع الى مجهود العالم بيرت B. Deperthes سنة ١٨٣٠ .

ونورد هنا أبرز النماذج الحضرية والتي بنيت عليها بدورها العديد  
من الدراسات وقادت للعديد من النتائج في هذا الفرع من تروع  
الانثروبولوجيا :

#### ( أ ) انسان جاوه :

وقد عثر عليه في شمال جزيرة جاوه سنة ١٨٩١ العالم الهولندي  
يوجين ديبوا E. Dubois .

#### ( ب ) انسان الصين القديم :

واكتشفت بقاياها لأول مرة سنة ١٩٢٧ في احدى كهوف قرية شوكونتين  
غرب بكين وطوله نحو ١٥٠ سم وحجم من بين ١٠٠٠ : ١٢٠٠ سم وكان  
رأسه أكثر تراجما للخلف ويتميز انسان الصين عن انسان جاوه بكثرة  
ما عثر عليه من بقايا حضارية من العظم وأدلة أخرى تبين استخدامه للنار  
ومعيشته في جماعات وسكنه في الكهوف .

#### ( ج ) انسان هايدلبرج Heidelberg :

وقد اكتشف بالقرب من مدينة هايدلبرج الالمانية سنة ١٩٠٧ وعثر

معه على بقايا أدوات ، ويرجح البعض أنه كان معاصرا لإنسان الصين القديم .

( د ) إنسان نياندرتال Neanderthalensis :

وعثر عليه في وادي نياندر بحوض الرور في ألمانيا ويتميز هذا الإنسان . بحجم مخه الكبير الذى يبلغ ١٤٠٠ سم<sup>٣</sup> كما يتميز بجبهة شديدة الانحدار ويزور واضح لمظام الحاجبين وقد تمكن بدوره من اصطيد الحيوان واستخدام الآلات الحجرية البسيطة وتكن من أشغال النار والمعيشة في جماعات ، ويرجح كذلك أنه كان يدفن موتاه مع بعض الأدوات اعتقادا منه في الخلود والبعث وكان لاستقراره في كهوف متجاورة أثره الكبير في تشابه الطابع الجمعى للحياة والحياة الروحية المشتركة . التى ترجع وجود شكل للعبادة وانتشار للتعاليم الدينية .

( هـ ) وقد تقدمت الانثروبولوجيا الفيزيكية بفعل تولد معلومات من الإنسان الحديث من خلال اكتشافات إنسان كرومانيون Cromagnon في فرنسا سنة ١٨٦٨ حيث بلغ طوله نحو ١٧٠٠ سم وحجم مخه حوالى ١٦٠٠ سم<sup>٣</sup> حيث بدأت تبرز مظام الحاجبين ومظام الذقن وتمددت الأدوات الحجرية المكتشفة معه كالرماح وغيرها ، وقد أطلق على الحضارة التى كان يعيشها الحضارة الأورجيناسية Aurignacian .

( و ) إنسان جريمالدى Grimaldi :

وقد عثر على بقاياها في فرنسا وبلغ طوله نحو ١٦٠ سم وحجم مخه نحو ١٤٥٠ سم<sup>٣</sup> وقد تميزت حضارته بصناعة أسلحة الصيد وباقى الأدوات .

( ز ) إنسان شانسلاد Chancelade :

واكتشفت بقاياها كذلك في فرنسا وتميزت حضارته باتقان صناعة

---

(\*) أنظر في نقد النظرية الدارونية والبقايا البشرية المؤلف الذى كتبه شاكز باسيلوس وآخرون بعنوان النشوء والارتقاء بين الواقع العلمى والتصوير العلمى — مكتبة مصر — القاهرة ١٩٧٩ .

الادوات ، وازدياد حدة الصراع بينه وبين الحيوانات الاخرى . وقد سكن هذا الانسان للكهوف، ويقسم معظم علماء الانثروبولوجيا الفيزيائية السكان في عالم اليوم الى ثلاث مجموعات جنسية كبرى هي مجموعة القوقازيين والمغول والزنوج وهي ما يعرف بالجنس الابيض والاصفر والاسود (٣) .

## ٢ - الانثروبولوجيا الثقافية :

يذكر البعض ومن بينهم فردريك هولس (١) F.S. Hulse انه من طريق الاهتمام بالثقافة وحدها كبحث متسق اشتقت الانثروبولوجيا اتساقها الفعلي .

ويذكر أبو زيد (٤) أن الانثروبولوجيا في أمريكا تكاد تصطبغ بمصطفة ثقالة خالصة (٥) ويستشهد بما ذكره ايناتز بيرتشارد في تعليقه لغبسة هذا الاتجاه انه اما لان قبائل الهنود الحمر كانت تشكل جماعات لكل بنها شخصيتها المستقلة واما لمعزوف العلماء انفسهم عن الالتزام بالفترة الطويلة التي تستلزمها الحراسة البنائية للمجتمع اصطبغت الانثروبولوجيا بصنة ثقافية . فالمجتمع بالنسبة لانصار الاتجاه الثقافي وسيلة او وهاء توجد فيه الثقافة اى انه مجرد شرطا ضرورى لوجوده فمن خصائص الثقافة تمايزها من الافراد الذين يحملونها ويمارسونها في حياتهم الشخصية اذ انها تمثل طرق المعيشة ، واتباط الحياة ، وقواعد العرف ، والتقاليد والفنون، والتكنولوجيا السائدة ثم ان من خصائص الثقافة الاستمرار فهي تنتقل عبر الزمان من جيل الى جيل بل انها تفتقر من مكان لآخر نتيجة للمعملية التي تعرف باسم الاتصال الثقافي بين الشعوب حيث تنتقل السمات الثقافية Cultural traits من الثقافة الاقوى الى جاراتها الاضعف . كما أن من خصائصها أيضا التعميد لاشتغالها على عدد كبير من الملامح العامة او « العموميات » Universals التي يشترك فيها كل أعضاء المجتمع القومى كاللغة والمعتقدات الدينية ... الخ .

ولا يمنع هذا؛ ان لكل مجموعة من البشر ثقافتها الخاصة او « الفرعية » Sub Culture ومن هنا تبرز أوجه الاختلاف والتنوع الثقافي .

---

(٥) يشذ عن ذلك علماء الانثروبولوجى في الولايات المتحدة الذين تائروا بانكار عالم الانثروبولوجيا البريطانى رادكليف براون وكسابات المدرسة الفرنسية ورائدها اميل دوركليم .

وقد قدم تايلور سنة ١٨٧١ تعريفا للثقافة وجد رواجاً شديداً لدى معظم العلماء حيث اعتبره البعض من التعريفات الأساسية فيها هو جون جاتوش J.B. Janusch . يذكر أنه من أفضل التعريفات وأنه قد استحوذ على أهتمام مورجان وكروبر وهويت ، والثقافة لدى تايلور هي هذا الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والمعتقدات والفن والاعراف والقانون والمعادن وإى امكانيات وتقاليد مكتسبة بواسطة الانسان كمفهوم في مجتمع .

بينما يؤكد يارسونز ومن بعده ميرى وغيره من علماء الانثروبولوجيا أن الثقافة هي مجموعة التوقعات «set of expectations» .

لهى تتركز على نظام متسع من الرموز ولاسيما الكلمات ، ومن هنا تأخذ اللغة مكانتها لدى عالم الانثروبولوجيا الثقافية كهى الوسيلة الأساسية للاتصال بين البشر ونقل الثقافة (٧) .

وتتضمن الثقافة اذن كل مجالات الفكر والمعرفة وكل أنماط السلوك فالمفهوم حقيقة يتضمن تجسيد السلوك الفعلى ويستوجب البحث عن تعميمات لهذا السلوك من خلال الرموز المستخدمة في المجتمع وهو يتعمد بهذا عن التركيز على الانماط السلوكية الفردية وعن كل أداة — على حدة — ينتجها الناس بأنفسهم ويستخدمونها .

ومن هنا فان عالم الانثروبولوجيا الثقافية يهتم بتتبع القمط الثقافى Pattern عبر التاريخ حيث تنتقل الثقافة عبر الاجيال من خلال عملية التسلّم .

والباحث فى الانثروبولوجيا الثقافية يلاحظ ويسجل السلوك البشرى السائد ومنتجاته بالنسبة لجماعات معينة فى بيئات بعينها والحلول التى يواجه بها الانسان مشكلاته وهو هنا يتركز على :

( ١ ) التاريخ السلالى Ethno history الذى يهتم بتاريخ الشعوب المنزلة مع الاستعانة بالمصادر المكتوبة .

(ب) البيئات الأركيولوجية التى تساعد على اعادة رسم صور النماذج الثقافية .

٢ - **البيانات الأنثوجرافية** Ethnography التي تركز على الوصف أكثر من التحليل والتفسير ويمكن هنا الاعتماد على الملاحظة بالمشاركة ، والمقابلات الحرة ، واستخدام الشخص الاخبار Informant وعلى الأداة المعروفة باسم الفهم الذاتي للثقافة الفرعية Ethnoscience الذي يرتكز على فهم طريقة تنظيم للناس لثقافتهم الخاصة وتصنيف الانماط الثقافية وتوضيح النطق الكامن وراء العادات والتقاليد والأعراف وأنماط السلوك .

هذا فضلا عن **تأريخ الحياة النفسية** غير اللفظية (١٥) ويذكر بيلز وهويجر أن هذه الاختبارات تتضمن قدرًا من المرنان للأشرف على إجرائها كما تحتاج لأعداد كبير لتفسيرها على الوجه الأكمل ويعطينا مثالاً لهذا دراسة جزيرة أوليثي Ulithi في المحيط الهادئ فقد قدم وليم ليسا W. Lessa للناس صورة واحدة لرجل ينظر لامرأة صغيرة محببة تحبل سينية من الفاكهة - نظرة مألوفة - وعندما شاهد سكان الولايات المتحدة هذه الصورة صاغوا قصصاً تتضمن معنى جنسي بينها تضمنت هذه القصص بالنسبة لسكان الجزيرة ويؤكد الأفراد بنضوون جوعاً (١٦) .

وينكر أبو زيد (١٦) أن دراسة الثقافة يمكن أن تسير وفق منهج **التتبع التاريخي** بالنسبة للظواهر الثقافية وهو الاتجاه الذي يرامى تعدد الأزمان diachronic .

كما أن الاتجاه الآخر يحاول أن يدرس الظواهر دراسة **تزامنية** للحاضر Synchronic ومن أبرز التوجيهات هنا **التساويل** **السيكولوجي** والاستماعة بعلم النفس في فهم الظواهر الثقافية وهي الأبحاث التي أثرت ميدان **الثقافة والشخصية** Culture and personality ودراسات الشخصية القومية وقد قادتها روث بندكت ، ومرجريت ميد ، وجوليوس هنري ، وهسو Hsu وحيث يستعين الباحث هنا - فضلاً عما سبق أن ذكرنا من أدوات - بالاختبارات الإسقاطية ، وتحليل المضمون ، وتحليل الأحلام (١٧) .

وقد أورد ليفي بريل (١٨) في مؤلفه عن العقلية البدائية المعديد من الأمثلة عن قبائل مختلفة للإشارة إلى الظواهر الثقافية ومدى تنوعها وخرج من دراسة نتائج عديدة ، ومن بين ما أورده عن الأحلام في إفريقيا الاستوائية الإشارة إلى مدى ثراء هذه الظواهر بالنسبة للقبائل البسيطة

---

(١٥) أهم هذه الاختبارات اختبار روشاخ واختبار الإدراك الموضوعي

والمنعزلة ، اذ يترتب عليها العديد من الممارسات ويذكر بريل أن أحد الرؤساء رأى ابن نومه أنه قام برحلة فاعتبر أن هذا قد تم بالفعل ، ويستطرد بعد ذلك « ولشدة ما كانت دهشتي عنهما رأيته جالسا على باب عشقه مرتديا الملابس الاوربية بمجرد أن استيقظ من نومه وقال لرعاياه انه أت من بلاد البيض وكان على من يأتون لرؤيته من شيب وشبان أن يصلحوه مهئين بسلامة العودة ... الخ » .

وتهتم الانثولوجيا Ethnology بالدراسة المقارنة للشعوب على اساس خصائصهم الثقافية والسلالية وتحركاتهم ومدى انتشار الخصائص الثقافية والسلالية وتحركاتهم ومدى انتشار الخصائص الثقافية فهي دراسة مقارنة للثقافات كما تتميز عن الانثوجرافيا باهتمامها بالنمطيل اكثر من الوصف (١٢) .

### ٣ — الانثروبولوجيا الاجتماعية

ان الموضوع الاساسى الذى تدرسه الانثروبولوجيا الاجتماعية هو البناء الاجتماعى Social structure الذى يشمل على انساق اجتماعية ونظم اجتماعية فالمصنع على سبيل المثال ينقسم الى اقسام عديدة ينقسم كل منها الى اقسام اصغر يقوم بالعمل فيها عامل او مجموعة من العمال . ولا تترابط الاقسام معا بطريقة جامدة او روتينية لتكون الكل الواحد بل ان الاقسام المكونة للبناء وهىكل المجتمع لا تشهد انسجاما بين جزئياتها لمصعب بل ومختلف ضروب الصراع ايضا .

وقد عرفت جامعة كمبردج اول كرسى للانثروبولوجيا الاجتماعية سنة ١٩٠٨ وقد نصب عليه الرائد الانثروبولوجى سسـيـرـجـيمـسـ فـرـيزـر Frazer ، ويدرس هذا الفرع — من فروع الانثروبولوجيا — السلوك الاجتماعى الذى يتخذ شكل النظم الاجتماعية كالعائلة ونسق القرابة « كما تدرس الانثروبولوجيا الاجتماعية العلاقة بين هذه النظم سواء فى المجتمعات المعاصرة او فى المجتمعات التاريخية » على ما يذكر ايفانز برتشارد :

«It studies.. Social behaviour, generally in institutionalized form, Such as the Family, kinship system, political organization legal Procedures religious cults and the like, and the relations between such institutions etc.,

ولم يبدأ علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية في تصنيف المجتمعات على أساس بنيتها الاجتماعية للوصول إلى الدراسات المقارنة للمجتمعات إلا في نهاية القرن الماضي ، وهكذا بدأت الأنثروبولوجيا الاجتماعية توجه عنايتها لشبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع وهكذا يقرر أيفانز برتشارد أن المجتمعات هي **أنساق طبيعية** natural systems تعتمد أجزاؤها بعضها على بعض interdependent ويدخل كل جزء منها في عدد من **العلاقات الضرورية** الممتدة للمحافظة على الكل ، وواضح هنا أن الحياة الاجتماعية يسودها نوع من الترتيب والتناسك والاستقرار لا يتيسر بدونها للمرء أن يشبع أبسط احتياجاته الأولية ، وهكذا تتسق الحياة الاجتماعية في شكل نظم اجتماعية يمارس الأشخاص الداخلون في نطاقها أدوار معينة مرسومة .

كما تتميز الحياة الاجتماعية بعموميتها وقدرتها على الانتقال عبر الزمن ، وهكذا يتسم البناء الاجتماعي بالاستقرار والاستقرار بينما يفرض المجتمع أو القبيلة على الفرد الخضوع للنظم والأعراف الاجتماعية السائدة أما من يتلمس من الالتزام بها فانه يتعرض للعديد من العقوبات الرسمية وغير الرسمية التي تبدأ بالسخرية وتنتهي بالقتل أو على حد قول أيفانز برتشارد :

«Institutions are thus thought of as functioning within a social structure consisting of individual human beings connected by a definite set of social relations into an integrated whole.

ويذكر أبو زيد (١٥) أن البناء الاجتماعي لأي مجتمع هو عبارة عن مجموعة من الأنساق كالنسق الاقتصادي والقرايى والايكولوجي ويضم كل من هذه الأنساق عدد من النظم الاجتماعية التي تولى فيها بينها وحدة متماسكة متكاملة ولن يتيسر فهم البناء الاجتماعي إلا بدراسة هذا التفاعل بين الأنساق وبين النظم الاجتماعية المكونة بدورها لهذه الأنساق وليس النظام هنا مجرد ظاهرة بسيطة بل أن معظم النظم الاجتماعية على درجة كبيرة من التعقيد ويدخل في تكوينها عدد كبير جدا من العناصر المتشابهة والعلاقات التي تحتاج إلى كثير من الجهد لتحليلها وفهمها .

والباحث الحقلى في ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية لابد أن يعدد أعدادا جيدا لمبحثه ، وأن يختار المنطقة التي سيجرى عليها بحثه ، والنموذج السكاني الذي اختاره لتحقيق هذا الهدف ، وأن يتدبر التمويل

اللازم للبحث المقترح للدراسة الحقلية ، ومن أبرز الأدوات المستخدمة هنا **الملاحظة بالمشاركة** حيث تتاح الفرصة للملاحظة المتعمقة - في الوقت الذي يسهم الباحث فيه ويشارك في أكبر عدد من الأنشطة - كما يبيد عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية من المقابلات الحرة في دراسة النسق السياسي وأشكال الضبط الاجتماعي في المنطقة بينما يستطيع **الإخباري** أن يوضح للباحث الأنثروبولوجي العديد من الجوانب المتصلة بواقع المجتمع وعلاقته بسكن المجتمعات المجاورة وأبرز عصبياته وأنسابه ويزوده بفكره من مصطلحات القرابية وعن المكائنت الاجتماعية للأفراد الذين يشغلون مواقع أساسية في بناء القوة في المجتمع المدروس (١٦) .

ويلخص نهم (١٧) الموقف الراهن لعلماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية « **الوظيفية والاتجاه** » في أنهم يستخدمون ملاحظاتهم لدراسة **النظم الاجتماعية كاجزاء مترابطة في النسق الاجتماعي** ( في صورة متكاملة ) وأنهم أصبحوا أكثر قدرة على دراسة المجتمعات المعقدة بدلا من العكوف على دراسة المجتمعات والقبائل البدائية ( البسيطة المنعزلة ) حيث انتقل الاهتمام من المحيط الهادئ إلى أفريقيا فبدأ التركيز على النظم القرابية والسياسية بصفة خاصة وقد تصدت بض الكتابات لدراسة بعض الظواهر النوعية كالعنصرية والعلاقات والمحرمات الجنسية دراسة نقدية جادة ، ومن هنا ظهر « **الاتجاه الراديكالي** » الذي مؤداه أن على الباحث الأنثروبولوجي هنا أن يتخذ موقفا إيديولوجيا مسبقا قبل الشروع في الدراسة الحقلية على ما تذكر الباحثة البريطانية كاتلين جاف K. Goough .

وقد يتسائل المرء هنا عن دور عالم **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** وتمايز هذا الدور عن دور عالم الاجتماع ويلخص ايناتزيرتشارد هذا الفرق في أن علماء الاجتماع يركزون جهودهم عادة على دراسة **بشكليات** أو ظواهر معينة في المجتمع المعاصر بينما تتسع دائرة اهتمام الأنثروبولوجيا للاهتمام بالبناء الاجتماعي للمجتمعات والقبائل المنعزلة فغسلا عن المجتمعات المعقدة .

كما أنه يلزم نفسه بأن يعيش لعدة شهور أو سنوات معهم أذ إن دراسته ينبغي أن تتمحور في فهم **العلاقات المتبادلة** بين النظم والانساق الاجتماعية أكثر من كونها دراسة تحليلية لهذه النظم نفسها (١٨) .

« المصدر »

١ — The New physical Anthropology, seen in retrospect and prospect (in) N. Kopen R.W. Thompson (Eds) Human Evolution U.S.A. 1967.

٢ — مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة . ترجمة محمد الجوهري والسيد الحسيني ، دار نهضة مصر بالقاهرة ١٩٧٦ ، ج ١ الفصل الأول والفصل الثاني .

٣ — مبد الحميد لطفى — الأنثروبولوجيا الاجتماعية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧٥ — الفصل الثاني والفصل الثالث .

٤ — The Human species. Pandom House Newyork. 1966. p. 10.

٥ — البناء الاجتماعى — الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ ج ١ الفصل الرابع .

٦ — Origins of man. U.S.A. 1967 pp. 345, 346.

٧ — R.F. Murphy, Cultural and social Anthropology. New-Jersey. 1966, p. 24.

وانظر أيضا :

من المؤلفات التى ناقشت التنقب يمكن الرجوع الى :

R. Bastide, Applied A nthropology. Newyork. 1971. ch. 3, 4.

٨ — بيلز وهويجر — المصدر السابق ذكره — ج ١ الفصل الخامس .

٩ — أحمد أبو زيد — المصدر السابق ذكره ج ١ — الموقع نفسه .

- ١٠— محمد سعيد نرح — الشخصية القومية — منشأة المعارف — الاسكندرية — ١٩٨١ — الفصل الثالث .
  - ١١— العقلية البدائية — ترجمة النصاص — مراجعة حسن المساماتي — الفصل الثالث .
  - ١٢— عاطف غيث — قاموس علم الاجتماع — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٩ — ص ١٦٤ .
  - ١٣— روبرت ميرف — المصدر السابق ذكره — ص ٤٠ : ٤٣ .
  - ١٤— E. Pritschard. Social Anthropology and other essays. U.S.A. 1986. Ch. 1 and 3.
  - ١٥— أحمد أبو زيد — المصدر السابق ذكره — ص ٢٥ ، ص ١٣٨ .
  - ١٦— بيلز وهويجر — المصدر السابق ذكره — الموضوع نفسه .
  - ١٧— قصة الانثروبولوجيا — عالم المعرفة — الكويت — ١٩٨٦ — الفصلين الخامس والسادس .
  - ١٨— ايفانز برتشارد — المصدر السابق ذكره — الفصل الاول .
-



## المصباح التثقيفي

### « مجالات علم الإنسان »

الفصل الثالث : الأنثروبولوجيا الثقافية .

نماذج لبعض الدراسات الحقيقية :

مقدمة : مجالات الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

الفصل الرابع : الأنثروبولوجيا الريئية .

الدراسة الحقيقية : عمال التراهيل .

الفصل الخامس : الأنثروبولوجيا الحضرية .

الدراسات الحقيقية :

١ - الخصائص الاجتماعية لسكان الاطراف .

٢ - الهامشية الحضرية .

٣ - الفقراء في المدينة

الفصل السادس : الأنثروبولوجيا الصناعية .

الدراسات الحقيقية :

١ - الورش الصناعية .

٢ - أثر التصنيع و التحضر  
الصفحة .

الفصل السابع : الأنثروبولوجيا الاقتصادية .

الدراسة الحقيقية : أوضاع وعلاقات الباعة في الاسواق الحضرية .

الفصل الثامن : الأنثروبولوجيا السياسية .

الدراسات الحقيقية : الدين والسلطة - القيادة في القرية .

### الفصل الثالث

#### « الأنثروبولوجيا الثقافية »

اعتقد البعض أن الأنثروبولوجيا الثقافية هي دراسة ثقاف المجتمعات البدائية ( البسيطة ) لتكوين )  
«describing the culture of less complex societies».

وخلال القرن الماضي كان الرحالة ودعاة الأرساليات الدينية وغيرهم يسترسلون في وصف عادات وتقاليد الشعوب غير الغربية بينما أسهمت الدراسات الحقلية خلال القرن العشرين في تنقية هذه التقارير الإثنوجرافية — الوصفية للثقافة — من الشوائب والثغرات التي كانت تهدد دقتها وموضوعيتها .

وقد اكتشف علماء الأنثروبولوجيا الثقافية أن الجماعات التي تسكن بعيدا remote groups قد « تمطت » assimilate بصورة أو بأخرى العديد من الأساليب التكنولوجية الحديثة بل وبعض العادات الخاصة بالانفراد والجماعات الذين احتكوا بها كما أصبح هؤلاء العلماء أشد ميلا لدراسة الثقافات الفرعية subcultures في المجتمعات الأكثر تعقيدا «Subcultures, within more complex societies».

ولذلك فإن سبرادلي spradley ومكردى Meurdy يكران أن الثقافة ليست هي السلوك نفسه بين المصرفة المكتسبة التي يستخدمها الناس لتفسير عالمهم ولإنتاج السلوك الاجتماعي :  
«Culture is not behavior it self, but the knowledge used to construct and understand behavior».

ويمكننا أن نؤرخ للأنثروبولوجيا الثقافية بكتابات الرحالة ولعل أعظم الأحداث الذي مجل بالولادة الفعلية لهذا الفرع هو كشف العالم الجديد بمعرفة كولومبوس إذ أن اكتشاف أمريكا في السنوات الأخيرة للقرن الخامس عشر ( ١٤٩٢ ) قد أثر في فروع الانسانيات : السياسة

والاقتصاد والاجتماع فلقد اوضحت الاستكشافات الجغرافية بجملاء حقيقة تنوع الجنس البشرى واثارت اسئلة عديدة حول اصل هذه القبائل وجررت محاولة ربطها بسفر التكوين ( السفر الاول من الكتاب المقدس الذى يتعرض لنشأة الانسان والكون ) .

ومن ناحية اخرى بدأت عملية الاتصال والصراع بين الدخيل الاوربى وهذه القبائل فى اطار انساني الصبغة .

وفى هذا الوقت ظهرت كتابات جوزيه آكوستا J. Acosta فى القرن السادس عشر التى حاول فيها ربط ملاحظاته الشخصية عن السكان الاصليين فى العالم الجديد ببعض الافكار النظرية عن مراحل تطور الحضارة الانسانية . ودراسات ميشيل دى مونتاني M.D. Montaigne الذى أجرى مقالات مع مجموعات من السكان الاصليين الذين كان بعض الرحالة قد احضروهم الى أوربا ، وغيرهم من العلماء ، هذا فضلا عن مؤلفات مونتسكيو وروسو التى تناولت المثالية الانسانية أو بعض الانباط الثقافية بالمناقشة والتحليل للخروج ببعض الاستنتاجات النظرية عن الانسان (٢) .

ويذكر تشايلد V.G. Childs (٣) خلال القرن الثامن عشر أصبح العلماء على دراية اكبر بالمجتمعات الانسانية التى تختلف أساسا من المجتمع الاوربى ووجدوا بين « المتوحشين » تشكيلة غير متوقعة من النظم الاقتصادية والتكنولوجية ، وهكذا حاول ميرجسون سنة ١٧٦٨ أن يقارن الوحشية بالبربرية والمدنية .

وفى سنة ١٨٥٠ حاول هربرت سبنسر أن يتوصل الى قانون التطور الثقافي الذى تخضع له « مجموع المجتمعات بترتيب هرمى » .

وقد سار فى هذا الطريق سير هنرى مين فى دراساته عن القانون القديم ، وباخوفن فى مجال دراسته عن القرابة فى « حق الام » سنة ١٨٦١ ، ومالك لبنان فى كتابه عن « الزواج » سنة ١٨٨٦ وتابلور الرائد الحقيقى للدراسة البريطانية فى « الانثوجرافيا » والذى صاغ فرضيته الاساسية فى المقولة الاتية : من الممكن أن نعامل الجنس البشرى باعتبارها ذا طبيعة متجانسة رغم وجوده على مستويات مختلفة من الحضارة ، واذا تجاهلنا الاختلافات الناتجة عن الوراثة والبيئة أو الاحداث التاريخية فان ما يتبقى لنا هو مجتمع عالمى خاضع « لقوانين عامة » .

وغنى عن القول أن الثقافة هي نسق من الأجزاء المترابطة  
Culture is a system of interrelated parts ويعبر نسق القيم في المجتمع  
أفضل تعبير عن العادات والتقاليد والإعراف والمحرمات والأمور المرغوبة  
في المجتمع . ومن هنا فإن الطفل يكون مفتقدا في لحظة الميلاد لنسق  
المعتقدات والمعرفة وأنماط السلوك المعتاد ولكن من هذه اللحظة فصاعدا  
وحتى الوفاة يشارك كل منا في مدرسة عابدة هي مدرسة الحياة تعلمنا  
تعالمتنا الأصلية :

From that moment until we die, each of us participates in a  
kind of universal schooling that teaches us our native culture» (o)

ويذكر أبو زيد (٦) أن علماء الأنثروبولوجيا الثقافية خلال القرن  
التاسع عشر قد وقفوا مواقف متباينة من العموميات universals  
والخصوصيات الثقافية Specialities (٧) في الوقت الذي كانوا  
ينظرون فيه للثقافة على اعتبار أنها التشكيل المتكامل للسمات والعناصر  
التي تتجسد في كل مجتمع وفق مبدأ معين أو مجموعة من المبادئ .

فالثقافة على ما يذكر ميرفى (٤) هي أساليب الحياة الخاصة  
distinctive life styles characteristic والمميزة للمجتمعات المختلفة  
of different societies» .

وهي تتضمن وسائل الاتصال بالغير حيث تبرز أهمية اللغة وغيرها  
من أساليب الاتصال إذ أن لازلي هويت White ما يقرر أن الثقافة تتضمن  
نسق من الرموز System of symbols فهي العنصر الفعال  
في أي ثقافة إنسانية ومع أن هؤلاء العلماء قد ركزوا على المبادئ

وإنساق القيم السائدة إلا أنهم ظلوا ينظرون للثقافة وفقا لرؤى  
سيكولوجية أو تاريخية بل أنهم اخطئوا كذلك في تفسير تشابه السمات  
الثقافية لدى كثير من المجتمعات المتباعدة في الموقع الجغرافي فالبعض رأى  
أن هذا التشابه يعود بدوره لتشابه الظروف الطبيعية السائدة  
في تلك المجتمعات بينما رأى البعض الآخر أن هذا التشابه يرجع لظروف

---

(٧) تمثل العموميات في وحدة التقاليد والعادات والمشاعر لكل أعضاء  
المجتمع بما يضمن للمجتمع تجانسه بينما تمثل الخصوصيات التقاليد  
والعادات والمشاعر التي تسود في قطاعات جغرافية أو لدى شرائح  
سكانية معينة دون أن تتعارض مع العموميات .

اتصال هذه الثقافات بعضها ( بالبعض الآخر ) وهو ما يعرف باسم عملية « الاتصال الثقافي » أو « الانتشار الثقافي » Diffusion of culture بمعنى أن ينتقل المركب الثقافي بكل ملامحه وسماته من مجتمع لآخر ، والاتجاه السائد الآن في الأنثروبولوجيا الثقافية يركز على الدراسات الحقلية للثقافة مجتمع معين وعلى التفهر الناتج عن الاتصال الثقافي مع الاعتماد عن تتبع مراحل تطور الثقافة الانسانية بصفة عامة أو ترتيبها بحسب رقيها واتحطاطها .

وقد حدد عاطف غيث (٧) العوامل التي تلعب دورا في التفسير الثقافي في العوامل الداخلية والخارجية كما استشهد بحجوب في معرض حديثه عن طرق البحث التي يعتد عليها في جمع المادة الانثوجرافية في الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة اسكارلويس عن « لايفدا أو الحياة » وهي دراسة عنيت بحياة اسرة من بورتوريكو تعيش ثقافة الفجر في الولايات المتحدة حيث استعان الباحث بالملاحظة بالمعيشة من خلال المشاركة في شتى المناسبات والمواقف وتسجيل تاريخ حياة الأشخاص والتركيز على مشكلات وأحداث معينة في حياة الاسرة من خلال استخدام صحائف المقلبة ( الاستبيان ) وبض الأدوات والاختبارات المعروفة في علم الاجتماع والنفس فضلا عن الدراسة الكلية للحياة الاسرية من خلال الملاحظة والمناقشة والتسجيل التفصيلي للأحداث .

ومن الدراسات المعبرة من هذا الفرع من فروع الأنثروبولوجيا دراسة روبرت ريدفيلد R. Redfield من شان كوم Chankom (٩) وهي القرية التي درسها في الثلاثينيات وعاد لدراستها في نهاية الاربعينيات ليكشف عن التغير الثقافي Cultural change الذي تعرضه له القرية وهو يصف في مقدمة دراسته حالة هذه القرية المنعزلة بقوله :

«In its situation in the bush apart from roads and rail roads, physically isolated from town and city».

ثم يذكر في المقدمة نفسها ما حدث من تغير بقوله :

«The villagers had committed themselves to progress and civilization sovigorously».

وغنى عن القول كما سبق أن ذكرنا أننا ينبغي أن نتصل بالناس في المجتمعات الصغيرة التي ندرس أنماطها الثقافية اتصالا وثيقا ، وهنا يذكر ميرف :

«living in close interaction with the people of a small community makes one a participant in a culture whether he or she wants to be or not (he) is the center of attention throughout his stay.»

وقد تأثر روجر باستيد R. Bastide (١١) بكتابات كلاكوهن C. Kluckhohn وتعريفاته عن الثقافة وذكر أن التخصص في الأنثروبولوجيا الثقافية يتميز بـ :

١ — انه الوحيد الذى يدرس كل جزئيات الواقع :  
The only one who studies all the aspects of reality.

سواء اللغة أو أساليب الإنتاج أو التنظيم الاجتماعى .

٢ — انه يركز اهتمامه على الحقائق الثقافية cultural facts  
التي تبين أن النظم الاجتماعية لا توجد بنى عن الأفراد الذين يشاكون فيها وإن هذه المشاركة بدورها لا توجد بدون نسق للقيم يشكل الإطار الذى يوجد فيه الأفراد والجماعات .

٣ — أهمية الاستقصاء عن النماذج البنائية والثقافية من جهة ومعرفة القوانين والميكانيكيات التى نعمل بموجبها هذه النماذج من جهة أخرى .

ويسطرز الامر هنا المعرفة التعميقة للمجتمع والفهم الشمولي للثقافة  
indepth knowledge of one society and also the Complete  
understanding of the totality of culture etc—

ويلزم عالم الأنثروبولوجيا الثقافية أيضا أن يستقصى من ميكانيكيات التفهم الثقافى من جهة وأن يقارن مع ثقافات أخرى من جهة أخرى cross c ulture studies والمجتمع المصرى هو أكثر شعوب منطقة الشرق الأوسط احساسا بوحدة الثقافة فيه تتركز على ما يذكر محمد الجوهري (١٢) أكبر المقومات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية للتكامل والوحدة وتعتمد الدراسة الأنثروبولوجية مطلبا حيويا لمواجهة المشكلات المحلية ليتحقق التكامل العربى لهذا المجتمع .

ومن هنا نلنا سنعرض نموذجا لبعض الدراسات التى تدخل على مجال الأنثروبولوجيا فى مجتمعنا وهى ظاهرة الموالد وظاهرة الكتابة على هياكل المركبات ثم المعتقدات والمصارف الشعبية فى قرية غرب اسوان ثم للتنمى الثقافى للظهر الزراعى فى مدينة متروبوليتانية .

## ١ - الموالد (١٣) : (ج)

وهى دراسة انثروبولوجية للموالم كظاهرة ثقافية شعبية حيث تتضمن الموالم ٣ عناصر شعائرية هى :

**زيادة الفريخ ، والذكر ، والموسكب** وتتضمن زيادة الفريخ ثلاثة الماتحة على روح الولى ولابد من الايمان بقدرته وطلب معونته كذلك لتسهيل انزيرة القمامة وزيرة الفريخ لا تكون قاصرة على الرجال والشباب بل والنساء أيضا ، فكل شىء مباح للسيدات حتى الاقابة فى صحن المسجد وتناول الطعام مع تقديم النذور ، وزيرة المقصورة والفريخ مناسبة للحصول على البركة حيث تلجأ كثير من السيدات لاستخدام المناديل لهذا الغرض والاحتفاظ بها ليتمسح بها بقيسة افراد الاسرة ممن لم يتمكنوا من الحضور للزيرة والموالم مناسبة هامة لتفسير فيها كسوة المقصورة أو عباءة الولى فيسمى الجميع للحصول على قطعة صغيرة باى ثمن ويستقل بعض خدام المسجد هذه المناسبة فيبيعون هذه القصاصات نظير مبلغ نقدية تتبشى مع القدرة المادية للشخص الذى يرغب فى ذلك ، والتناقض الواضح هنا أن الناس يحاولون المساجد والكنايس الى اماكن للمعيشة وقضاء الحاجة ، وبالتالي يتحول ما هو مقدس sacred الى دنيوى secular أما الذكر فتؤديه الجماعات الصوفية بقصد ذكر أسماء الله أو صفاته أو افعاله مع ذكر رسل الله وانبيائه ، ومن الذكر ما هو ثناء على الله ، ومنه ما هو دماء أو طلبه وترى هذه الجماعات أن الذكر يؤدى للطاعة وتجنب المعاصى بينما يصاحب الذكر بالانتماساد الدينى الذى يؤدى بمصاحبة الموسيقى أو بغير مصاحبتها حتى تساعد الجماعة على التواجد والشطح والهزات العنيفة حيث يتحرك الاتباع ويرقصون طريا تحت قيادة الشيخ الذى يقود الذكر ويصدر التعليمات .

فهو يسمح بدخول الاعضاء أو قد يقتصر الذكر على الاعضاء أنفسهم كما يتم الذكر عادة فى السرايقات والخيام حيث يستخدم مكبرات الصوت بينما تدلع النقود للهنشد لتشجيعه على حسن الأداء ولتحية الولى المحتفى به وافرأاد الفرقة الموسيقية الذين يحضرون هذه المناسبة ،

---

(ج) قام بهذه الدراسة أ.د. فاروق أحمد مصطفى خلال على ٧٥ ، ١٩٧٦ فى كثر الدوار والمنصورة وطنطا ودسوق والاقصر وقنا والاسكندرية والقاهرة حيث تتبع الموالم المسيحية والاسلامية .

وقد يسمح في بعض الأحيان باشتراك المرأة في الذكر كما قد تمنع في أحيان أخرى أما **المواكب** فهي تجمعات دينية شائعة بين أهل الطرق الصوفية والتصد منها لفت الانتظار لبعض الشعائر الخاصة بهذه الطرق والاشارة الى قوة العقيدة ، ورفع لواء الاسلام بين الناس حيث يطوف الموكب بأحياء معينة ، وترى الجماعات الصوفية أن هذه المواكب هي أحياء للسنة النبوية وإعلان لتبليغ الجماعة كما تمارس المواكب في الليلة الكبرى للمولد أو في موالد الأولياء وتتدخل الدولة عادة في تنظيم الموكب وحفظ النظام ويتم تنظيم الجماعات المشتركة بحسب ترتيب مكانتها الاجتماعية بينما تنشُد الجماعات إبلان سرها أناشيد دينية خاصة بسيطة الكلمات تعتمد على الإيقاع مع حمل الرايات وهم يحاولون أن يحافظوا على الوحدة الكلية للشهد ولا يتم ذلك الا من خلال قيامهم بتأدية ادوارهم كليلة وينفعل الناس عادة بهذا المشهد بينما تذوب الفروق الثقافية الخاصة بمن يشاركون فيه .

## ٢ — ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات في المجتمع المصري (١٤) :

لاحظ الباحث العالم سيد عويس ما يكتبه أصحاب السيارات واللوريات والمصريات وما يكتبه سائقوها من كلمات وعبارات تحيل معاني تتضمن الوقاية وتلج في تحقيق السلامة فهي أسلوب من اساليب مواجهة المجهول في مجتمعنا وقد جمع ما كتب باعتبار أن ما يكتب على المركبات يعكس بدوره المناخ الاجتماعي والثقافي بين والكثير من العناصر الثقافية غير المادية كما تؤكد الباحث أنه أمام جهاز شعبي كبير ( المركبات ) يتحرك على امتداد المدن والقرى والمناطق الصحراوية لجمع نحو ألف كلمة وعبرة مكتوبة واستقصى من أصحابها عن الهدف من كتابتها ، وقد شملت الدراسة أصحاب المركبات في احدى عشر محافظة هي القاهرة والجيزة وأسوان والإسكندرية وبنى سويف والدقهلية والغربية وكر الشيخ والشرقية والقليوبية وديياط والإقصر والبحيرة .

واستخدمت الدراسة الملاحظة وتحليل المضمون .

---

(\*) قام بهذه الدراسة الاستاذ الدكتور سيد عويس في الفترة من ٦٧ حتى ١٩٧٠ وصدرت هذه الدراسة في مؤلف رائد بعنوان هتاف الصابطين — القاهرة ١٩٧١ .

وكانت العبارات موضوع الدراسة تعبر عن ٣ أنماط رئيسية :

**الاشكال الشعبية :** ( ٣٨٪ من مجموع العبارات )  
ثم الاشكال الدينية ( ٣٢٪ من مجموع العبارات ) ثم الاشكال  
« الأخرى » ( ٣٠٪ من مجموع العبارات ) وكانت الأغاني الشعبية ( )  
أكثر عبارات النوع الأول تردداً يليها التعبيرات الشعبية ( )  
ثم الأمثال الشعبية ( ) فالنصائح فالتحيات .

أما بالنسبة للنوع الثانى فكانت الدعوات والإبهالات أكثر تردداً  
الآيات القرآنية (ب) فالأحاديث النبوية ( ج ) ثم آيات الكتاب  
المقدس ( د ) .

**وفى النوع الثالث :** احتلت الأقوال الماثورة (١) المكانة الأولى يليها  
الاسماء الموصوفة (٢) ثم الاسماء بالمعبارات الأخرى .

وهكذا أصبحت الدراسة عن أن هذه العبارات تفتقر من التراث  
الثقافى للبحث وتضرب بجذورها فى أمساقه اذ يحرص كل سائق  
على أن يجعل العبارة المكتوبة معبرة عن فلسفة فى الحياة وأن يسبح  
سوته لن يقرأ هذه العبارات ، وتمكس هذه الفلسفة بدورها السمات  
الثقافية لشريحة كبيرة من يقودون هذه المركبات فى شوارع أزقة المدن  
والقرى وتمكس بالتالى نسق القيم وأساليب التفكير ومن هذه المعانى  
نجد الشكوى من الظلم ، وألحسوة ، والفراق ، والتحذير من الحسد ،  
والغضب ، والدعوة للصبر ، والاستسلام والقرب للأولياء ، ومنها  
ما يدعو للهبة والتعاون غير أن هذه العبارات تمكس التدين والتمسك  
بالفضيلة والاستسلام للقضاء والقدر وتصح عن الخصائص الثقافية  
التي تضرب بجذورها فى أمساق التاريخ المصرى الفرعونى فالقبطى  
والاسلامى .

- 
- (ج) مثل « أروح لين » و « يا ظالمى » ( ) مثل أنا « حلو »  
و « خليها على الله » . ( ) خلى بالك ولا تغضب .  
( ) مثل ابن الوز عوام ويا ناس يا شر كساية قر .  
( ) مثل امعل الطيب و « صباح الفل » .  
(١) أسرتها يا رب « وتصحك المسالمة » (ب) مثل الله أكبر  
( ج ) مثل أنا الامال بالنيات مثل ( د ) « الله محبة » (١) مثل الصبر  
حلو (٢) مثل البطل الرومانى (٣) مثل المارد .

### ٣ — المعتقدات والمعارف الشعبية في غرب أسوان (١٥) تزخر

قرية غرب أسوان بوجود عدد كبير من الأولياء وعلى الطفل الصغير أن يزور الولي في الأسبوع الأول لمن عبره كما أن العريس والعروس لابد أن يذهبا كل منهما لزيارة الأولياء وفي المنازعات والمشكلات لابد أن يلجأ الناس للأولياء وهناك قصص أسطورية تحكى عن نشأتهم وكرامتهم المعجزة على شفاء الأمراض وقضاء الحاجات ، وهناك أولياء أكل شاة لا يعرف أحد عنهم شيئاً . وقد تختلط القصص عن أحد الأولياء فلا يعرف أن كان ولياً أم من الجان ومن بين أولياء القرية الشيخ البسطامى والشيخ نجم وغيرهم .

ويحرص من يزور الولي على أن يجلب من الضريح كمية من الرمل لينثرها في أركان منزله أو في حقله وتستخدم كذلك للاستحمام . كما أنه يلزم في حالة زيارة الولي أن يدور الشخص بالضريح ٧ مرات .

أما نظرة الناس في القرية للكائنات فوق الطبيعية فتتضمن تصور هذه الكائنات على أنها تعيش تحت الأرض وأنها تظهر في الأماكن المهجورة وفي الأتزان والمراحيض داخل المنازل .

وهي مخلوقات غير مادية من طبقة غير طبقة البشر وغير طبقة الملائكة ويطلق عليها « الجن » أو العنابر ويقصد بالجن الكائنات الخيرة بينما العنابر هي الكائنات الشريرة ، ويطلق عليها جميعاً في القرية اسم « الفصل » ويظهر في أشكال حيوانات ( أخصها الخسار ) ولا بد أن يحفظ الإنسان نفسه منها بحفظ القرآن أو حبله أو حبل مطواه أو قطعة حديد لحمايته ومن أبرز الكائنات هنا :

— الشيطان : هو إبليس نفسه ويطلق الاسم على من يسمى بالوقيمة بين الناس .

— الفصل : العنابر — روح القتل ويظهر للإنسان ضعيف الإيمان .

---

(\*) أجريت الدراسة الحقلية لقرية غرب أسوان في مطلع السبعينيات والجزء الذي أوردناه هنا عن المعتقدات وقد قام بها طلاب قسم الاجتماع بجامعة القاهرة تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد الجوهري انظر : محمد الجوهري — الأنثروبولوجيا — دار المعارف — ١٩٨٠ — ص ٤٦٦ .

- **الممبار :** غاريت تسكن الاماكن المهجورة ويهرب الناس من هذه الاماكن خشية الاذى .
- **الفبول :** وهو اقرب الشبه للبومة ويمكن ان يأكل الانسان .
- **المبارد :** ويظهر في شكل انسان .
- **القرين :** ويلزم الأب والأم وهم يعتقدون أن لكل شخص قرينا يلزمه فاذا مات الطفل أطلق عليه هذا الاسم ايضا .
- **الاسياد :** ومنهم قسم صالح عبارة عن مشايخ يحمدون الله ويهيبون من منطقة لآخرى .
- **الأرواح :** ويطلقون على روح الميت « جوهرة » تطلق للسماح بعد وفاة المرء أما روح الميت فيطلقون عليها عفريت وتهم حول مكان الحادث .
- **المسوسون :** يحدث « المس » للشخص اذا تمعرض لعفريت ولم يذكر « البسلة » بينما يرى البعض أن الشخص المسوس يتميز بالولاية .
- **بنات البحر :** اثنان صالحات تسكن البحر .
- **السيرافي :** جواد له أربعة أرجل ووجه يشبه الانسان .
- **المسيح النجال :** رجلا يركب دابة ويفسد في الارض ويمكن للسيد المسيح ( عيسى ) ان يقتله نظير امساده .
- **الطب الشعبي :** يلاحظ هنا وفرة الحشائش الطبية والاحجار والزمال ومن هذه الامشاب تستخدم الخميسيه لعلاج الكلى والقرنفل والحنظل وشجرة السنط والكمون والقوم لعلاج الامراض ، كما يلجأون احيانا للأعمال السحرية والزار وضرب الرمل .
- **والناس خبرة في علاج الجروح والكسور والالام الروماتزمية ، غير انهم أصبحوا يهتمون الآن بالعلاج لدى أطباء .**

## « المصادر »

Spradley and Mccurdy, conformity and conflict, U.S.A. — ١  
1981 pp. 1 : 12.

٢ — حسين فهمي — قصة الأنثروبولوجيا — عالم المعرفة — فبراير  
١٩٨٦ — الفصلين الثالث والرابع .

٣ — التطور الاجتماعي — ترجمة لطفي عطيم مراجعة كمال الملاخ —  
سجل العرب — القاهرة — ١٩٦٦ — الفصول الأول والثاني  
والثالث .

R. Murphy, Cultural and Social Anthropology. U.S.A. — ٤  
1988. pp. 40, 41.

Spradley and Mccurdy op. cit. pp. 4 : 10. — ٥

٦ — البناء الاجتماعي — ج ١ — ١٩٦٥ — الفصل الرابع .

٧ — القرية المتغيرة — القاهرة — ١٩٦٢ — المقدمة وص ١ : ص ١٨ .

٨ — محمد عبده محجوب — مقدمة في الاتجاه السوسيوأنثروبولوجي —  
الهيئة المصرية العامة للكتاب — الاسكندرية — ١٩٧٧ — الفصل  
الثاني .

A village that chose progress Chicago. 1950. preface. — ٩

op. cit. p. 222. . — ١٠

Applied Anthropology. New York. Evanston, Sanfran- — ١١  
sisco ; London 1973, ch. 8.

- ١٢— الانثروبولوجيسا — دار المعارف — القاهرة — ١٩٨٠ —  
ص ٣٥٠ : ص ٣٥٣ .
- ١٣— فاروق مصطفى — الموالد — الهيئة المصرية العامة للكتاب —  
الاسكندرية — ١٩٨١ .
- ١٤— سيد عويس — عتاك الصامتين — القاهرة ١٩٧١ .
- ١٥— محمد الجوهري . الانثروبولوجيا — المصدر السابق . ص ٤٦٧ .  
ص ٤٩٦ .
-

## التفكير النقدي

### للظهير الزراعى فى المدينة

#### دراسة فى الانثروبولوجيا الثقافية

#### اولا : الظهير الزراعى موضوع الدراسة :

اجريت هذه الدراسة على احدى الظهير الزراعية التابعة للقاهرة الكبرى وقد اجريت الدراسة الاولى سنة ١٩٧٨ ثم عاد الباحث بعد مرور ٦ أعوام لدراسة الظهير نفسه ( سنة ١٩٨٤ ) بعد ان تم ادخال التيار الكهربائى الى الجزء الشمالى من الظهير فذ حوالى ٣ سنوات على ان يستكمل مد كبلات الكهرباء للجزء الجنوبى من الظهير فى حقة لاحقة واستتبع هذا دخول الاجهزة الكهربائية وأهمها التليفزيون والريكوردر فى القطاع الشمالى بينما سارعت بعض ١ لسان فى القطاع الجنوبى الى شراء اجهزة تليفزيون واجهزة تسجيل ( تعمل بالبطارية او بالحجارة ... الخ ) .

وقد استبدلت القوارب الشراعية بلنشسات اكبر تعمل بالسولار ضمانا لمرمة الحركة بين الظهير والمدينة من جهة والمحافظة على ارواح الناس أثناء ابحارهم من وإلى الظهير من جهة أخرى .

اما التفكير الثالث الذى يسترمى النظر فهو اقتراب انتهاء العمل من « كارينو سياحى » فى أقصى الطرف الشمالى للظهير وتخصيص موانئ خاضعة لتقل الرواد اليه . وهو المشروع الذى ما زال يلقى مقاومة كبيرة من اهالى المنطقة .

والظهير الزراعى موضوع الدراسة يعد احدى المجتمعات المحلية التابع اداريا لمحافظة الجيزة بينما يقع فى المجال الاقليمى للقاهرة الكبرى ويشكل جزيرة مستطيلة تقع فى وسط نهر النيل وتحيطها المياه من جميع جوانبها وهى تمتد بمحاذاة الجزء الجنوبى لمدينة القاهرة والجزء

الجنوبى لمدينة الجيزة حيث تنتشر العديد من المؤسسات الصناعية في هذه الاطراف الحضرية ، لا توجد اى مؤسسات صناعية داخل الظهير اذا استثنينا وجود بعض المبال - لا يتمدى مجموعهم اصابع اليد الواحدة - يقومون بصناعة القوارب بطريقة بدائية ولا توجد بالظهير اى مؤسسات اقتصادية او خفية تابعة للدولة اذا استثنينا بعض المدرسين - لا يتمدى مجموعهم اصابع اليد الواحدة - يقومون بتعليم الابناء الذين يرغبون فى الحصول على شهادة اتمام التعليم الاىامى دونها اضطرار للتردد على المدارس الابتدائية فى المدينة حيث يتم التدريس فى حجرة مستقلة او فى الحجرات الملحقة بالمسجد .

ومعظم البيوت فى الظهير تتكون من طابق واحد ومشيدة من الطوب الاجبر مع استخدام الطين او الاسمنت . او الطوب اللبن . والارض الزراعية فى الظهير مخصصة لغراض ثلاثة :

**الزراعة ، والسكن ، واقامة بعض مشاريع تسخير المائية وتربية الدواجن ( بعمرية بعض اصحاب المشاريع الخاصة من خارج المنطقة )** كما توجد اشكال للحياة الملكية الخاصة ، والارض المملوكة اى يتم تأجيرها للفرد ، وارضى يتم تأجيرها من الاصلاح الزراعى اراضى طرح القهر ويتم تأجيرها من المحافظة .

ويستعين الفلاح مادة بالنواتج الانتاج البسيطة كالفاس والمحراث حيث تزرع المحاصيل غير التقليدية وتوجد نحو ٤ مبروات زراعية خلال العام وبينها يقوم الظهير بد العاصبة بهايتها من الخضر والالبان الطازجة يقوم سكان الظهير بشراء معظم السلع فضلا عن اللحوم والاسماك والاجهزة وقطع الاثاث ... الخ من المدينة فالظهير الزراعى متصل بالمدينة المتروبوليتانية اتصالا وثيقا فهو يعتمد على المدينة اعتمادا كاملا فى الحصول على متطلبات السكان فيه واذا كان الظهير بالنسبة للمدينة هو العمود الفقرى للمواد الغذائية ( فان المدينة بالنسبة لسكان الظهير هى الجنبية الزراعية والمتجر والمخبز ومتجر الاتمسة والمستشفى بل ان التجار فى المدينة ممن يقومون بشراء المحاصيل الزراعية يقرضون نفوذهم فى توجيه الانتاج الزراعى ودفعه وتشكيله وتحديد خصائص النمط الانتاجى السائد فى المنطقة فهم يطمعن مقدم الشئ للفلاح ويحددون نوعية المحصول الذى يتسلمه التاجر بجملة دون أن يكون للفلاح نصيب فيه . هذا بينما تمشى النظم الاجتماعية المختلفة مع نمط الانتاج السائد فى الظهير فبالعدد الكبير من الاطفال ممن تحتاج اليهم زراعة الخضر كما ان قابلية الفكر يحملون داخل الظهير فى زراعة

الأرض المخصصة للأسرة دون أجر مما يعمل على دمج قيم التماسك  
الأسري داخل المجتمع المحلي (١) .

ويستمرى النظر في الظهير العزلة الأيكولوجية النسبية التي فرضتها  
ظروف المجتمع وطبيعة الحياة في المنطقة .

### ثانيا : الأسلوب المتبع في الدراسة الحقلية :

استخدم الباحث في الدراسة الأولى والثانية الملاحظة بالمشاركة  
وصحيفة الاستبيان ( المقابلة الشخصية ) وقد تضمنت العينة التي طبقت  
عليها استبارة المقابلة في السبعينيات ١٠٠ أسرة من مجموع أسر الظهير  
البالغ عددها نحو ٣٠٠ أسرة (٢) في ذلك الوقت بينما تضمنت العينة التي  
أجريت عليها الدراسة الحقلية في الثمانينيات ٣٨٩ أسرة تشكل أكثر من  
ثلثي الأسر التي تعيش في الظهير لآزرعى في الوقت الحاضر .

وتضمنت الاستبارة الأولى عدد ٩٤ سؤالاً وجهت لأرباب الأسر  
بينما تضمنت الصحيفة الأخيرة عدد ١٠٢ سؤالاً وجهت لأرباب الأسر  
بتصديق المقارنة بين مجموعة من المتغيرات الثقافية قبل وبعد دخول التيار  
الكهربائي إلى المجتمع المحلي الذي ما زال محروما من المياه النقية والصرف  
الصحي ( فضلا عما سبق ذكره من مشكلات تتعلق بأوجه القصور  
في السياسة الاجتماعية تجاه سكان المنطقة ) .

### ٣ - معطيات الدراسة الحقلية :

وقد انحصرت الدراسة الحقلية عن العديد من المتغيرات الثقافية  
التي اختلفت في الثمانينيات عنها في السبعينيات بينما استمر الوضع  
قائم بالنسبة لمجموعة أخرى من المتغيرات الاجتماعية والثقافية فلم ينال  
منها التغيير شيئا وإذا كنا نجزم بأن السنوات التسع التي مرت بين  
الدراسة الأولى والثانية لا تمثل حقبة زمنية كافية تتغير فيها البنية  
الاجتماعية أو الثقافية التي يفترض أنها تتغير ببطء شديد في المجتمعات

---

(٢) هذا فضلا عن دراسة حالة لعدد ٢٠ حالة تم دراستها بموجب  
دليل متعلق لدراسة الحالة .

التقليدية والظهر الزراعية إلا أننا نزمع أن مجلة التغير الاجتماعى السريع التى تمر بهما المدن المتروبوليتانية — بظهورها واطرافها الحضرية — لابد أن تتبادل التأثير والتأثر مع هذه المجتمعات المحلية الصغيرة كما أن دخول التيار الكهربائى وانتشار أساليب الاتصال الجمعى فى هذا الظاهر ( شبه التعمزل جغرافيا ) لابد أن يؤثر بفاعلية على شبكة العلاقات الاجتماعية وأساليب الثقافة المادية وغير المادية فى المجتمع المحلى ويمكن أن نلاحظ الآتى :

( أ ) اتضح أن معدلات الأمية ما تزال كبيرة إذ أن ٧٧٪ من مجموع أرباب الاسر فى السبعينيات مقابل ٧٢٪ من مجموع أرباب الاسر فى الثمانينيات أميين ، وغنى عن القول أن عدم وجود مؤسسات تعليمية فى الظهير وخوف الاسرة وخشيتهما على اولادها من التعرض للحوادث فى حالة ركوب القارب ذهابا وايلا فضلا عن اغراء العمل الزراعى واتخااط الذكور من الاولاد به فى سن مبكرة لحساب الاسرة والانصراف من تعليم الاثنى تقف جبيما وراء ارتفاع هذه المعدلات .

( ب ) انخفض معدل العالبلن بالزراعة من ٨٨٪ فى السبعينيات الى ٧٠.٢٪ فى الثمانينيات والعالبلن فى المجال الصناعى خارج الظهير من ٩٪ الى ٨.٢٪ فى الثمانينيات بينما ارتفع معدل المشتغلين بالتجارة من ٣٪ الى ٩٪ وبرزت نسبة العالبلن بالاشغال الاخرى سنة ١٩٨٧ لتصل الى ١٢.٦٪ وأبرزها هى مشروعات تسعين الماشية فضلا عن اشغال الخدمات التى يستقر معظمها خارج المجتمع المحلى ، وهذا يعنى الانخفاض النسبى لمعدل العالبلن بالزراعة وإن كان معدل الحائزين لاراضى زراعية قد ظل ثابتا فهو ٦٧٪ فى السبعينيات مقابل ٦٧.٦٪ فى الثمانينيات بينما ارتفع معدل من يملكون رؤوس الماشية ( كالأبقار والجاموس ) من ٧٢٪ فى السبعينيات الى ٨٠٪ فى الثمانينيات إذ أن الاسرة تنتفع عادة من بيع اللبن وتستفيد من روث الماشية فى صنع « الجلة » الذى تود به الامران داخل المنازل . وهكذا اصبح التغير المهنى تمثلا فى الاتجاه لامبال الخدمات واقتناء الماشية بقصد الاتجار فيها . وهى كلها تغيرات بسيطة تلعب دورا كبيرا فى تغير البناء الاجتماعى والنسق الاقتصادى .

( ج ) تلصح البيانات الخاصة بالمسكن عن حقائق هامة فقد ازدادت نسبة الاسر التى يصل حجم مسكنها الى ٤ حجرات فأكثر من ٤١٪ الى ٨٠٪ وغنى عن القول أن السنوات الأخيرة قد شهدت ازديادا فى عدد الأبناء المتزوجين الذين تضمهم العائلات الممتدة ، ومن ثم فإن الاسرة تقوم ببناء حجرة اضافية — رغم قرار حظر البناء على اراضى زراعية —

اذ ان الحجرة الاضافية تستقطع عادة من المساحة المحيطة بالمنزل كما ان بعض العائلات قد اضطرت الى تحويل حظيرة الماشية الى دورة مياه مع اخراج الماشية خارج الدار ( نظرا لتوفر الابن داخل الظهير ) ومصادق ذلك ان عدد الزرائب في الظهير قد انخفض من ٨٦٪ في الدراسة الحظية الاولى الى ٦٤٪ في الثمانينيات رغم تزايد عدد الحائزين لرؤوس الماشية . كما ان بيوت الظهير التي كانت تضم دورات مياه كانت تصل الى الثلث في السبعينيات فارتفع معدلها الى ٧٥٪ في الثمانينيات « فالصغار قد كبروا » وليس بمعتولاً ان يقضوا حاجاتهم الطبيعية خارج المنزل .

وقد ارتفع بالمثل معدل من استخدموا الطوب الاحمر في تشييد منازلهم او استخدموه في اضافة تصحيلات للمنزل من ٦٨٪ في الحقبة الاولى الى ٩٢٪ في الحقبة الاخيرة ، وغير خاف ان الطوب الاحمر اكثر صلابة من الطوب اللبن مما ادى لتغير الشكل المرمولوجي للظهير .

( د ) وقد ارتفع معدل من قدّموا لزوجاتهم مهراً يزيد على ٢٠٠ جنيه من ٢٨٪ الى ٣٨٪ ، وليس بخاف ان الزيجات هنا تتم بين الاقارب مما يجعل تربة المهر مخفضاً في الحقبين .

غير ان معظم القرارات الاسرية لا زالت من سلطة الزوج وحده بل ان بنساء القوة المتبركز في شخصية الزوج قد ارتفع معدل من ٥٩٪ الى ٦٤٪ في الدراسة الحظية الاخيرة بينما اقتنع ٢٠٪ من ارباب الاسر في الثمانينيات بأن القرارات الاسرية من سلطة الزوجة وحدها فهي تعرف كل صغيرة وكبيرة من الاسرة ويتم ذلك عادة بالنسبة للزوجات كبار السن حيث ترتفع مكانة الزوجة كام وجدة لمسدد كبير من الذكور والاثاث داخل المنزل ، وهكذا نجد انه رغم تسلط الرجل الا ان نسبة تعدت خمس ارباب الاسر أصبحت توكل بمهمة اتخاذ القرار للزوجة وحدها وهي نسبة ليست بقليلة .

( هـ ) انخفضت نسبة من لديهم وقت فراغ من ٧٠٪ في السبعينيات الى ٥٦٪ في الثمانينيات اذ ان ضغوط الحياة المتزايدة قد زادت بدورها من حجم المسؤوليات الاجتماعية والاتصالية والمقناة على عاتقهم كما انخفضت نسبة من يقضون وقت فراغهم في المنزل او في زيارة الاقارب من ٥١٪ الى ٤٢٪ في الحقبة الاخيرة وهو ما يوضح زيادة اعباء ارباب الاسر رغم وجودهم في مجتمع زراعي بسيط يمارسون فيه الزراعة التقليدية داخل المدينة الكبيرة .

(و) ارتفع معدل من يستمعون للبرامج من ٨٨٪ من كانوا يستخدمون الراديو « الترانزستور » إلى ٩٣٪ من يستخدمون الراديو الترانزستور في الحقل والراديو الذى يعمل بالكهرباء في المنزل غير أن نسبة من يشاهدون التلفزيون قد ارتفع من ٤٪ كانوا يستعملون التلفزيون الذى يعمل بالبطارية سنة ١٩٧٨ إلى ٨٧٪ يستحوذون على أجهزة تلفزيون بعد دخول التيار الكهربائى للظهر — او لديهم أجهزة تعمل بالبطارية لحين دخول التيار الكهربائى للقطاعات المتطرفة في المجتمع المحلى — وهم يحرصون عادة على مشاهدة المسلسلات عليها البرامج الدينية ثم نشرات الاخبار مالاغاثى ثم مباريات كرة القدم وهذه النسبة الكبيرة توضح الدور الكبير الذى بدأ يلعبه التلفزيون في حياة الاسرة المرفهة داخل الظهر الزراعى فقد أصبح الصديق الذى لا يسهل الاستغناء عنه ومصداق ذلك ما ذكره السكان من أن الناس لم تعد تنام الآن قبل العاشرة مساء بعد ان كانت تنام مبكرا من قبل .

وقد ذكرت العينة المدروسة ان التغير قد اصاب الجميع وان اكثر من اصلهم التغير هم صغار الذكور بل وكبارهم ايضا يليهم الاثلاث الصغار وقد اوجزوا هذا التغير في أن الظهر الآن أصبح يشهد افكرا افضل نتيجة لنضج الناس وازدياد وعيهم واتساع ادراكهم للحياة كما ظهرت بعض العلاقات العاطفية بين الجنسين فضلا عن ظهور بعض صور الانحراف كالنفاق والرياء من جهة وازدياد حدة المشاجرات بين الناس من جهة اخرى . وهكذا يبدو أن لاساليب الاتصال الجمعى وابرزها جهاز التلفزيون اثرها النعالي في التغير الثقافي داخل الظهر .

( ز ) انخفضت معدلات ممارسة القروض من ٦٪ في السبعينيات إلى ٦٦٫٧٪ في الثمانينيات واداء الزكاة من ١٠٠٪ إلى ٨٠٫٧٪ ولا ينبغي أن ينسب هذا التأثير للتلفزيون واساليب الاتصال الجمعى آذ أن الضغوط الحياتية وتزايد المشغوليات تؤدي دورا لا ينكر في خفض معدل هذه الممارسات ، هذا بينما ازداد معدل من قاموا باداء فريضة الحج من ٩٪ إلى ١٥٫٢٪ ، وقد زادت نسبة من وافقوا على تعليم الانثى تعليميا عاليا من ٦٧٪ إلى ٧٢٪ كما ارتفع معدل من يرون أن من حق الانثى ان ترتدى زيا عصريا ( موضحة ) من ٧٪ إلى ٩٨٪ كما ارتفع معدل من ينظفون نسلهم من ٢٩٪ من مجموع الاسر في السبعينيات إلى ٤١٪ في الثمانينيات وأصبحت الاسرة اكثر ميلا لاستخدام الاجهزة الحديثة ، فقد قام ٥٠٪ من مجموع اسر الظهر بشراء الغسالة الكهربائية وقام ٣٧٪ من الاسر باستخدام الخلاجة الكهربائية وهو ما يعكس ارتفاع معدل النخول في الظهر ، والامر الملفت للنظر برغم أن المجتمع المحلى ما زال محروما من

المياه النقية الا ان الاسرة في الظاهر أصبحت أكثر ترحيبا بالتصديت  
والتغير الثقافي — في جوانبه المادية وغير المادية — في الآونة الأخيرة  
بأى صورة من الصور .

وتتفق هذه النتائج مع ما أورده البعض من التغير الثقافي في مجتمعات  
محلية مماثلة فقد أورد جين دافينجود J. Duvignaud (٢) في دراسة  
لقرية تونسية وهي قرية Syebika أن القوى التي تصنع التغير  
الثقافي تهدد عزلة المجتمع المحلي التقليدي وأن الباحث ينبغي أن يدرج  
نفسه جيدا لدراسة القوى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المسؤولة  
عن ذلك بل ان سيسيل هوراني Cecil Hourani في تقديم هذه الدراسة  
تستطرد في القول بأن مهمة عالم الاجتماع لا أن يدرس فقط بل أن يغير  
أيضا أو على حد تعبيره :

Sociology .. perhaps for the first time .. reveals, its full  
Capacities not merely to study men, but also to change them».

فقد ظهر أن شبیکا بالفعل كنتيجة للتغير الثقافي قد اكتشف هويتها  
بينما ازداد توقع التغير — حده — من ذي قبل .

كما ان روبرت ردفيلد R. Redfield (٣) عاد الى شأن كوم سنة  
١٩٤٨ — بعد زارها في المرة الاولى في سنة ١٩٣٠ : سنة ١٩٣٣ —  
حيث قضى ٦ أسابيع في القرية — مع زوجته وابنه — قد لاحظ أن القرويين  
يملكون للتقدم والاختذ بسبل الحضارة بشدة فقد انتفعت القرية من  
البعثة التي علمتهم حرف التجارة وصناعة الخبز والجلود كما ازداد  
التحول الى الحياة الحضرية حيث تمت عمليات اجتماعية وثقافية ملموسة  
في البناء الطبقي وعملية التحضر لخصها ردفيلد بقوله :

«In these seventeen years chankom has become a Com-  
munity soprovided, in its own inhapitants with artisans and mer-  
chants that it now depends little for such services on the towns  
etc...».

كما اشار ردفيلد كذلك للتغيرات التي حدثت في النظام التعليمي  
ووسائل الاتصال الجمعي حيث سعت الانثى الى تغيير ملبسها بصورة  
لموسة متشبا مع تغير الاوضاع في هذه القرية المكسيكية .

وما حدث في الظاهر الزراعي موضوع الدراسة الراهنة سيؤدى

الى تغير ثقافى ملموس بمرور الوقت ليس فقط نتيجة لدخول التيار الكهربائى ومظاهر التحديث للمجتمع المحلى بل لازدياد حدة الاحتكاك بين سكان هذا المجتمع والمدينة المتروبوليتانية وهو الامر الذى يلت رولف Susanne. H. Rudolph (٤) النظر اليه من ان وسائل الاتصال مستحطمة عزلة القرية حيث يزداد اتصالها بالعالم الخارجى ومظاهر التصنيع الحديث وسبل الحضارة المادية .

كما انه اذا تم اتصال الظهير الزراعى بمجتمع العاصمة — بواسطة طريق يبرى مأمون فلا بد أن يزداد ذلك من حدة التفاعل بين المجتمع المحلى والمجتمع الاكبر فالتغير الثقافى اذ ذاك سيلحق بأساليب الثقافة المادية وغير المادية بل ان الانساق كلها سيلحقها التغير بصورة مضطربة .

والشاهد هنا فى النهاية انه رغم ضالة التغيرات التى حدثت فى النظام المهنى فان زيادة الاتصال بالمدينة أصبح متلحا من خلال وجود القسوارب البخارية فضلا عن القسوارب الشراعية التى كانت معروفة من قبل ، وقد لحقت تغيرات مادية مسكن الاسرة واستخدام الحجرات ، ونوعية الاثاث والمهر المقدم للعروس وازدان حفل الزواج بالطرب واستخدام مكبرات الصوت ، بينما تغير بناء القوة داخل الاسرة فى بطن شديد فالرجل لا يزال حجر الزاوية فى الحياة الاجتماعية فى الظهير .

ومن المرجح ان تأثير دخول التيار الكهربائى واساليب الاتصال الجمعى قد ظهر فى استخدام الاموات التكنولوجية ، كما أن رياح التغير فى الاتجاهات قد بدأت تعمل بفاعلية فى المجالات المرتبطة بتعليم الانثى وزيادة استخدام وسائل منع الحمل ، وقد بدأت تظهر قبضة الوقت كما انخفضت معدلات ممارسة الفروض الدينية نتيجة لانشغال السكان فى العمل وفى مشاهدة برامج التلفزيون وكثرة التردد على المدينة لقضاء مصالحهم ، ومن المرجح أن تزداد الآثار الاجتماعية والثقافية فى الظهير بمرور الوقت نتيجة للتغير الثقافى .

« المصطلحات »

١ — ثروت أسحق — اثر التصنيع والتحضر على البناء الاجتماعى  
فى المجتمعات الصغيرة — رسالة دكتوراه غير منشورة — جامعة  
عين شمس — القاهرة ١٩٨٠ — الفصل الخامس .

Change at shebika, Introduction by R. Fernea .. U.S.A. — ٢  
1977 foreword. pp. vol. 285.

A village that chose progress. Chicago, 1964. pp. 20 : 48. — ٣

The modernity of tradition. in political Development in — ٤  
India .. Chicago .. 1967 pp. 17 : 29.

## مقدمة :

## مبـالـات

### « الأنثروبولوجيا الاجتماعية »

يذكر محبوب أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بدراسة الإنسان البيولوجية والاقتصادية ، والغرابية ، والدينية ، والقبلية والسياسية حيث تحظى نظم الزواج والمصاهرة ، وتنظم الإنتاج ، والتبادل ، والدين ، والسحر ، والمراث ، والسلطة ، والزراعة والجزاء ، والهجرة ، والتكوين السكاني ، والتفجيرات الديموجرافية على اهتمام علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

ومن هنا ظهرت فروع عديدة لدراسة هذه الظواهر لعل من أبرزها الأنثروبولوجيا الحضرية والزيفية ، والديموجرافية ، والطبية ، والسياسية ، والدينية ، والاقتصادية والأنثروبولوجيا التطبيقية وأنثروبولوجيا التنمية ويعنى كل فرع من هذه الفروع بدراسة النظم الاجتماعية في الإطار الاجتماعية المختلفة بحيث تدرس الأنثروبولوجيا السياسية على سبيل المثال نظم الزعامة والسلطة والثواب والعقاب في أنماط نماذج مجتمعية ( بدوية - قبلية - ريفية - حضرية ) ، وتنتهي بنتائج على درجة معينة من التعميم تقارن بين الإنسان السياسية على ضوء علاقتها بالبناء الاجتماعي وبشرط أن تكون هذه النماذج المجتمعية متنوعة ومتمايزة ، وقد كان مالفينوسكى واعيا بالدور الذي يمكن أن تلعبه الأنثروبولوجيا في التحليل وفي تشييد البناء المعرفي وبأن لها طموحات تطبيقية وقد قرر هذا منذ عشرينات القرن الحالي .

ويذكر مهمم أنه مع بداية الأربعينيات امتد نطاق توظيف أنثروبولوجيين واستخدامهم في أجهزة حكومية وفي مؤسسات صناعية عديدة وأنه يمكن الاستفادة من توظيف الأنثروبولوجيا وفروعها لخدمة أهداف الحرب بل وبمساعدة دول العالم الثالث التي بدأت تنال استقلالها السياسي لبلوغ التقدم والمتاحق بعبلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، ومن هنا ظهرت أنثروبولوجيا التنمية Anthropology of Development .

كما ظهرت في بداية الستينيات الدعوة لنشروع جديدة من  
الانثروبولوجيا من أبرزها **الانثروبولوجيا اللغوية** Linguistic  
Anthropology ومجالها هو دراسة اللغة في إطار شبكة العلاقات  
الاجتماعية والبيولوجية الاجتماعية Sociobiology التي تهتم بإبراز  
الاسس البيولوجية للسلوك الاجتماعي في المجتمع بالنسبة للإنسان  
وغيره من الكائنات كما ظهر المجال المصروف بالانثروبولوجيا أثناء البناء  
Indigenous Anthropology الاصليين .

وهناك مجموعة متميزة من الفرنسيين ومعهم أيضا نخبة من باحثي  
العالم الثالث وجهوا اهتمامهم لمجالات أخرى وظواهر أخرى للانثروبولوجيا  
الاجتماعية كالرأسمالية ، والنظام الطبقي ، والتمايز الاجتماعي ، والهجرة  
الريفية الحضرية ، والابريالية ، والاستغلال والتبعية وغيرها .

وسنحاول في هذا الباب أن نركز على أبرز مجالات الانثروبولوجيا  
الاجتماعية وهي المجال الحضري والصناعي والريفي والسياسي وأن نقدم  
مع كل مجال دراسة عقلية واحدة على الأقل أو أكثر على اعتبار أنه  
بدون الدراسة العقلية يصعب أن نتحدث عن الانثروبولوجيا إذ أنها  
ستكون آنذاك نظرية الطابع جافة المظهر مجردة من الوقائع الحياتية .

ومعظم الدراسات العقلية المشار إليها هي دراسات قام بها الباحث  
بفردة أو تحت إشراف هيئات بحثية أو جامعات مصرية .

## الفصل الرابع

### « الأنثروبولوجيا الريفيه »

تردد علماء الأنثروبولوجيا قليلا قبل اعادة تعريفهم لعلم الأنثروبولوجيا بأنه يتضمن دراسة كل الشعوب في شتى المواقف الاجتماعية والثقافية .

والمتتبع لتعريف هذا العلم كما جاء في اقوال وكتابات ايفانز برتشارد وراكليف براون وغيرهما لا خفى عليه ذلك فما زال الأنثروبولوجيين — على ما لا يذكر روبرت ريفيلد — يتحرك في عالمه المتسع تقوده فكرته الاولى وبفهمه التقليدى عن المجتمع البدائى فالسمادة الحقيقية هى في دراسة القبائل البدائية المنعزلة التى لا نعرف عنها شيئا .

غير ان عالم الأنثروبولوجيا قد استمرى اهتمامه أن المجتمعات « غير البدائية » تحفظ أختلافا كبيرا عن النموذج « البدائى » المنعزل لان المواطن القروى والحضرى يعيشان في ظل المجتمع ( الكلى ) مع اختلاف طرق حياتهما بصورة أو بأخرى .

ولان المجتمع القومى يضم هذه المجتمعات فهى تعد بدورها أجزاء من كليات اجتماعية وثقافية أكثر تعقيدا ، وقد ظل هذا الاهتمام بالمجتمعات الاكبر ينمو حين درسوا المجتمعات غير الاوربية في آسيا وأوربا وأمريكا اللاتينية (١) .

واذا كان علم الاجتماع الريفى ( الأمريكى النشأة ) قد جاهد مبنا في فهم مشكلات المجتمع الريفى — في ضوء السياق المجتمعى الذى توجد فيه — فدرسها بصورة تجزئية فان الأنثروبولوجيا الريفيه قد نجحت في دراسة الظواهر الريفيه في إطار البناء الاجتماعى الذى توجد فيه وتبنت علاقاتها الوظيفية بالظواهر الأخرى (١) .

وقد نجح ولكنج E. Wilkeny في معالجته السسيولوجية للمهارات الفنية في المجال الزراعى وتأثر في مياعته لفروض دراسته بأعمال وسلر Wissler ومالينوفسكى Malinowski وجون جيلين حيث فهم هؤلاء

الانثروبولوجيون انتشار السمات الثقافية في ضوء المركب الثقافي للمجتمع (٢) .

والواقع أن الاهتمام بالمجتمع القروي لم يك أحد الاهتمامات الأساسية للانثروبولوجيا — الاجتماعية والثقافية — فقد كان هدفها الاساسى التركيز على المجتمعات البدائية المنعزلة لفهم الانسان البدائى ، غير المتحضر .

ويرجع الفضل لروبرت ردفيلد في تعديل مسار الاتجاهات الانثروبولوجية التقليدية لتناسب دراسة المجتمعات القروية الصغيرة من خلال دراسة البقاء الاجتماعي في القرية باستخدام الملاحظة مع تحليل المادة الانثوجرافية التى يحصل عليها الباحث من صحائف الاستبيان (٣) .

والواقع أن كتابات هاركس قد شكلت شرارة الانطلاق في الاهتمام المتعمق بنمط الانتاج الريفي فمع أن ماركس يقرر أن الانسان لن يطول بقاؤه في المجتمع الريفي التقليدى الا أنه قد لفت أنظار الباحثين في حديثه عن نمط الانتاج الاسيوى الى جذب المدينة المتزايد — في الشرق — للاعداد الكبيرة من الفقراء ممن هربوا من ظروف التخلف في القرية فلم يلبثوا أن تحولوا الى « حثالة المدن » ، ومن هنا استمرى التغير الثقافي انظار البعض ممن تابعوا التغيرات الديموجرافية والاقتصادية والاجتماعية في المناطق الريفية — كنتيجة لتزوح الاعداد الكبيرة من قوتها العاملة الى المدن بعد انحسار النظام الاقطاعى — فابرزوا بدورهم ازدياد الضغط على الموارد والخدمات الحضرية نتيجة لذلك ، والتغير الثقافى الذى يلحق القرية نتيجة للجسور الثقافية بين القرية والمدينة (٤) .

ولا يمكن هنا أن نفصل تأثير نونيز الذى قدم مصطلحه الشهير باللاتينية Gemein schaft من Gemeinds الى المجتمع المحلى الصغير The local Community أو المجتمع المحلى الريفي Dorf Gemein Schaft وهو هنا كوحدة ادارية تتضمن الأنشطة والعلاقات الاجتماعية حيث انصب اهتمامه على « الارادة الطبيعية » ونونيز في نظر بارسونز قد اعتبر الاقتصاد الزراعى في الريف مسبوqa باقتصاد الاسرة ويليهِ مباشرة اقتصاد المدينة الصغيرة (٥) ولا شك أن هذا التدرج كان يرضى بصورة أو بأخرى عالم الانثروبولوجيا « الكلاسيكى النزعة » باعتبار أن هذه المجتمعات المحلية البسيطة تختلف عن المجتمعات الحضرية التى نعيش فيها .

كما أن تأثير مدرسة شيكاغو لا يمكن اغفاله في هذا السياق فقد استحوذ المجتمع المحلى الريفى وعلاقة الانسان بالبيئة على اهتمام جالين Galpin وبارك Park وماكنيزي Mckenzi (٩) .

ومن الدراسات الرائدة في هذا المجال دراسة روبرت ردفيلد Redfield التى درس فيها قرية شان كوم Chankom وقرية تيبوزتلان Tepoztlan — مقاطعة يوكاتان — بالمكسيك .

وقد اوصى في هذه الدراسات بضرورة الرجوع للتاريخ من جهة مع مراعاة المؤثرات الخارجية ( الحضرية ) التى تؤثر في مجتمع القرية من جهة أخرى كما أختار عدة أنماط متدرجة من المجتمعات المحلية تبدأ بقرية Tusik التى لا يتعدى سكانها ١٠٦ نسمة ثم شان كوم وهى في نظره ( القرية التى تبقى التضرر ) ومن المعروف أن قرية تيبوزتلان كانت المصدر الرئيسى لأفكاره من المتصل فولك حضرى فى سنة ١٩٢٦ أكتشف في خصائص هذه القرية ما طوره بعد ذلك في نموذج المجتمع الشعبى ، وقد أكد ردفيلد على أهمية الفهم البنائى للقرية والمدينة حيث يستحيل وجود ملاحين دون مينة ويصعب وجود مدينة دون ملاحيه .

أما دراسة أوسكار لويس C. Lewis من قرية تيبوزتلان نفسها فقد مارست تأثيرا أكبر على الباحثين فقد حاول لويس أن يجعل من النتائج التى خرج بها ردفيلد موقفا حاول التحقق منها كما قام بدراسة تتبعية للقرية بعد مرور نحو ١٧ سنة لاستجلاء مظاهر التغير ، وقد حدد لويس أهداف دراسته في دراسة الثقافة والعلاقة المتبادلة بين النظم الاجتماعية وعلاقة المجتمع ( كوحدة ) بالمجتمع القومى ، وقد درس لويس النسق الاقتصادى والقرباى والائتباط الثقافية وانساق الضبط الاجتماعى وقسم تاريخ المجتمع لثلاث مقب كما أبرز ألوان الصراع كما تعرض للمشكلات الاجتماعية في القرية ، وقد ذكر لويس أن ردفيلد في نقاض من تحليل النسق الاجتماعية بما تنفره النظم من أوجه الصراع كما اغفل استعراض العلاقة بين القرية والمجتمع القومى وتفاعس من الاستفادة من المعطيات التاريخية البنائية (٧) .

وقد جذبت الدراسة التثبوتية للمجتمع المحلى باستخدام الاساليب الانثروبولوجية وسوسولوجيا المجتمع المحلى أنظار هولندشيد ، ولنسكى ، والمون من تعمقوا في دراسة البناء الاجتماعى للمجتمع الريفى وانشاته الاجتماعية .

وقد اكتسب علماء الانثروبولوجيا خبرة طيبة في مجال تزويد برامج  
النتائج ببيانات هامة حينما تحولوا لدراسة المجتمع المحلي وكان الهدف  
من أول دراسة لاجتماع محلي في هذا المضمار المساعدة في تنفيذ برنامج  
التنمية في المكسيك بعد الثورة ( ١٩١٠ - ١٩٢٠ ) وقام بها جامبو Gamio  
وساتز بالاستراك مع فاسكونسيلوسى وتبعتها دراسات أخرى في أمريكا  
الجنوبية وآسيا وأفريقيا .

ومن الدراسات الهامة التي مارست تأثيرا كبيرا على الباحثين دراسة  
وليامز التي تناول فيها مختلف جوانب الحياة الاجتماعية في قرية انجليزية .

ودراسة هاريس Harris عن اختصار القادة في قرية بوللى بيج  
Bolly Beg بآيرلندا الشمالية في بداية الخمسينيات (٨) .

ويمكن تصنيف الدراسات الانثروبولوجية عن المجتمعات القروية  
أما في الإطار الضيق Micro الذي يشمل أحد الانساق أو بعض الخصائص  
الاجتماعية في ضوء تأثيرها على بقى انساق البناء الاجتماعى في القرية  
أو في الإطار المتسع Macro الذي يشير الى علاقة القرية بالمجتمع القومى  
الذى يشهدها ، ويدين الإطار الآخر بالفضل لبعض الكتاب أمثال ريدفيلد  
Redfield وهويت Whyte وجانز Gans .

وقد قطعت الأبحاث التي تمت في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية  
شوطا هائلا في التحليل نتيجة الأبحاث التي تمت في آسيا وأفريقيا للدراسة  
الحقلية لمجتمعات قروية واستخدمت المناهج والادوات المتعارف عليها  
في الانثروبولوجيا فقد درس ناش Nash الآثار التي أحدثها مصنع للنسيج  
أقيم في مجتمع محلي جواتيمالى .

ودرس هنتر M. Hunter نتائج ادخال برنامج لتربية المواشى في مجتمع  
محلي جنوب افريقيا كما درس جيرز Geers أثر ادخال المحصولات التجارية  
الاستعمارية على النشاط الزراعى في المجتمع الاندونيسى . وهكذا أسهم  
الانثروبولوجيون في فهم مشكلات تقبل ورفض التغير كما أسهموا في عمليات  
التخطيط والتنفيذ والتقويم في مشروعات التنمية والتي من أمثلتها مشروع  
« نيكوس » الذى كلف علماء الانثروبولوجيا بتنفيذه في أحد المجتمعات  
في بيرو .

وهناك بعض دراسات تمت في افريقيا وتبنت هذا الاتجاه أهمها  
دراسات بانتون Banton وليتيل Little (٩) .

وقد أبرزت الدراسة التي قدمها شاملين Shanin أهمية السوق والدور الذى تطبهه التكنولوجيا في تغيير حياة السّلاح وتقوم وجهة نظر شاملين على اعتبار أن دور الحكومة المركزية في هذه المحلات الزراعية كان باعثا « على التفريعات البنائية الأساسية حيث فرضت ضغوطا خارجية قوية على اقتصادها الزراعى .

ويذكر ميم (١٠) أن تحديد كلمة « قروية » Peasantry من أولى موضوعات التى واجهها واختلف عليها الانثروبولوجيون المهتمون بالدراسات القروية وأن كروبر Kroeber — في كتابه عن الانثروبولوجيا والذى صدر في نهاية الاربعينيات — قد أوضح أن القرويين لا يستطيعون الحياة دون الاتصال والاعتماد على الأسواق الحضرية ويعنى هذا أن الاختلاف الأساسى بين الحياة الريفية والبدائية يكن في اعتيادية المجتمع الريفى على المدينة والمجتمع القومى في مقابل استقلالية المجتمع البدائى ، وإذا كان ميرث يعتقد أن قروى بالمفهوم الغربى لا تطابق واقع المجتمعات الشرقية ، وأن الصيادين في قرى جنوب شرق آسيا ينتهون الى فئة اجتماعية مائلة للزراعيين فان فوستر وردفيلد ، وولف Wolf يرون من جهة أخرى أن القروية Ruralism تمثل طريقة في الحياة قوامها العمل بالزراعة وأن كانت هناك فئة ( مهنية ) أخرى تمارس أممالا غير زراعية القرية .

ويرى ميم أن أبرز الأطر المقدمة لدراسة التنظيم الاجتماعى وتحليله قد قدمت من فيتش Fitchen وفوستر حيث قدم الاول معيارا بنائيا ذا خمس أبعاد للتمييز بين المجتمعات البدائية والريفية والحضرية (١) تميزت بموجبه المجتمعات القروية بوجود تنظيمات اجتماعية اختيارية ، ووحدات سكنية مكتفية ذاتية ، وبالارتباط بين السكان مع ازدياد التوجيه القومى ، وبالنسوى بين الوحدات الاجتماعية المكونة للمجتمع كما أن سكان المجتمع القروى يمثلون جزءا من المجتمع الكلى ( القومى ) في نهاية المطاف .

هذا بينما ميز الاخير في دراسته التجمعية لقرية مكسيكية — بدا

---

(١) علما بأن Redfield قد هاجم فكرة التطور من البدائية الى الحضرية واعتبر أن المجتمعات القروية لم تنشأ أساسا من مجتمعات بدائية وإنما صاحبت قيام المدن .

بدراستها الحقلية سنة ١٩٤٢ دراسة انثروبولوجية بين **التعاقد المتماثل** Symmetrical contract و**غير المتماثل** Asymmetrical contract ويشير التعاقد المتماثل الى التعاقد بين أشخاص ينتمون للمكانة الاجتماعية والاقتصادية نفسها . بينما يشير التعاقد غير المتماثل للتعاقد بين من ينتمون لمكانات اجتماعية واقتصادية مختلفة ويقترح غوستر بصفة عامة استخدام التعاقد الثنائي كوسيلة لتحليل بنية المجتمع القروي .

وقد ادى التحليل الوظيفي البنائي في ميدان الانثروبولوجيا الى نبذ العوامل التطورية والتركيز على دراسة الانساق الاجتماعية وتحليل البناء الاجتماعي ، ومن هنا اهتمت الانثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة شبكة العلاقات الاجتماعية في القرية مع دراسة العلاقات بينها وبين القرى والعرب والنجوع المتاخمة والبلدية القريبة والخاصة الرئيسية التي تميز الدراسات الانثروبولوجية التي تتبنى الاتجاه البنائي التركيز على جماعات محلية صغيرة داخل وخارج القرية بقصد تتبع العلاقات في تداخلها وتفاعلها مما لتحليل البناء الاجتماعي وشبكة العلاقات الاجتماعية .

والحقيقة التي يؤكد عليها علماء الانثروبولوجيا الريفية انه طالما ان القرية تستشعر قوى التغير نفسها التي تؤثر في المجتمع القومي فمن المستحسن ان يدرس مجتمع القرية في ضوء **النظرة الضيقة** ( الداخلية ) Internal و**النظرة المتوسعة** ( الخارجية ) External في الوقت نفسه .

ويرى معظم الانثروبولوجيا الريفية الآن انه اذا كانت هناك علاقة مستمرة بين القرية والمدينة بل والمجتمع القومي فان هذه العلاقة التفاعلية لا تقوم على بعد واحد وانما على عدة اوجه مترابطة تتصل بالناحي الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية والسياسية ، ومع هذا فان تصدد الابعاد لا يسهل عملية التحليل والدراسة بقدر ما تقابله صعوبات كثيرة عند تطبيقه على بعض المجتمعات فهناك مجتمعات زراعية توجد داخل مجتمعات صناعية ناهية كما هو الحال في بعض البلاد الاوربية واليابان حيث لا تفرض الدول وصاتها على القرية فالسائد عادة في مثل هذه المجتمعات هو وجود ثقافة مشتركة او جامعية Mass Culture بالنسبة للمجتمع والعلاقة بين المحليات الريفية وبين المجتمع القومي هي في الحقيقة علاقة تكاملية (١١) .

وهكذا ظهرت الانثروبولوجيا الريفية يفسئها **الاتجاه الوظيفي** في الانثروبولوجيا من جهة وتقاليد **المدرسة الأمريكية** في علم الاجتماع من جهة أخرى ، وقد انتفع علم الاجتماع الريفي أيضا انتفاع من الدراسات الشمولية Holistic الطابع بل لقد تبادلوا معا « التأثير والتأثر » ويستشهد البعض لتأكيد هذه الحقيقة بظهور هذا الفرع الذي يعرف الآن في الولايات المتحدة بـ **بسيولوجيا المجتمع المحلي** Sociology of Community كدليل على ذلك (١٢) .

وعندما انتقل الانثروبولوجيون الأمريكيون في دراسة المجتمعات البدائية في شمال أمريكا الى دراسة الحياة القروية جنوب ووسط ( أمريكا ) اهتم عدد كبير بدراسة أوضاع الفلاحين تحت تأثير فكرة « التثاقف » Acculturation فقاموا بتحليل الثقافات ( القروية ) ككيانات منفصلة واهتموا بالمقارنة بينها .

غير أن علماء الانثروبولوجيا في أمريكا عندما اتجهوا صوب أمريكا اللاتينية لفت نظرهم طريقة حياة الهنود والاسبان والبرتغاليين الذين تربطهم بالمنطق الحضري علاقات متنوعة فاهتموا بمشاركة القرويين في الأنشطة المجتمعية القومية وبأوجه الخلاف بين سكان الريف والمدن وطبقة النبلاء .

والامر المحورى هنا أن الانثروبولوجى عليه أن يقوم بدراسة المجتمع المحلي كجزء من مجتمع اكبر كما يتحتم عليه أن يتمسرف على أنواع العلاقات بين الشرائح المختلفة مثل العلاقات بين الافراد الذين نالوا حظا كبيرا من التعليم والذين نالوا حظا اقل ، وبين رجل المدينة ورجل القرية فضلا عن العلاقات مع النظام القومى ففلاح كوانج تنج Kwangtung الفلاح البلغارى يقومان ببيع منتجاتها في الاسواق الحضرية مباشرة .

وهكذا يتلقى ردفيلد مع كروبر Kroeber في أن علماء الانثروبولوجيا الريفية قد أيقنوا من قناعة كاملة بأنهم يدرسون الآن **المجتمعات ككجزاء** من مجتمعات اكبر (١٣) .

---

يستشهد ردفيلد على لذلك بقبائل « التيف » وسط نيجيريا حيث تتركز العلاقات والقوة داخل مجتمع القرية بينما تنقل قبائل « اللورى » في افريقيا الوسطى مراكز السلطة خارج القرية .

وإذا توقفتنا — وثقة هيئة — عند ما كتبه ردفيلد عن المجتمع القروى ونظرة الفلاح للحياة سواء من خلال دراساته أو الدراسات المحلية التى تقدمها فيه من علماء الأنثروبولوجيا لاستعري نظرتنا تأكيد على تأثير القرية بالافراد وفئات السكان ممن ينتهون لاجتماعات محلية اخرى مجاورة اذ اوضحت دراسة بيرسون Fierson من القرية البرازيلية تاترسكان القرية بـ « الموظفين الرسميين » وفى يكتان التى درسها روبرت ردفيلد كان المدرس هو الشخص الوحيد المؤثر والممثل للعالم الخارجى داخل القرية .

وقد استنتج هوسفر من دراسته لقرى أمريكا اللاتينية تأثير النشاط الدينى الوافد للمنطقة فضلا عن الرقصات ومصارعة الثيران كظواهر ثقافية لم تك معروفة للسكان أما ردفيلد فقد ناقش الاتصافات السائدة عادة لدى الفلاحين ويعلق هذه الاتجاهات بالزراعة وربما اذا كانت احد افضل المهن فاكشف أن الفلاح فى يكتان وفى سلكس باتجلترا وفى غيرها يجب العمل فى الارض واذا كانت هناك شواهد معاكسة كالتى اوردتها نرمان وتثورى من الفلاح فى جنوب ايطاليا وريبرز عن الفلاح الاندونيسى الذى يهجر الارض متجها للبدنة فان هذا يعكس بدوره بعض الاختلافات الثقافية الاقليمية وازدياد المشاق التى يقابلها الفلاح لزراعة ارضه . والمعائد غير المجزى مما ينعكس على اتجاهه السلبى تجاه الزراعة والارض .

لما الاتجاه الثانى فيتضمن التعبير عن العاطفة وقد وضعه ردفيلد بالنسبة لسكان القرى التى درسها بأنه يتسم بالرزانة والورع حيث يأتى الزراع فى يكتان للتعبير عن « العمل والتقوى فى الحياة والبعد عن المغايرت الجنسية » ، وقد خرج بورن Bouma من دراسته لسكان مقاطعة سرى بنتائج مشابهة .

لما بالنسبة لبلتندنج فى جنوب ايطاليا فالتجربة الجنسية لازمة فى هذه القرى لفهم الحياة ويعزى ردفيلد تلك الاختلافات للجلور التاريخية التى تؤدى بدورها لفروق قبيية قروية فى المناطق المختلفة .

ويأتى الاتجاه المرتبط بالاتصال بالخارج ليعكس مجموعة اخرى من القيم للسوق والزعامة السياسية والرئاسة الدينية والحكمة تامل العالم الخارجى وقد استشهد ردفيلد بالدراسات المحلية عن الهند حيث اكتشف الاثر المباشر الذى تعكسه بعض الشخصيات على الحياة

الاخلاقية في داخل المجتمع القروي كما أوضح أن بعض سكان القرى يقبلون على المدن للعمل غير أنه من جهة أخرى قد اكتشف كيف يقف الفلاح في وجه التغير الاجتماعي ويحاول مقاومتها (١٤) .

ويذكر **عوفة (١٥)** أن التيار الأنثروبولوجي كان التيار السائد في الهند ويستشهد بدراسة ديوب Dube عن القرية الهندية بدراسته الحقلية لبرامج التخطيط في مجموعة من القرى الهندية ودراسة أشوران لمجتمع قروي في جنوب الهند .

وفي **سيلان** قام باحث أمريكي يدعى برايس راين B. Ryan بدراسة الاتصالات في قرية سيلانية وحاول الباحث أن يجمع بين التكتيكات الأنثروبولوجية وطرق البحث في علم الاجتماع الريفي في دراسته لشبكة العلاقات الاجتماعية وشبكة الاتصالات في القرية .

وفي **الليمان** قام جون امري Embree ، بدراسة لقرية سويلا مورا ايان مرحلة التحول الاجتماعي لمجتمع القرية .

وفي معرض حديثه عن الأنثروبولوجيا والاستشراف والتعمية في دراسات ريف الشرق الأوسط يذكر **باندلي وكاتلي جلانفانيس** Pandeli, katherine GLAVANIS .

ان هذه الدراسات اتخذت اتجاهها وصليا تطبيقيا تصور المجتمع الريفي على أنه مجتمع ساكن يقاوم التغير الاجتماعي حيث تشكل الانساق العائلية والطائفية محورا للحفاظ على البناء التقليدي Traditional وان التغير يحدث اذ ذاك نتيجة للقوى الخارجية External

وتبيل هذه الدراسات للتركيز على الهجرة باعتبارها اهم العوامل في احداث التحول في القرية في الشرق الأوسط وفي مثل هذه الدراسات يجري تصوير الفلاح باعتباره « أميا .. مريضا .. يفتقر للموى مقيدا بالتقاليد » وان التنمية تتم عادة على ايدي الطبقة المتوسطة الجديدة والتي تعيش في المدينة .

وقد أدى ذلك الى تصور الاطار النظري الوظيفي المحافظ في فهم البناء الاجتماعي في الشرق الأوسط ، وهو الاطار الذي ظهر في السياق الاستعماري خلال الحقبة الممتدة سنة ١٨٨٠ : ١٩٥٠ حيث دخل العالم العربي في ظل النظام الرأسمالي ( العالمي ) كهامش تابع للسيطرة

( الإمبريالية ) ، وقد جاءت الصحوة مع تصاعد انحدار القومى والاستقلال وما صاحبه من ازدهار للأبحاث والدراسات التى قابلت بهسا مدارس وطنية مثل مدرسة جامعة عين شمس فى مصر . فى الستينيات حيث أعادت توجيه الدراسات البحثية حول مختلف جوانب التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الاوسط مع اهتمام زائد بدراسة العلاقات الزراعية والطبقات كما ظهرت مدرسة التبعيية وهى المدرسة صاحبة الاتجاه الفكرى النقدى والقيى نشأت فى أمريكا اللاتينية مسترشدة فى ذلك بأعمال لينين ، وقد حاول اتباعها فى مصر والسودان والجزائر دراسة طرق انحدار المجتمع الريفى الشرق الاوسطى فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى .

فإذا آمدنا الى امثلة محلية للدراسات الانثروبولوجية فان البعض يشير الى دراسة عبد الله لطيفة لقرى الضفة الغربية فى الاردن والى دراسة حامد عمار من التفتئة الاجتماعية فى قرية سسلوا بمحافظة أسوان وعاطف غيث فى قرية القيطون بمحافظة الدقهلية كبشال لاستخدام الاتجاه الانثروبولوجى فى الدراسة فى الاردن ومصر حيث استعملت الدراسة الأخيرة بالتهج الانثروبولوجى المعدل الذى طوره . ديفيد لدراسة هذه القرية واستعان الباحث بالتاريخ فضلا عن الملاحظة والملاحظة بالمشاركة كما استعان بذاكرة كبار ألسن لابرار التغير الاجتماعى والثقافى فى مجتمع القرية وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية .

ويرى ميرفى (١٦) أن دراسة المجتمعات الريفية قد ساعدت الانثروبولوجيا لى تتصدى لدراسة مشاكل العالم الحديث .

«The study of such peasant societies took anthropology into  
:Confrontation with the problems of modern world».

اذ أن الانفتاح على السوق قد ساعد على كسر العزلة التقليدية للمناطق الريفية كما أدى لاعتمادها على نفسها أو على حد تعبيره :

«The peasant is being torn out of his semi isolation .. ending  
forever his self sufficiency etc..»

وهكذا أسهمت الانثروبولوجيا اسهاما كبيرا فى دراسة المجتمعات الريفية .

### « المصباح »

- ١ — روبرت ردفيلد — المجتمع القروى وثقافته — ترجمة فاروق المعادلى  
— الهيئة العامة للكتاب — الاسكندرية — ١٩٧٣ — الفصل الاول .
- ٢ — محمود عودة — الوضع الحالى للدراسات الاجتماعية الريفية —  
المركز القومى للبحوث — ١٩٧٣ — ص ٢٥ .
- ٣ — بيلز وهويجار — الانثروبولوجيا العامة ج ٢ — ترجمة محمد الجوهري  
والسيد الحسينى ويوسف اسعد — دار نهضة مصر القاهرة —  
١٩٧٧ — ص ٨٦٤ .
- ٤ — أحمد صادق سعد — النمط الاسيوى للإنتاج — الطليعة — السنة  
العاشرة — فبراير ١٩٧٤ — ص ٦٥ : ص ٧٥ .
- ٥ — R. Konig .. the Community — London .. 1968 pp. 9-8. —
- ٦ — I.T. Sanders, The Community, N.y. 1968 preface. —
- ٧ — R. Redfield. The little Community. Chicago 1955. —
- A. Village that chose progress. London — 1962 pp.  
113 : 138.
- O. Lewis. life in mexican village. Illionis, .. 1963 .. pp.  
339.
- ٨ — محمود مودة — المقال السابق — ص ٣٣ .
- ٩ — بيلز وهويجار — المصدر السابق — ص ٨١٩ : ص ٨٥٧ .
- ١٠ — حسين فهم — بعض الاتجاهات الانثروبولوجية فى الدراسات القروية

— الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفي — المركز القومي للبحوث  
— ١٩٧٣ — ص ٥٩ ، ص ٦٠ .

١١ — المقال نفسه — أجزاء متفرقة .

١٢ — محمود عوده — المقال السابق — ص ٢٦ .

١٣ — روبرت رينيلد — المصدر السابق — ص ٥١ : ص ٩١ .

١٤ — المصدر نفسه — الفصل الثالث والرابع .

١٥ — محمود عوده — المقال السابق — ص ٣٦ : ص ٥٢ .

١٦ — Cultural and social Anthropology New Jersey. 1986. p.  
211.

---

## « عمال التراحيل في مصر »

### « دراسة في الأنثروبولوجيا الريفيه »

ذكر بوست Post (١) أن أحد العناصر الأساسية للراسمالية التي خلقها الاستعمار هو العمل باجر في افريقيا عند غير الاثارة أو لدى الاثارة أصحاب الملكيات الكبرى وهو يستشهد بما ذكره ستافن هاجين R. Stavenhagen من أن الاستعمار في ريف افريقيا السوداء قد خلق ٣ شرائح اجتماعية جديدة هي شريحة العمال المهاجرين والعمال الذين يعملون في المزارع التجارية الكبيرة ثم الفلاحين الذين يزرعون من أجل الانتاج للتصدير ، بل ان العامل المهاجر من وجهة نظره لا يكاد ينفصل من الاقتصاد المعيشي التقليدي للشرائح المهاجرة لزراعة القهوه وزراع الكاكاو من « الاثانتى » يمثلون جماعات تنقل وتستخدم قوة العمل لمقابلة الحاجات الجديدة للسوق ، ولعل هذا هو السر الذي يؤكد فيه ستافن هاجين أن الشرائح التي تهاجر من قراها تشبه البروليتاريا نظرا لانها تباع قوة عملها كسلعة .

«They selling their labour power as a commodity, like proletarians».

المهجرة الافريقية تظهر كتمكاس للقوى الراسمالية والاستعمار للشرائح تقوم ببيع قوة عملها ( ولا يعنى هذا بحال انها تباع مهاراتها لحسب ) .

ومن هنا فان كين بوست Post في حديثه عن هذه الشرائح العمالية يقترب من الصورة التي نرسمها نحن لشرائح مماثلة نعرفها باسم عمال التراحيل ، هي تلك الشرائح الفقيرة التي يكرس انتاجها الاجتماعى من أجل غيرها فهي ليست قوة زراعية تعمل بالزراعة باى حال من الأحوال والحديث هنا ليس عن « القرية » بل عن عملية حصول هذه الشرائح الى شرائح بروليتارية أو على حد تعبير بوست :

Possible to speak of a parallel proces «of proletarianization».

ويمتد العالم الثالث على المركز الرأسمالي المتقدم صناعيا الذى يعد التضخم من أبرز سماته وخصائصه وهكذا تنعكس الازمات والتناقضات على المحبط الذى لا يعانى من تخلفه الاجتماعى والسياسى فحسب ؛ بل يعانى كذلك من جهود اقتصادياته (٢) ورغم أن ما بين ثلث ونصف القوة العاملة فى دول العالم الثالث لا تلك الا أن تعمل بالزراعة الا أن الزراعة نفسها ما زالت مختلفة فيها نظرا لبساطة الآلات المستخدمة والاعتماد الزائد على البيئة الطبيعية ( المناخ والأمطار والرياح ... الخ ) والقوة البشرية فضلا عن التفتت المستمر للأرض الى مساحات قزمية صغيرة واجهادها الدائم بينما تستنزف الجهودات والنفقات — الناجمة من مشكلات الرى ومقاومة الآفات الزراعية والسعى لشراء البذور المحسنة وتسويق المحصول — على الكثير من طاقة الملاح البسيط . ولا شك أن الكثير من الفلاحين فى العالم الثالث يعيشون على اقتصاد « شبه عيشى » ولا زال اهتمامهم الأساسى ينصب على توفير ضرورات الحياة لاسرهم (٣) ويؤدى تزايد السكان عادة فى ريف العالم الثالث بمعدلات كبيرة الى خلق جيش كبير من العمال المعدمين والذين لا يجسدون عملا منتظما معظم شهور السنة (٤) .

وغير خاف أن هذه القوة العاملة التى تعاني من البطالة المتقدمة هى قوة عمل موسمية تعاني من الأمية ونقص التدريب المهنى ويؤدى زيادة حجبها — على الطلب — الى استغلالها من خلال الوسطاء والسماسرة ، وفى الوقت الذى يتناقض ما يبذله أفرادها من جهد فى العمل مع ما يلقونه من أجر تخضع هذه القوة العاملة للتقلبات فى سوق العمل مما يؤدى الى تهيش دورها الاقتصادى بينما تفقد لى ضمانات بالنسبة للمستقبل ، وقد يتشئ هذا وما ذكره ماركس عن الفائض السكتائى أو « جيش العمل الاحتياطى » الذى يؤدى دورا أساسيا فى خفض الأجور ويتم الاستعانة بأفرادهم باستجراهم عند الحاجة بينما يتم فصلهم فى فترات الكساد فهم يخدمون النظام الاقتصادى القائم ويساهمون فى تراكم رأس المال نتيجة لضعف الأجور التى يحصلون عليها .

فاذا قمنا هذه القوة العاملة الأمية غير المساهرة وغير المدربة التى تشغل قاع السلم المهنى وجدنا أنه لا يوجد تحديد لسن الدخول للعمل فيها أو للخروج منه ولعل زيادة حجم الأسرة فيها يفسره أن الحدث الصغير يعد موردا اقتصاديا للأسرة الفقيرة بينما يسهل استغلال هذه

الشرائح بواسطة السماسرة والمقاولين والتجار ، وفي الوقت الذى تنقل فيه دخولها يؤدي احوال رعايتها الى نقص انتاجيتها بصورة ملحوظة الامر الذى يؤدي الى تهيش دورها الانتاجى بصرف النظر عن طبيعة هذا الدور الذى تؤديه .

ويؤكد البعض أن انتقال قوة العمل الزراعية للبحث عن عمل خارج القرية يعد من مصاحبات النظام الرأسمالى وأن العديد من بلدان العالم الغربى قد عرفت هذا النظام فى مراحل معينة من تاريخها ( ٥ ) .

وقد ناقشت دراسة رائدة عن اساليب الانتاج والتكوين الاجتماعى فى القرية المصرية الاسس النظرية التى قدمها هامر وعبد الملك وطلال أسد وزيجلر وسمر امين وأوضحت أن علاقات الاعتماد والتبعية يمكن تفسيرها بوصفها محصلة **التفاعل المتبادل بين اساليب انتاجية راكدة واساليب راسمالية حديثة** حيث تتمشيش شبكة من أشكال الانتاج المراسمالي أو قبل الراسمالية فى مصر وغيرها من المجتمعات المحيطة ( العالم الثالث ) .

ومن ناحية أخرى حاول الباحثون الانثروبولوجيون الفرنسيون المهتمون بدراسات غرب افريقيا أن يبرهنوا على أن البحث الانثروبولوجى الميدانى المحدود النطاق يمكن أن يساعد فى الصياغة الاجرائية لاسلوب الانتاج ولمرحلة ما قبل الراسمالية والتقليد والاستعمار ثم التحول الى الراسمالية .

ومن هنا بدأت دراسة **التفصيل والتشابك فى اساليب الانتاج والتعايش بين هذه الاساليب** وتتبع النماذج التى تسيطر فيها واحدة من هذه الاساليب على غيرها من الاساليب . ومن هنا فقد حاول عودة اختبار الاتجاه الفرنسى الوثيق الصلة بالبحوث الميدانية الامبريقية وتفصيل اساليب الانتاج من خلال دراسة عملية الانتاج الزراعى والتوزيع وعلاقات الانتاج فى ضوء التحليل الاجتماعى الموسع Macro social Analysis **لانتاج الزراعى وسلطة الدولة المركزية** وملكيته للأرض وشكل الاستغلال والاستنزاف الخارجى التى ترتبط بالانتاج الزراعى وتنظيمه الاجتماعى وعلاقات التبادل وكيفية تدخل الدولة فى اقتصاد القرية ( فى مصر ) مع استخدام **التحليل الاجتماعى المصغر Micro** الذى يركز على **التنظيم الداخلى للانتاج الزراعى** وتغير صور أشكال التبادل قبل الراسمالية نتيجة للتفاعل الراسمالي وتغير صور هجرة العمل بوصفها نظما لامادة الانتاج الاجتماعى فى المناطق الريفية ( عمال القراحيلى ) والهجرة الموسمية للحضر وطرق التعاقد مع القوى العاملة ومراقبة عملية الانتاج من خلال المقاول وغيره من الوسطاء .

وبعبارة أخرى فالتحليل الاجتماعي الموسع يرتبط بسلطة الدولة على الأرض الزراعية بينما يركز التحليل الاجتماعي المصغر على الانتاج الزراعى والقوى العاملة وعلاقات الانتاج فى المجتمعات المحلية القروية .

## أولا : التاريخ لعمال التراحيل :

### ١ — من هم عمال التراحيل ؟

#### تقسيم القوى العاملة الزراعية فى مصر عادة الى :

( أ ) **العمال الدائبون** وهم الذين يستأجرهم كبار واغنياء الملاك للعمل فى أراضيهم « التبلبة » (٦) .

(ب) **عمال القوية** : وهم عمال الزراعة الذين يستعان بهم عادة فى مواسم اعداد الارض الزراعية وجمع المحصول .

( ج ) **عمال التراحيل** : وهم فئات العمال الذين يزدبون فى منطقة معينة من حاجة العمل فيبحثون عن فرص العمل فى منطقة اخرى حيث يتولى مقاليد الانفسار ترحيل بعضهم للعمل فى مشاريع بالقرى الاخرى بينما تستوعب المشاريع المتسابة فى مناطق حضرية شرائح كبيرة منهم ، كذلك نظرا لأن فرص العمل فى المدينة تعد أكثر اتساعا منها فى الريف ويضم هذا الفئات من قوة العمل عمال التراحيل الذين يضطرون للاستدانة بصورة مستمرة من المقاول ولا يملكون فكاكا من العمل بالترحيلة وصغار العاملين الفلاحين الحائزين أو المستأجرين لمساحات تزمية ويحتاجون لمبالغ ( مجسدة ) لزراعة ارضهم فيضطرون للخروج للعمل فى الترحيلة وقد يصطحبون معهم أسرهم (٧) .

وهناك فئة من عمال التراحيل تسمى « الجيرة » وهم عمال التراحيل الذين يعملون بصورة موسمية خارج القرية ثم يعودون فى نهاية اليوم الى القرية كما ان عمال الزراعة « الفؤاسة » و « الكراكة » هم كذلك من عمال التراحيل ( الدائبين ) .

والفاسم المشترك لكل هذه الفئات انها تنزع طلبا للعمل خارج

القرية على مدار السنة كما تتعامل عادة من خلال وسيط ( السوق او رئيس انفسار ) وفي الوقت الذى تختلف فيه معدلات الاجور من محافظة لآخرى ومن موقع لآخر فى المحافظة نفسها فان معدل الاجر يقل دون شك عن معدلات اجور باقى عمال الزراعة فى القرية نفسها ولا يسمح العامل غير المستقر بقياس علاقة تعاقدية بين عمال التراحيل واصحاب الاعمال مما يحرمهم من الاستفادة من الخدمات القائمة فى الهبات والمؤسسات التى يعملون فى ظلها بينما يؤدى وجود وسطاء الى استغلال عمال التراحيل بصورة تقترب من السخرة ودون ان تتوفر لهم معرفة فعلية بمناطق التثخيف التى سيعملون بها حيث يقيمون فى معسكرات او خيام فى ظل ظروف معيشية تاسبة وخاصة بالنسبة للاحداث الذين يتكسسون عادة فى اماكن المبيت ويحتشدون فى اللواري التى تقلهم لمناطق العمل دون مراعاة لأبسط الامتيازات الانسانية والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : كيف اتوزعت القرية المصرية عامل التراحيل ؟

من المستحسن لكى نتفح العلاقة بين مركزية الدولة ونظام السخرة فى مصر وبين ظهور النظام الرأسمالى ونظام التراحيل يحسن ان نبداً الاطروحة من واقع التاريخ الاجتماعى فى مصر للتعرف على كيفية ظهور عامل التراحيل كتمعكس للظلم الفادح للفلاح المصرى على امتداد تاريخه الطويل .

( ١ ) فى مصر الفرعونية كان غرمون هو مالك الارض وكانت ملكية الأمراء فى بادىء الامر وقتية لا تورث بينما كان الفلاح وهو عماد الاقتصاد الزراعى يكافح نظير قوته اليومى وتدل الشواهد على انه حتى قيام الدولة الحديثة فان الفلاحين ظلوا هم الطبقة المستغلة دون الطبقات الاخرى فى المجتمع .

(ب) فى ظل الاستعمار الرومانى ازدادت حالة الفلاح المصرى سوءا وقد ضاق الفلاحون ذرعاً بالدخيل الرومانى حين ابعنت روما فى احتكار الارض والسلطة السياسية وكلها احتدم الصراع وازداد البؤس حاول الفلاحين المصريين البحث عن هويتهم الثقافية والاجتماعية والدينية ازداد المستعمر تكيلا بهم .

( ج ) بعد دخول الاسلام كانت الملكية تخضع للحاكم المصرى الذى يعد الملك الحقيقى للارض وظل هذا النظام يتبعها حتى بدأ حكم المماليك حين ظهر الاتجاه للاهتمام بالملكية الفردية لأمراء الاقطاع الذين كانوا يسخرون اسلوب الانتاج لصحتهم الخاصة (١٩) .

وقد عاش الفلاحون حتى القرن الثامن عشر عيشة بسيطة متدنية  
بمنازل معظمهم مشيدة من الطوب النقي وكان أكلهم الدائم مكونا من  
الشعير والجبن القريش فضلا عن البقول والخضر وكانت ملابس الفلاح  
عادة من صنع يديه (١٠) .

وقد استند نظام الالتزام بأن حكم المالك على تقسيم الأرض الى  
أرض « الموسية » وأرض « الأثر » ، وكانت أرض الموسية تحترق عادة  
حسب نظام السفرة وظل الصراع بين الملتزم المملوكي والفلاح المصري  
مستمرًا حتى نهاية عهد محمد علي ، ورغم أن موقف محمد علي قد ازداد  
صلابة بوقوف الفلاح المصري الى جانبه وأشترك الفلاحين في الصراع  
الذي قاده الوالي الجديد ضد المالك والدولة العثمانية إلا أن محمد علي  
لم يتورع بعد ذلك حين اصطنع نظام الرى الدائم عن تسخير الفلاحين  
على مدار السنة في شق الترع وتطهيرها وبناء السدود والقناطر والجسور  
والسدود وهكذا لم يفض وقت وطويل بعد أن تولى محمد علي الولاية  
حتى ألغى نظام الالتزام الفناء تالفا وفرض ضرائب متزايدة - دون  
وساطة الملتزمين وكان الفلاح يجبر على تسليم هذه الضرائب مباشرة  
للدولة وهكذا تم مصادرة « الفيض » الذي يدخل جيب الملتزم لحساب  
الوالي الجديد (١١) .

٢ - نسر البعض علاقة الدولة بالفلاح بأن سيطرة الدولة على  
مصادر المياه والرى وتنظيم وسائله للوصول الى مستوى انتاجى مرتفع  
قد اقتضت سيطرة مركزية على الأرض الزراعية وأن كانت هذه السيطرة  
قد اعترأها الوهن إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ومن الجلى أنه في ظل حكم محمد علي كان الفلاح يتبع بحقوق  
الانتفاع من الأرض محسب ، أما حق الملكية فظل على حاله في يد الدولة .  
ومن الملاحظ أنه في عهد كبار الملاك هي المنتفع الوحيد من حقوق الملكية  
بينما كان صغار الفلاحين ينتفعون محسب ويعانون من الضرائب الباهظة  
مما كان يدفعهم في كثير من الأحيان لهجر أراضيهم والفرار منها بينما صاحب  
تطور حقوق الملكية في عصر اسماعيل تهاديا في انقصال كاهل الفلاحين  
باتاوات ماذحة لسداد العجز في ميزانية الدولة وكانوا يلجأون في كثير من  
الأحيان الى بيع حاصلاتهم ومواشيهم بأبخس الاثمان فضلا عن هجر كثير  
من الملاك أراضيهم أو تركها بورا نتيجة للالتزامات المفروضة عليهم ، وقد  
سمى هؤلاء بالمتسحين لكثرة عددهم ومن ثم وضعت الحكومة قانونا  
لتوزيع أراضيهم (١٢) .

ويذكر مودة أن الأعداد الهائلة من الفلاحين الذين هجروا أراضيهم هرباً من الضرائب أو الالتحاق بالجيش أو السخرة قد عاشوا في الجبال والكهوف حيث كانت السخرة تشمل العمل في مشروعات الدولة في ظل أسرة محمد على وأصبح الفلاح مضطراً للاستدانة من مراب بضمن ما يملكه كما كان يعجز عن السداد وهكذا شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر انتشاراً لحالات الانحلال مما دعا حكومة اسماعيل للاستيلاء على أراضي الفلاحين ورنهنا لمصلحتها مقابل تسديد ديونهم (١٣) .

وقد تفاقمّت المشكلات الاقتصادية إبان ذلك الوقت نتيجة لانتشار طاعون الماشية وتذبذب الفيضان مما أدى إلى تحول الكثير من الهائزين إلى محبّين وعمال يومية (١٤) .

ويقدر باتريك أوبريان حجم عمال التراحيل في عصر محمد على بأربعمئة ألف رجل من مجوع السكان الذين لم يكن عددهم يتعدى أربعة ملايين نسمة .

وكان العامل يحصل على أجر لا يتعدى قرشاً واحداً عن كل يوم وكانت المشكلة الرئيسية بالنسبة لهم تكن في انتقالهم إلى المناطق الأخرى البعيدة - تحت الحراسة المسلحة - بينما يجلد بالسياط أو يودع في السجن من يتعاس من الخروج للعمل في تلك المناطق أما الفلاحين أصحاب الحيازات القزمية فكانوا يفرون عادة من القرية نتيجة للضرائب الباهظة وكانت السلطة المركزية تتعقبهم حيثما ذهبوا (١٥) .

ويذكر مبد الفلاح (١٦) أنه من المعتقد أن هذه الشريحة المصدبة من القوة العاملة (عمال التراحيل) قد تبلور وجودها في نهاية القرن التاسع عشر ثم اتسع حجمها طوال النصف الأول من القرن العشرين نتيجة لتراكم أعداد الفلاحين المحبّين - الذين يهربون عادة من حقوق الملكية الخاصة كما يجبرون من الوفاء بالحد الأدنى لمستلزمات الحياة المعيشية - وهو يرجع ازدياد عمال هذه الشريحة إلى زيادة سكان الريف واستمرار تفقيت الأرض الزراعية وتحول كبار الملاك للزراعة لأراملية التي تعتمد بدورها على العمل المأجور .

ويذكر عاطف فيث (١٧) أنه أثناء الفيضان كانت الحكومة تلجأ إلى استدعاء عدد معين من القوة العاملة في كل قرية للاشتراك في تقوية جسور النيل وكان العدد المطلوب يتقسم على العائلات في القرية في الوقت الذي كلن الجنود يضطرون إلى إجبار القرويين على ذلك .

وكان أفراد الأسرة الفقيرة ممن لا يملكون يضطرون إلى هجر  
الزراعة والقرية كلها للعمل في تطهير النرع وحفر المصارف وأنشاء  
الطرق أو النزوح للمدن القريبة أو البعيدة فالذين لم يجدوا في الأرض  
مصلحة مباشرة لم يكونوا يترددون عادة من تركها .

ويميز عبد الفتاح بين عمال الزراعة الذين يعملون بالاجر في أراضي  
القرية (١٨) والقرى المجاورة بشكل ثابت أو موسمي وعمال التراحيل  
وعمال « الخطرية » أو « العزائبة » الذين يجمعون من القرى المختلفة  
للعمل في مشاريع بعيدة حيث تتراوح مدة غريتهم بين شهرا وعام بأكمله  
ويطلق عبد الفضيل على عمال التراحيل لقب « افتراقراء أريف المصرى »  
اذ انهم يشكلون الشريحة المعتمدة التي تعمل من خلال مقال الاتنصار  
الذى يحصل بدوره على « مئولة » نظير تشغيلهم كما يضغط عليهم  
للعمل ايها اضافية دون اجر لحسابه بعد انتهاء الرحلة — التى تتراوح  
كل عملية فيها بين ٤ : ٨ اسابيع نتيجة لعدم وجود عمل ويتم ذلك بالقرية  
تحت امره « رئيس العمال » الذى ينصبه المقاول ليتولى مهمة توزيع  
العمل سواء الجماعى أو الفردى والعمل الجماعى يقسم فيه العمال الى  
مجموعات يشرف ( الخولى ) على كل مجموعة منها ويملكه خصم يومية  
عامل التراحيل بحجة اهماله فى العمل أما العمل الفردى فيقسم العمل  
فيه على الاتنار فى صورة مقطوعيات .

ومنذ بداية الستينيات جرت محاولات لتشغيل عمال التراحيل عن غير  
طريق مقاولى الاتنار وذلك من خلال تكوين لجان حكومية فى بعض  
المحافظات بيد ان هذه المحاولات قد فشلت فى زعزعة الثقة فى مقاول  
الاتنار ودوره فى سوق العمل الزراعى ، ويرجع ذلك الى ان هذه  
المحاولات هى مجرد امسلاحت جزئية ولم تكن جزءا من عملية اعادة  
تشكيل نمط العلاقات الزراعية فى الريف المصرى .

ويعتقد عبد الفضيل (٢١) ان نظام الرحلة يوضح ملامح نظام  
العمل الاتقطاعى فالعامل بالنسبة للمقاول فى وضع التابع الذى لا يمكن  
من بيع قوة عمله الى أى جهة أخرى حتى لو كان فى هذا يتحقق لوضع  
افضل بالنسبة له مما يزيد من سطوة المقاول على عمال التراحيل  
بصورة تجسد أزمة الانتقال من الاتقطاع للرأسمالية ، فعمال الزراعة  
هنا لا يجدون لهم مكانا فى القطاع الرأسمالى للعمل باجر وهم يحرمون  
بالتالى من ان يصبحوا بروفيتاريا « بالمعنى المعروف ويحرمون من ملكية  
وسائل الانتاج » بينما يشكل هؤلاء المقاولين « بورجوازية ريفية » تمارس

**يجانب توريد الانفاس اعمالا اخرى كجارة المواشى وتجارة المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية كما أن الترابط الوثيق بين سوق العمالة وسوق اقراض المال وسوق السلع الاستهلاكية هو الذى يؤدى الى تزايد المقدرة الاستغلالية لمغاولى الانفاس ازاء جبهة الفلاحين المعدمين ، وهو يصف بذلك كيف ان عامل التراحيل يخرج عادة فى الترحيلة حوالى أربع مرات فى السنة ( لمدة شهر فى المتوسط ) وكيف يعمل فى القرية ( كعامل زراعى موسمى لحد قد تصل الى ٣ اشهر فى السنة ) اما بقية العام فيظل العامل بمعطلا او يعانى من الاتهاك البدنى المرتبط بالترحيلة نفسها .**

٣ — الامر الذى لا شك فيه أن **هجم عمال التراحيل قد استمر فى التزايد فى ظل الغزو الراسمالى** وكنيجة للزيادة فى معدلات البطالة والبطالة المتعنة فى القرية وظهور راسمالية المغاولات فى مجال الاشغال الانشائية والزراعية التى تمارس تجارة البشر من خلال المقاولات — كشكل تنظيمى يشبه نظام الرق وقد ظهر هذا فى انتشار « البورصات » التى كان مقارها المقاهى التى يملكها الاجانب للاشراف على استيراد وتصدير العمالة فى ظل نظام الاجور المنخفضة والمعاملة غير الانسانية وقد ظل ذلك قائما حتى قيام الثورة سنة ١٩٥٢ فلذا ناقشنا موقع عمال التراحيل من هرم القوة العاملة (٢١) فى مصر فان هذه المناقشة تصبح اكثر جدوى اذا ناقشناها خلال حقبة الخمسينيات والستينيات ، والسبعينيات .

٤ — وقد اصبحت الاحصاءات الاقتصادية من تميز مصر بوفرة العمالة فى الخمسينيات والستينيات وحدا هذا بالبيعش امثال ارثر لويس الى اعتبار مصر — كاليهند وجمايكا — بلد ترهقه اعباء فائض فخم فى العمالة ومع ذلك فقد اوضحت الاحصاءات الخاصة بالقوة العاملة فى السبعينيات وجود نقص فى العمالة يسود بعض القطاعات الهامة بها فى ذلك الزراعة ولا يتعارض هذا مع وجود فائض فى قطاع العمل الحضرى غير الماهر وفى بعض انواع العمل فى المستوى العالى من التنظيم الرسمى ومع ظهور بعض الجيوب الخاصة بالبطالة المتعنة واحتبال تزايد البطالة الريفية الجزئية المحلية والعمالة فى المهن الهامشية التى تنسم بعدم استمرار العمل وبالاتاجية المنخفضة وتنسم كذلك كذلك باتبال العمال على الاشتغال بالقطاعات غير الرسمية فى الريف والحضر (٢٢) .

ويلصح هرم القوة العاملة فى مصر من ان هناك قاعدة عريضة من العمالة الامية غير الماهرة التى ليس لها خبرة سوى الاشغال

المحلية البسيطة الآلية التي لا تحتاج للقوة البدنية وتجد هذه الفئة من العمال نرسا للعمل في كل قطاعات الانتاج تقريبا بل انها تتحرك بين شتى القطاعات الاقتصادية استجابة لظروف سوق العمل وتنشئ هذه العمالة غير المهاجرة الى شرائح مختلفة تمل دخولها عادة من الشرائح التي تمل بأعمال دائمة في الوقت الذي تنقسم فيه للامان المتصل بالمستقبل وفي الوقت الذي تبرز في المناطق الحضرية البطالة المريحة بمعدلات مرتفعة تمل هذه المعدلات في المناطق الريفية التي تنسم بالبطالة الموسمية كما أن البيانات الموسمية تعجز عن أن توضح المعدلات الفعلية وقت ذروة الانتاج الريفي وإبان الركود الموسمي (٢٣) .

• — يصنف هاتين ورشوان فقراء الريف الى :

١ — العمال الريفيون المعدمون .

٢ — المزارعون دون الكهالشيون .

حيث تنقسم المجموعة الاولى الى :

( أ ) عمال زراعة اجراء وتنضم عمال الترحيل والعمل ذوى الحركة المحدودة .

(ب) عمال اجراء غير زراعيين .

( ج ) متعطلون صراحة .

وقد عرفا المزارعين « دون الكهالشيون » بأنهم الذين يملكون مدامنا أو أقل ، كما أنهم في حالة عودتهم من الخارج يعملون بالموين غير الزراعي في القرية (٢٤) .

ثانيا : عمال الترحيل في مصر إبان الثمانينيات :

إبراز لبعض معطيات الدراسة الحقلية (٢٥) :

أجريت هذه الدراسة في محافظتي البحيرة والشرقية خلال المدة من ٨٢ — ١٩٨٦ وقد تبت الدراسة الميدانية بشقيها الاستطلاعي والوصفي

على فترات زمنية زمنية متقاطعة خلال المدة من منتصف عام ١٩٨٣ حتى منتصف عام ١٩٨٥ .

ولسنا هنا في معرض الحديث عن خطة العمل الميداني والنتائج التفصيلية للدراسة الحظية اذ اننا سنعرض فحسب لأبرز النتائج التي ابرزتها الدراسة الميدانية :

( ١ ) انضج من الدراسة الميدانية أن نحو ثلث القوة العاملة في مينة الدراسة لعمال التراحيل تقع في فئة السن من ١٠ - ٢٠ سنة ويليهما مباشرة فئة السن من ٢٠ - ٤٠ وتصل بدورها الى ربع مفرقات المينة ويعنى هذا أن الترحيلة تجذب شريحة كبيرة في مرحلتى الفتوة والشباب سواء من الاحداث الذين يرافقون أسرهم أو الشباب الذين تؤدي حاجتهم المادية لمقدم الاجر الذين يحصلون عليه في الترحيلة الى ريسط مصائرهم بهذا النوع من العمل الموسى .

(ب) ان الغالبية الساحقة من عمال التراحيل في مينة الدراسة هم من **الأميين** ( ٩١ ٪ ) ومن المؤسف حقيقة أن يفصح تحليل نتائج الدراسة عن ارتفاع معدل الأمية كذلك في فئة السن من ١٠ - ٣٠ سنة وهى الفئة الشابة التى تقع في سن التصليم حيث يصل معدل الأمية فيها الى ٩٠ ٪ ( من مجموع هذه الشريحة العمرية ) وهذا يعنى استمرار امية الجيل الاصفر والاكثر شبابا وهكذا تستكمل حلقة الأمية ليعاد افرار **العامل الأمي . . الصغير السن . . في الحرب . . ضعيف القبة** الذى يعمل في الترحيلة برفقة أسرته ثم يستمر في العمل بالترحيلة بعد أداء الخدمة العسكرية اذا لم تتح له فرصة الهجرة الخارجية أو العمل بالقصرية ، وبعبارة أخرى فان عامل الترحيلة يمسك الموصفات الاجتماعية للفلاح الفقير الذى يتجسد فقره في تدنى خصائصه الاجتماعية .

( ج ) من الملاحظ أن نحو ثلاث أخماس المينة المدروسة من العمال **المتزوجين ويقيمون في العزب ثم المطلقين والارامل** .

( د ) تشكل هذه الشرائح الفقيرة ثلثت تعاني من الفقر وهم عادة **يتقنون بالكسك ويقبلون بحورهم ألفين الواقع عليهم كابر** لا مفر منه ( ٢٥ ) .

( هـ ) ذكر نحو ثلثي افراد المينة المدروسة أن **العمل السابق على**

**الترحيلة كان عملاً غير دائم ولعل هذا هو المبرر الحقيقي الذى يمكن خلف العمل فى الترحيلة التى برغم عدم تواصلها إلا أن العمال كان يظل عادة ولمدة شهرين على خدمة المقلول الذى يعمل معه ، ويؤكد هؤلاء أن المشكلة الرئيسية تكمن فى عدم توفر العمل فى القرية وقت العمل بالترحيلة وأنهم كانوا يفضلون العمل فى قراهم الأصلية .**

( و ) من الملفت للنظر أن نحو ثلثي مجموع أفراد العينة قد **وُفُصُوا** فكرة الهجرة الخارجية للبلدان القفطية ويبدو أن ظروف هؤلاء العمال — سواء ظروفهم الصحية أو ارتباطاتهم ومسئولياتهم العائلية — وعجزهم عن توفير نفقات السفر للخارج فضلاً عن انخفاض مستوى طبوهم ، واتجاهاتهم الغيبية — التى ترتكز على ضرورة التسليم بالواقع وتستبعد احتمال تحسين الأوضاع المعيشية من الأسباب الدافعة لرفض الهجرة للخارج .

( ز ) استطلعت الدراسة رأى عامل الترحيل فى إمكانية الوصول الى رئيس انصار أو مقلول ثمانية أقل من ثلث أفراد العينة المدروسة بصعوبة ذلك إذ أن الحراك يحتاج الى الخبرة وتوفر رأس المال ( ليتسنى القيام بجميع القوة العاملة والتعامل مع المؤسسات التى يعمل فى ظلها عمال الترحيل ) وبينما بلغ متوسط ساعات العمل ٧ أو ٨ ساعات فى المتوسط فإن نسبة ليست قليلة من أفراد العينة تعمل ما بين ٩ : ١٢ ساعة يومياً فى المتوسط دون أن تتناول المقابل المادى نظير هذا الجهد وغير خاف أن بذل هذا الجهد مع ضالة الأسعار الحرارية التى ينالها العامل تؤدي عادة الى أصابته بالعديد من الأمراض ككثرة الدم وسوء التغذية وغيرها ، ومع أن اشتغال رب الأسرة وزوجته بعض اولاده الصغار يؤدي مادة الى وجود مبلغ ( مجسد ) كبير نسبياً إلا أن الظروف السيئة التى تعيش فى كنفها الأسرة والاحباطات العديدة التى يتعرض لها كل يوم تسوقه أحياناً الى تعاملات المكينات والمخدرات التى تستنزف مبالغ كبيرة وتحرره بالتالى من الاستفادة من هذه المبالغ فى تحسين أوضاع أسرته .

( ح ) ذكر أكثر من ربع مجموع أفراد العينة أنه سبق مجازاتهم فى الترحيلة بسبب التأخر فى الوصول لحال العمل أو الانقطاع منه ، وغير خاف أن هذا يتم نتيجة لمعاناة الشخص فى الوصول للعمل بسبب ندرة المواصلات أو لمرضه المفاجئ أو لاضطراره الى قضاء بعض مصالحه الضرورية والحياتية خلال أيام العمل ، غير أن العديد من عمال الترحيل

قد ذكروا بأن الجزء كان يوقع عليهم نتيجة للخلاف الشخصي مع رئيس  
الانفار أو نتيجة لتعسف الرؤساء من وجهة نظر العامل ، فهم يحاولون  
عادة استغلاله بشتى الطرق لأداء بعض الخدمات الشخصية ويتم توقيع  
الجزء عليه في حالة رفضه لهذه السخرة ويفكرنا هذا بما سبق أن ذكره  
عبد الفضيل من أن قوة مقاولي الانفار تستمد أهميتها من البنية الاقتصادية  
والاجتماعية للريف المصرى كتجسار أو ملاك أراضى - فهم من الشرائح  
البورجوازية في الريف كما أنهم يقومون باعطاء عمال التراحيل سلفيات  
على الترحيلة القادمة ولا يوجد وسيلة لسداد هذه الديون الا بالخروج  
في ترحيلات مستمرة وهذا يؤدي لزيادة المقدرة الاستغالية لمقاولي الانفار .

كما أن لمقاولي الانفار شبكات متسعة من انصبيات في قراهم  
يستخدمونها عادة لضمان استمرار توريد الانفار في الترحيلة بصورة  
مستمرة .

( ط ) ذكر نحو نصف مجموع افراد العينة ان المقاول يتولى عادة  
تحصيل مبالغ نقدية نظير تشغيلهم مستغلا في ذلك حاجتهم الماسة للبلغ  
الذى يعطى « كمتقدم أجر » وحاجتهم الماسة للعمل للقيام بالتزاماتهم  
الاسرية وعدم وعيهم بحقوقهم نتيجة لاميئتهم فهم على سبيل المثال نادرا  
ما يحصلون على « بدل الغذاء » المقر لهم من المؤسسة التى يعملون بها  
كما أن المقاول يقوم عادة بخصم مبالغ أخرى من اجورهم تحت اسم  
الانتقال لمحل العمل كما أن رؤساء العمال الذين يتولون تنظيم العمال  
ومراقبتهم وهم قرة عمل تتكون عادة من اقارب المقاول الذين لا يؤدي  
أى اعمال تذكر بينما يحصلون على اجورهم غير منقوصة مثلهم كمثل باقى  
عمال الترحيلة .

وفي بعض الاحيان يقوم المقاول بقيد العمال على ذمة المؤسسة  
ويتولى تشغيله بالفعل في عملية أخرى ويحصل على أجره في العمليّة  
الآخرة ، ومن الغريب أن المحافظات التى تتولى في الوقت الحاضر  
تشغيل عمال التراحيل قد أسهمت في زيادة الاستغلال المبرح للمرضى عليهم  
من قبل الأجهزة الادارية الآخرة فيها اذ مارست هذه الأجهزة الطرق  
والاساليب نفسها التى يتبعها المقاول التقليدى فالبسها رداء الشريفة  
وقننتها نباتات هذه السخرة تمارس بصورة أشد قسوة وأكثر تنظيما (٢٧) .

### ثالثا : السياسة الاجتماعية تجاه عمال التراحيل :

ليس هناك شك في أن نظام الترحيلة يعد امتدادا لنظام السخرة الأمر الذي دعا أوبريان إلى القول بأن عمال الزراعة ( عمال التراحيل ) ظلوا طيلة القرن العشرين غير أحرار في اختيار نوع العمل أو حتى الأماكن التي يعملون بها وقد أفضحت نتائج الدراسة الميدانية من أن معسكرات الترحيلة تكاد تخلو من أبسط المرافق التي تشبع الاحتياجات الأساسية لعمال التراحيل ، فقد اتضح من هذه النتائج على سبيل المثال أن ١٨ ٪ من العمال يقضون حاجتهم الطبيعية خارج المعسكرات السكنية نظرا للازدحام المحفوظ على دورات المياه الموجودة بينما اتضح أن الزوج والزوجة وأولادهما نادرا ما يحظيان بحجرة مستقلة غير أنهم قد ينالوا في منابر متسمة لا يفصل بين الأسرة الواحدة وغيرها من الأسر سوى ساتر بسيط من القماش ولنا أن ننصور مدى الحرج والحساسية والخطورة المترتبة على حشد الأزواج والأولادهم وبناتهم معا فضلا عن الصقاق أجساد الذكور والإناث الذين حضروا بفردهم للعمل في الترحيلة دون مصاحبة أسرهم مما يؤدي لمشاكل وعلاقات شاذة ، وقد أبدى العمال تذمرهم لتغييب الرعاية الصحية إذ يضطر العمال عادة إلى اللجوء للمستشفيات العامة القريبة منهم في حالة تعرضهم للمرض أو للحوادث وفي الوقت الذي تنعدم فيه الرعاية التعليمية والترفيهية وتسوء المرافق الخاصة بالمواصلات والتغذية يحصل العمال بالكاد على الحد الأدنى من المساعدة في حالة تعرضهم للآفات والكوارث ، وعادة ما تأتي هذه المساعدات من جيوب الأهل وأبليديات وفي حالة التعرض لحوادث العمل أو الوفاة يأتي القدر الأكبر من المساعدة نتيجة لتكاتف العمال ووقوفهم إلى جانب الضحية ومساعدتهم المتبادلة أكثر منها لتقييم المقاتل أو المؤسسات التي يعملون بها بتقديم المعونة المادية كتهنئة لتغييب النشاط النقابي بمنعاه الفعلي \*\*\* بالنسبة لهذه الشرائح العاملة مما يفقدها معاملة الدفاع الشرعي عن حقوقها .

وقد قرر ٨٧ ٪ من مجموع أفراد العينة غياب خدمة التأمينات والمعاشات التي يمكن الانتفاع منها في حالة الوفاة والعجز والشيخوخة وهذا يعني بدوره أن العامل حين يعجز عن بيع قوة عمله يضمن عاجزا عن كفاية نفسه وأشباه حاجاته الشخصية وحاجات أسرته ، وقد ألقي العمال باللثة على الدولة وعلى المقاتل والشركات والمؤسسات التي يعملون في ظلها ونذكروا بأن على هذه الهيئات تقع عبء تحسين الأوضاع .

ويعتقد البعض أن عام ١٩٦٤ قد شهد المرحلة الثورية الجديدة بالنسبة لعمال التراحيل بصدد قانون النقابات رقم ٦٢ أذى شجع على نشر اللجان النقابية في القرى المصرية .

قد اكتسبت هذه الثورة دفعة قوية بفضل اهتمام الرئيس الراحل عبد الناصر بقضية عمال التراحيل عام ١٩٦٥ وانعكس ذلك في اهتمام الاتحاد الاشتراكي بهم من خلال المؤتمر التعاوني الأول للفلاحين سنة ١٩٦٦ (٢٨) .

وفي عام ١٩٧٦ أنشأت الدولة جهازاً يسمى « جهاز رعاية وتشغيل العمال الموسمين » يتبع وزير الدولة للحكم المحلى لوضع السياسة العامة لرعاية هؤلاء العمال وتنظيم ساعات عملهم وأجورهم وإجازاتهم وحمايتهم من الاستغلال من خلال تكوين لجنة استشارية عليا على أن تتولى اللجان الفرعية الموقدة والمستقلة للعمال الموسمين بالمحافظات تنفيذ قراراتها في المراكز والقرى التابعة لكل محافظة .

وفي عام ١٩٨١ صدر القرار الجمهوري رقم ٢٦٥ الذى قام بالقاء جهاز تشغيل العمال الموسمين وعمل اللجنة الاستشارية ، وقد تولى وزير القوى العاملة والتدريب بمقتضى هذا القانون مع وكلاء الوزارات حل مشكلات ومخالفات تشغيل العمالة الموسمية وعمال التراحيل ، وقد ثار الصراع بين وزارات لحكم المحلى والقوى العاملة على رسم السياسة الاجتماعية في مجال عمال التراحيل بينما أسفرت التجارب المختلفة لاشرف المحافظات على تشغيل عمال التراحيل عن زيادة استغلال مكاتب رعاية عمال الزراعة والتراحيل في المحافظات بل وإلى دمج الاستغلال وتثمينه إذ حصلت المحافظات بموجب هذه المهبة على عمولات كبيرة نظير تشغيل عمال التراحيل واستخدمت هذه العمولات في شراء العربات الفاخرة وأجهزة التكييف لكبار ( الموظفين ) فضلاً عن المبالغ الكبيرة التى كانت تدخل بصورة غير رسمية جيوب الأشخاص الذين يتولون تشغيلهم \* \* \* \* \*

وقد صدر القرار الوزاري رقم ١٠٥ لسنة ١٩٨٥ الذى رخص لنقابة عمال الزراعة بإنشاء مكتب تشغيل لعمال التراحيل تتبع النقابة العامة وإذا كان أجر عمال التراحيل قد ارتفع في الآونة الأخيرة وازداد الاهتمام بالبرامج الخاصة بمحو أمية العمال وتدريبهم المهني كنتاج لنقص اليد العاملة في مجال التراحيل لازدياد تيار الهجرة الخارجية للبلدان النفطية ، وانضمام الشباب المتعلم الى قطيع عمال التراحيل بصحة أسرههم خلال شهور الصيف والعطلات الدراسية ( وازدياد وعى هؤلاء بالاستغلال

الذى يقع على العمال من جانب الشرائح العليا والطفيلية والمؤسسات  
الاستشارية في الريف ) والامر الذى لا شك فيه كذلك ان عمال التراجيل  
ما زالوا يملكون التجسيد الحقيقى للاستغلال والظلم الذى تتعرض له هذه  
الشرائح بصورة مستمرة حتى الآن .

وقد قام الانثروبولوجى توث باجراء دراسة حديثة عن عمال التراجيل  
في منطقة مريوط سنة ١٩٨١ واوصى فيها بضرورة زيادة اجور عمال  
التراجيل ، والتركيز على اقامة المشروعات في القرية التى يأتى منها  
العمال ، والاهتمام بالتعليم الالزامى ، وتدريب القوة العاملة الريفية  
ابان تخرجهم لتحسين قدراتهم المهنية فضلا عن ضرورة القيام بدراسات  
عقلية لتوضيح الجوانب المختلفة للظاهرة .

---

« المصادر »

- ١ — K. post. peasantization in west Africa (In) P.C.W. Gut-kind, p. waterman (Eds) African social studies. London. 1981. pp. 241 : 250.
- ٢ — د.ه. تاونى — المجتمع المستقل — ترجمة أمين إبراهيم . مراجعة د. محمد أنيس — القاهرة ١٩٦٢ — ص ٤٧ : ٥٧ .
- ٣ — ديبيد جري — الثورة الريفية — في محمد الجوهري وآخرون — الاقتصاد والمجتمع في العالم الثالث — ١٩٨٢ — ص ١٩١ : ص ٢٠٠ .
- ٤ — المصدر نفسه — المكان نفسه .
- ٥ — عطية الصيرفي — عمال التراحيل — القاهرة — ١٩٧٥ — الفصل الاول .
- ٦ — محمود عوده — الفلاحون والدولة — القاهرة — ١٩٧٩ — الفصل الخامس والسادس .
- ٧ — رقية مرشدي — مجتمع عمال التراحيل — الاسكندرية ١٩٨٠ — ص ٧ : ص ١٥ .
- ٨ — المصدر نفسه ص ١٥ : ص ٢٠ .
- ٩ — عبد الباسط عبد المطلبى — الصراع الطبقي في القرية المصرية — القاهرة ١٩٧٧ — ص ٢٨ : ٥٥ .
- ١٠ — عبد الرحيم عبد الرحمن — الريف المصرى في القرن الثامن عشر — القاهرة ١٩٧٤ — ص ٢٧ — ص ١٤٨ .
- ١١ — محمود عوده — المصدر السابق ذكره ص ١١٥ .

- ١٢— محمود عوده — المصدر السابق ذكره ص ١٠١ : ص ١١١ .
- ١٣— الاب ميرووط — النلاحون — القاهرة — ١٩٦٨ — ص ٦٠ : ٦٦ .
- ١٤— محمود عوده — المصدر السابق — ص ٤٨ : ص ١٥٨ .
- ١٥— باتريك أوبريان — ثورة النظام الاقتصادي في مصر — تعريب  
خيري حماد — القاهرة ١٩٦٨ — ص ٥٨ ، ص ٥٦ .
- ١٦— فتحي عبد الفتاح — القرية المعاصرة — القاهرة — ١٩٧٥ —  
ص ٢٤٥ : ص ٢٤٧ .
- ١٧— محمد عاطف فيث — دراسات في علم الاجتماع القروى —  
دار المعارف ١٩٦٨ — ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٣٩ .
- ١٨— فتحي عبد الفتاح — المصدر السابق — المكان نفسه .
- ١٩— محمود عبد الفضيل — التحولات الاقتصادية والاجتماعية في الريف  
المصرى — القاهرة ١٩٧٨ — ص ٨٠ : ص ٩٠ .
- ٢٠— المصدر نفسه — المكان نفسه .
- ٢١— عطية الصيرفى — مصدر سابق — ص ٣٦ : ص ٧٩ .
- ٢٢— بنت هاتسن وسير رضوان — العمل والمعدل الاجتماعى — القاهرة  
١٩٨٣ — ص ٦٧ : ص ٧٤ .
- ٢٣— المصدر السابق — ص ٢١١ : ص ٢١٩ .
- ٢٤— المصدر نفسه — المكان السابق .
- ٢٥— محمد الجوهري — المدخل الى علم الاجتماع — القاهرة ١٩٨٤ —  
ص ٤٨٥ : ٢٩٥ .
- ٢٦— محمود عبد الفضيل — المصدر السابق — المكان نفسه .

٢٧— محمود عوده — الفلاحون والدولة — المصدر السابق — ص ١٨٤ :  
ص ١٨٥ ص ١٦٥ .

٢٨— دراسات في علم الاجتماع الريفي — ص ١٦٥ .

٢٩— حسن معاذ رميح — عمال التراحيل — المشكلة والحل — مجلة  
الطليلة — يناير ١٩٧٢ .

٣. — Tooth, J. Tarahil workers in the Egyptian Delta. Amer.  
Center, in Egypt. 1981.

(\*) عن ورقة قدمها الباحثة في ندوة « الفلاحون والتغير  
الاجتماعى في العالم العربى التى نظمتها مركز بحوث الشرق الاوسط التابع  
لجامعة عين شمس من عمال التراحيل سنة ١٩٨٦ » .

(\*\*) يتقدم الباحث بالشكر للاستاذ الدكتور عادل عازر رئيس  
وحدة السياسة الاجتماعية والقاتون بالمركز القومى للبحوث حيث اسند  
سيادته له مهمة قيادة فريق العمل الميدانى وكتابة التقرير النهائى .

(\*\*\*) حتى سنة ١٩٥٩ لم تضم نقابة عمال التراحيل سوى مجموعة  
تري محدودة .

(\*\*\*\*) اذا أصبح المحافظ وحاشيته يشكلون الجهاز الرسمى  
لاستغلال هذه الشريحة .



## الفصل الخامس

### « الانثروبولوجيا الحضرية »

يمكننا ان نعرف الانثروبولوجيا الحضرية بانها استخدام المناهج والادوات الانثروبولوجية في دراسة المدينة مع الاستفادة هنا من معطيات الدراسة الحقلية وبإستطاعتنا ان نرجع الكتابات الاولى عن الحياة الحضرية والتنظيم الاجتماعى الحضرى للعلماء والرحالة العرب أمثال ابن حوقل وابن خردزبة وياقوت الحموى بينما قدم ابن خلدون وصفا مستقيضا للحياة فى المدن غير ان التاريخ الفعلى للدراسات الانثروبولوجية الحضرية يعود فى واقع الامر الى تسعينيات القرن الماضى حين شاركت الجمعية الانثروبولوجية للمرأة فى واشنطن فى دراسة عن الاسكان الحلى فى المدينة (١) ويؤرخ كمبر Kemper وفوستر Foster (٢) للانثروبولوجيا الحضرية بظهور مدرسة شيكاغو خلال الحرب العالمية الاولى حيث يدين الاتجاه « الايكولوجى » Ecology برمته الى جهود العالم الأمريكى بارك R. Park بمقالة عن المدينة سنة ١٩١٥ والذي تأثر به بنظرية دارون وفى ضوء هذا الاتجاه اعتبرت البيئة بمثابة الوحدة الضوية او الطبيعية الملائمة لحياة الانسان اذ يشير مفهوم السيطرة Dominance من وجهة النظر الايكولوجية الى نمط النشاط السائد فى المنطقة فالمصناعة على سبيل المثال تؤثر فى البيئة المحيطة ، وفى نمط استخدام الارض ، وفى تحديد نوعية الطبقات التى تتولى جذبها الى المنطقة ، وقد تعددت النظريات التى تصدت لدراسة المدينة فى ضوء هذا الاتجاه فقدم أولمان Ullman و هاريس Harris نظرية تعدد النوايا Multiple Nuclear حيث اعتبرت المدينة منقسمة الى عدة مناطق وتعد كل منطقة نواة للنشاط السائد .

وقدم هويت Hoyt نظرية القطاع sector على اعتبار ان المدينة تتكون من عدة قطاعات ولكل قطاع خصائصه الايكولوجية ، كما تعددت الاسهامات التى قدمها مكينزى Mckenzi ، و زورباخ Zorbaugh ، وبويرمان Bowerman ، وغيرهم من علماء الاجتماع الأمريكى الذين ساهموا فى ارساء هذا الرايد المرتبط بالمدرسة الايكولوجية (٣) (٤) .

وقد تعرضت هذه المدرسة للعديد من أوجه النقد التى تتلخص فى تجاهلها للعوامل الثقافية كما يتسلخ عليها ما يوجه للنظريات « الحضرية » من أوجه النقد .

وقد اهتم بارك Park وويرث Wirth على وجهه الخصوص بظاهرة تقسيم العمل ، وتشقت الأدوار الاجتماعية فى المدينة باعتبارها من الظواهر الحضرية الهامة التى تهيى على شكل العلاقات الاقتصادية الحضرية وتتحكم فى توزيع المهن وفى النسق السياسى الحضرى (٤) .

كما أبرز ويرث — داخل المدينة — الفصل الواضح بين محل السكن والعمل (٥) ويذكر جوبرج Sjöberg فى معرض حديثه عن الوجهات النظرية التى تصمت لتفسير الظاهرة الحضرية أن ويرث Wirth ، وريدفيلد Redfield يتفقان فى شمول الظاهرة الحضرية للعلمانية والعلاقة بالجماعات الثانوية ، والمضوية بالجمبعيات الاختيارية ، وتزايد انقسام الأدوار ، وغموض المعايير الاجتماعية (٦) .

ويذكر بيلز Beals وهويجر Hoijer (٧) أن أقدم الدراسات الحضرية التى تقدمها علماء الأنثروبولوجيا قد تبث فى إفريقيا ومنها الدراسة التى تدبها البعض لاختيار نظرية ريدفيلد المتضمنة ثنائية المجتمع الحضرى — الريفى .

وقد أبدى بعض علماء الأنثروبولوجيا اهتماماً بالمشكلات الحضرية فى مدن غرب وشرق إفريقيا وأنصب اهتمامهم على آثار الهجرة الى المناجم والمدن . أما لدراسات الحضرية التى أجراها علماء الأنثروبولوجيا فى أمريكا اللاتينية فهى حديثة العهد نسبياً وتركز الاهتمام فيها على دراسة الأحياء الفقيرة أو أحياء « الجيتو » ، كما أنصب اهتمام هؤلاء الباحثين على الاتحادات والهيئات الى جانب الاهتمام كذلك ببعض عناصر عملية التحضر ونكيف المهاجرين لطروف الحياة فى المدينة ، وقد حاول بعض علماء الأنثروبولوجيا الحضرية استخدام فكرة ( النموذج ) وهى فكرة ترجع بأصولها للمناهج « الثقافى » الذى ساد خلال القرن التاسع عشر ويرى البعض أمثال مكجى McGee (٨) أنه برغم أوجه النقد العديدة التى وجهت لفكرة النموذج إلا أنه لا زال يمثل أطواراً لا غنى عنه لدراسة الحركة من المجال الريفى للحضرى كما يساعد على تتبع الآثار الحضرية فى المناطق الريفية . وقد حاول البعض تلاقى أوجه النقد التى وجهت

للتنائيات بوضع فكرة **التصل Continuum** ومن هؤلاء روبرت ردفيلد الذى صاغ نموذج **المجتمع الشمعى** « الفولك » فى مقابل **المجتمع الحضرى** كما حاول اثبات فرضيته بدراسة { مجتمعات محلية تتدرج من « القبلية » للحضرية (٩) .

غير أن الكثير من الدراسات الحضرية قد أخفقت فى انظر للمدينة — وعلى الاخص المدينة الكبيرة — كوحدة بنائية أو ثقافية « كلية » مغابوا بدراسة مشاكل معينة داخل المدينة كالقربا ( بحسب ما فطروا على ذلك فى المجتمعات التطبيقية التى كانوا يدرسونها ) وهكذا طرحوا قضية أداء نظام القربا — أو أى ظاهرة أخرى — لوظيفته فى المدينة بدلا من التساؤل من أثر الحياة الحضرية على القربا (١٠) بمباراة أخرى فان دراستهم كانت للقربا لا للحياة الحضرية بينما تكن مساهمة الانثروبولوجيا الحضرية فى تسليمها بأن السمات الاساسية لى وحدة أو بنسأ اجتماعيا ليست وليدة العوامل الداخلية وهذا بل ان العوامل الاساسية لى وحدة تتمثل فى الظروف الخارجية ايضا التى تنمو فى ظلها تلك الوحدة أو هذا البناء ولا يجوز فى هذه الحالة ان ندرس المجتمعات المحلية الصغرة كما لو كانت وحدات مستقلة أو قائمة بذاتها بل كأجزاء من مجتمعات أكبر .

وتستخدم الانثروبولوجيا الحضرية الدراسة المقارنة وبخاصة بين العديد من النماذج الريفية والحضرية ، ومن المحاولات الاولى فى هذا المجال دراسة المدن فى منطقة الاوتيانوسية التى اشرف عليها الكسندر شبور وخلص منها الى أن هذه المدن تمثل نوعا من « الحضرية » التابعة « للادارة الاستعمارية والاغراض التجارية » (١١) .

كما يستلزم استخدام **النظرة الكلية Holistic** فى ميدان الانثروبولوجيا الحضرية كذلك تطبيق العديد من الاساليب وأدوات جمع البيانات كالتقابلات بالمشاركة مع الاستفادة بالبعد المجتمعى **الضيقى Micro** و**الواسع Macro** ويتسم البعد الأول بدراسة الظواهر الاجتماعية فى منطقة حضرية بعينها والثانى بالتركيز على العلاقة بين المنطقة الحضرية والمجتمع القومى الذى يضمها ، ومن أبرز ممثلى الاتجاه الاول سوئال ، ميتشيل ، ووتس ، أما الثانى فيعد ليدز Leeds من أتباعه (١١) .

ويذكر جلوك Gluck أن هناك ثلاث استراتيجيات للدراسة الانثروبولوجية الحضرية :

( ١ ) الاستعانة بالطرق الانثروبولوجية التقليدية مع مراعاة العلاقة بين المنطقة الحضرية والبيئة الكلية .

(ب) الدراسة النظامية للمدينة .

( ج ) المنظور « المصالي » المتبع بقصد « التحليل المقارن » مع أخذ العلاقات الريفية الحضرية في الاعتبار (١٢) .

كما يؤكد أولين Olien أن هناك أربعة أبعاد لدراسة البيئة الحضرية وهي العلاقات الداخلية في المجتمع المحلي ، والعلاقات الريفية الحضرية ثم العلاقات الحضرية القومية وأخيرا العلاقات الحضرية الدولية (١٣) .

وحقيقة الامر أن مجال الدراسات المقارنة قد ازداد اتساعا في ميدان الانثروبولوجيا الحضرية مع ازدياد الاختلاف بين البنيات في مجتمعات مختلفة وقد برع في هذا المجال ليذر Leeds و إيكين Aiken وغيرهما من علماء الانثروبولوجيا (١٤) .

وقد استحوذت الدراسات الانثروبولوجية الحضرية أخيراً على اهتمام الباحثين الذين ينتمون الى الولايات المتحدة وغيرها من بلدان العالم الغربي والكتلة الشرقية مفضلاً عن ينتمون إلى بلدان العالم الثالث أيضاً .

ويرجع الفضل حقيقة الى وارنر Warner عالم الانثروبولوجيا الأمريكي — الذي تبلّذ على كل من روبرت لوى ورافكليف براون — في استخدام المدخل الانثروبولوجي لدراسة مدينة أمريكية Yankee City حيث استخدم الباحث الملاحظة بالمشاركة والمقابلات المتعمقة استخداهما فعلاً كما حاول تفسير الحياة الاجتماعية بالرجوع الى البناء الاجتماعي وانتهى الى تحديد ثلاث طبقات رئيسية تتألف كل منها من شريحة عليا وأخرى دنيا لتفسير الأوضاع الاجتماعية في المجتمع المحلي . \*\*

ولقد أصاب زلمان Reissman (١٥) حقيقة حين قرر أنه ( حتى نهاية الستينيات ) لا توجد نظرية واحدة تصلح لتفسير التحضر أو تقديم نظرية حضرية فنحن لا نعترف بعد الديناميات التي تصاحب حراك المجتمع من حالة الى أخرى ، وحين يلفت زلمان (١٦) النظر لاهمية دراسة المدينة الصناعية فإنه يقرر بأن التحضر لا يعنى التحول الذي يتعرض له المجتمع

الريفى أو الشعبى بحسب بل يتضمن كذلك التغير المستمر للمدينة الصناعية نفسها فالتحضر لا يقف عند مرحلة معينها بل ان المدينة نفسها تتغير بصورة مضطردة ، ولعل أبسط الأسباب التى أدت الى القصور فى تحليل المجتمعات الصناعية يرجع الى اعتقاد البعض بأن النموذج الفريسي هو النموذج ( الوحيد ) أو هو أكثر الانماط ملاءمة وعلى البلدان المنظمة ان تجاهد للوصول إليه ، فقد تأثر ويرث ورنجيلد بنمط المدينة الأمريكية مبالغوا فى التركيز على الانقسام فى الحياة الحضرية واختلال التنظيم فيها (٩) أما الذين اهتموا بتفسير التنظيم الاجتماعى الحضرى فى ضوء نسق القيم أو استعانوا بالمفهوم التكنولوجى فى تفسير التحضر فقد ماتهم ان المحليات تختلف فى درجة تأثرها بالتصنيع والحضرية (١٧) بل ان بلدان العالم الثالث تحتاج الى وقفة خاصة فى ضوء ظروفها المرتبطة بالتصنيع والتحضر (١٨) فالتحضر ليس مجرد كثافة سكانية مرتبطة بالموقع الجغرافى بحسب بل هو ظاهرة متعددة الأبعاد ايكولوجية وسكانية واقتصادية ( فهو ظاهرة اجتماعية فى المحل الاول ) وهو يتصل بالتغير فى العلاقات الريفية الحضرية التى لا تتخذ صورة العلاقة القطبية ( قطبين فى متصل واحد ) بل تأخذ صورة العلاقة البنائية ( قطامين فى وحدة بنائية واحدة ) حيث يعسر علينا ان ندرك ما يحدث فى أحدهما دون ان ندرك ما يلازمه من مظاهر الاتفاق والصراع فى الآخر فالتحضر يعنى فى واقع الامر **التحولات** فى المجتمعات المحلية والتى تحدث فى مجال العلاقات الحضرية الريفية والتى تحدث فى الانساق البنائية للمجتمع ككل ونعنى به التحول المستمر فى شبكة العلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية التى نميش فى ظلها فى المناطق الحضرية .

وتهم الانثروبولوجيا الحضرية بخلق نظرية تصلح لتحليل البناء الحضرى مع الانتفاع بالاتجاه الممارس والنظرية الشمولية انتفاعا كاملا ، فقد أدان علماء الانثروبولوجيا علماء الاجتماع الحضرى على أساس انهم وقعوا فى خطأ مشترك وهو دراسة المدن فى عزلة كاملة دون ان يدركوا بما فيه الكفاية انها تمثل أجزاء داخل انساق أكبر ، والواقع أنه لا وجود للفلاحين دون مدن . بل ان هناك شروطا أساسيا للحضرية يتبل فى تطور أساليب انتاج الطعام وعلى ذلك فان المجتمعات المحلية الزراعية تعد الشرط الأساسى لقيام واستمرار الحياة الحضرية ، ويعتقد هوجيروبولز (١٩) أن الثقافة الحضرية الصناعية ستنتشر على نحو حتى فى المناطق الريفية اذ يستعين المجتمع الريفى بأعضاء من خارج المجتمع المحلى لإدارة شؤونه ، ولذا تعد الكثير من نظمه شواهد محلية على النظم القومية غير ان المجتمعات المحلية فى خضوعها لمقتضيات التصنيع والتحضر

تتفاوت في استجابتها بين الترحيب والرفض لهذه المتغيرات « المجتمعية » .

وهكذا يتضمن التحضر الظواهر المصاحبة لنشأة المحليات الجديدة أو نموها من ناحية والتي تواكب حراك السكان للمناطق القائمة بالفعل وتركزهم بها من ناحية أخرى ، الأمر الذي يؤدي الى ازدياد الاهتمام بتوفير مصادر العمل غير الزراعى .

كما ان ثمة تفسيرات تلحق الشبكة الكلية للعلاقات الاجتماعية Total Network of social relations نتيجة لذلك اذ تزداد مشاركة الانساق المحلية في الانساق الكبرى ( خارج المجتمع المحلى ) وبدلا من سيطرة المصيبة والعلاقات القرابية يزداد الاهتمام بالتصامل داخل منظمات كبرى خارج حدود الجماعات القرابية ويزداد التنوع في أوجه النشاط الاقتصادى مع الاهتمام بالمشاركة في المنظمات والجمعيات والهيئات الرسمية وازدياد مشاركة النساء في قوة العمل ( غير الزراعية ) كما تزداد أهمية النواحي المكتسبة - كالتعليم - في المجتمع المحلى .

ويؤكد مكجى (٢٠) أن مدن العالم الثالث تعكس مشكلات المعالم الثالث نفسه بصورة عامة .

ويعتقد جويرج (٢١) أن النمو المستمر للمدينة يمتص الكثير من سكان القرية القريبة التي تدخل بدورها في « زمام المدينة » ويزيادة التصنيع يزداد الاعتماد المتبادل بين المدينة والقرية مما يؤدي الى تغيير النمط التقليدى للسوق ، والبناء الاجتماعى التقليدى برمته وبخاصة بفناء القوة Power structure ويبرز جويرج الدور الذى تلعبه وسائل النقل والمواصلات في التوحيد بين القروى والبناء السياسى والقوى في هذه المجتمعات ، والى الدور الايجابى للتعليم والصناعة المحلية ( التى قد تنسك بالانماط الحضرية الصناعية الجديدة أكثر من تبنيها للانماط التقليدية لضمان استمرار وجودها ) ومن بين الملامح الهامة التى واكبت ازدياد كثافة سكان المدن في العالم الثالث وبخاصة بعد الحرب الثانية ، نقص معدل الوفيات ( خاصة وفيات الاطفال الرضع ) وازدياد معدل المواليد والزيادة الطبيعية ، واتساع حجم المناطق ( الحضرية ) وغلبة التمسك الحضرى نتيجة لازدياد معدلات الهجرة الريفية وبخسول الصناعة الى المدن ، وزيادة معدل الدخل غير ان هناك بعض الملامح النوعية التى تميز بعض هذه البلدان بصفة خاصة ، ففى بعضها كما فى الفلبين وكبوديا تزداد هجرة الاثنت للتعليم والعمل في المدن . بل ان عوامل الطرد

تعمل بفاعلية — أكبر — في جنوب شرق آسيا نتيجة لضغط السكان ( في تلك المناطق ) الأمر الذي يدفع السكان بدورهم للهجرة للبلد (٢٢) وهكذا تشارك الطبقات الدنيا في الريف والحضر عادة بما يمكن أن يسمى **بنقافة الفقر** .

ويذكر Hauser (٢٣) أن آسيا تتولى كذلك جذب السكان من المناطق الريفية وأن السكان ينتقلون بدورهم من الاقتصاد الزراعى الى الإنتاج الصناعى الحديث حيث يزداد الاتصال بالسوق ( العالمى ) فالحضر في الدول النامية قد أصبح الآن أكثر قوة من مثيله في الغرب ( المبكر ) بل ان هناك الكثير من التحولات في العلاقة الريفية والحضرية في هذه البلدان نتيجة للتقدم التكنولوجى ، كما أن التحول من الاقتصاد الريفى الى الاقتصاد الحضرى بها معنى بدوره الحصول من اقتصاد ( الاعاشة ) الى الاقتصاد ( النقصى ) الأمر الذى يسهل عملية توجيه المدخرات وتغيير انماط الاستهلاك ، بيد أن أبرز نتائج التضخم الحضرى في العالم الثالث يكمن في ظهور المناطق « المختلة » وازدياد الكثافة السكانية بها .

ويتر لىتل Little **من اهتماموا بالجمعيات الاختيارية** — لاختيار بعض الفروض من التحضر في أفريقيا — بينما تركز اهتمام البعض اىمال Mitchell بشبكة العلاقات الاجتماعية وبينما حاول جتكاد Gutkind أن يدرس المناطق الحضرية في ضوء بعض المحددات كوضع القوة العاملة والآثار الاقتصادية والسياسية لوجودها ( كالمراكز المهنى، والتخصص وفرص العمل المتوافرة والجمعيات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية وتيار الهجرة الريفية الحضرية واقتصاد السوق ) فان Mcgee قد توصل الى أن معظم نتائج الدراسات تتفق مع فكرة **التحضر الزائد** Over urbanization اذ أن بعض بلدان العالم الثالث قد خلقت بدورها ظروفا بالغة الصعوبة في وجه التحضر ولا تقتصر هذه الظروف على مجرد التكاليف على فرص العمل الموجودة في المناطق الحضرية ، بل في قصور الخدمات تلبا من اشباع حاجات السكان مما يؤدي الى استنزافها وهي الحقيقة نفسها التى يؤكدنا يورودى V. Uroldi حين يذكر أن نمو المدن في العالم الثالث ( وعلى الاخص في أمريكا اللاتينية ) يصاحبه مادة **عدم كفاية الإنتاج الزراعى والخدمات** من ناحية بينما يزداد الاعتماد **بالإنتاج الصناعى** ( لهذه البلدان ) من ناحية أخرى غير أن هذه العوامل مجتمعة لا تؤدي الى ازدياد المشاكل الاقتصادية ، وازدياد الضغط على النسق المهنى الموجود ونقص الاجور فحسب ، بل تؤدي كذلك الى استتراك تخلف هذه المجتمعات بصفة عامة عن مثيلتها في العالم الغربى المتقدم صناعيا (٢٤) .

ويتفق بريز G. Breese مع شيشو Chesheaux (٢٥) في أن المدن الآسيوية كانت مرتبطة بالإمبراطوريات الزراعية الكبيرة ولكنها ما لبثت أن اكتسبت تدريجيا المزيد من سمات المدن الغربية ، وبينما اقتصر التحضر في غرب افريقيا على المناطق الساحلية وحدها فإن أمريكا اللاتينية قد حرصت على أن تخطو خطوات سريعة من المرحلة الزراعية القروية ( الكثيفة السكان ) الى مرحلة التصنيع الحديث ، وفي بعض البلاد الامريكية كانت المدن بمثابة مراكز وقواعد للاستعمار الفسري وبانتهاء مرحلة الاستقرار تحولت هذه المدن الى مراكز هامة تتركز فيها القوى السياسية واقتصادية التي تدير دفة الدولة ، ومن ثمة صارت هذه المدن اداة أساسية للتغير الاجتماعي (٢٦) .

ومن بين التصنيفات الهامة للمناطق الحضرية ما قام به بيرين Pirenne لتصنيف المناطق الحضرية في العالم الثالث الى مجموعتين رئيسيتين :

( أ ) المراكز السياسية والحضرية ( مثل دلهي وكيتو ) .

(ب) المراكز الاقتصادية ( مثل بومباي ) .

بينما انصب اهتمام هزليتز على ما أطلق عليه **المدن المنتجة** Generative **والطفيلية** ووضع رذيلد وسنجر تصنيفا آخر للمدن في هذه البلدان ( الاقل تقدما من الناحية الصناعية ) على أساس انها إما « **محافظه** » أو « **مجددة** » والاولى هي التي ( تحافظ على الحضارة التقليدية ونقلها بطريقة منظمة ) ، أما الاخرى فانها ( تخلق ) أساليب فكرية أصلية جديدة غير أن المدينة قد تضطلع بالمحافظة والتجديد معا ، كما قدم هاوسر Hauser تصنيفا للمدن الى **قبل صناعية وصناعية ومثروبوليتانية** ، ويرى بريز (٢٧) أنه يصعب تخطيط وتصنيف مجتمعات العالم الثالث بحسب تحضرها نظرا لتباين واختلاف الظواهر الموجودة في هذه المجتمعات \* واختلاف بنيتها الاجتماعية .

وقد انضح من الدراسات الانثروبولوجية التي أجريت حديثا وتناولت التصنيع والتحضر في آسيا أنه حيثما دخل التصنيع تغرت الخصائص الفيزيكية للمجتمعات المحلية الصغيرة وبالرغم من هذا فإن قارة آسيا تستحوذ على أكبر مجموعة من المدن الكبيرة ( ألتي يزيد عدد سكانها عن مجموع مدن أوروبا وأمريكا الشمالية مجتمعة ) غير انها تعد أقل القارات تحضرا اذا استثنينا قارة افريقيا (٢٨) .

وقد قام سوفاني Sovani باختبار نظرية دافيز L. Davis (٢٩) من التحضر والتحضر الزائد واكتشف عدم دقة الفروض التي شيد عليها دافيز نظريته ، واستنتج أن العلاقة بين التصنيع والتحضر في دول العالم الثالث ليست وثيقة كما هو الحال في الدول الأكثر تقدماً ( صناعياً ) ولكن دافيز وسوفاني فشلا في أن يأخذا في الاعتبار مدى انتشار الصناعة وطبيعتها وعلاقتها بالزراعة في بلدان العالم الثالث .

ويختلف نمط التصنيع والتحضر في العالم الثالث عنه في البلدان الغربية التي سبقتها في هذا المضمار نتيجة للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية — التي تعيش في ظلها هذه المجتمعات فقد عانت كثيرا من تبعيتها للدول الاستعمارية وما زالت تعاني من هذه التبعية الاقتصادية والثقافية والتي تأخذ صورة الاتفاقات والغروض والتبعية المالية والخضوع لرأس المال الأجنبي مما يؤدي الى جمود النمو الاقتصادي بها ( ويشهد على ذلك بالضرورة الدول المسخرة للبتروöl ) .

كما أن ارتباط بلدان العالم الثالث بالسوق العالمي يجعل هذه البلدان تتأثر بدورها بالاختناقات التي تتعرض لها البلدان المتقدمة والتقلبات الاقتصادية والتذبذب الذي يرتبط بدوره بتغير الأحوال الاقتصادية والسياسية بصورة مطردة ( كما حدث أبان الأزمة الاقتصادية عام ١٩٣٠ ) . ويعطل بالتالي من تنمية هذه البلدان .

ويؤدي ارتفاع معدل المواليد ( في العالم الثالث ) مع انخفاض معدل الوفيات لمشاكل بالغة الصعوبة في الاكتفاء ( الزراعي ) مما يضطر هذه البلدان الى استيراد المنتجات الزراعية بينما ينعكس ركود الزراعة في المعجز من تبويل المشروعات الصناعية — التي تعجز بدورها من امتصاص الأيدي العاملة — مما يؤدي في النهاية الى زيادة معدلات البطالة فيها .

ويؤكد علماء الاقتصاد في العالم الثالث مادة أن الجزء الأكبر من القوة العاملة تشتغل في القطاع الثالث ( الذي يشتمل على النقل والتجارة والأعمال الإدارية والخدمات ) ، وليس في « القطاع الثاني » الإنتاجي ( الذي يدور حول الصناعة والبناء ) \* . (٣١)

وبعبارة أخرى فإن التفضيم المفرط في النشاط الإداري والخدمات قد أصبح العلامة المميزة لمعظم بلدان العالم الثالث ، وتضم هذه الخدمات

( الخدمات الشخصية ) ، الامر الذي يعبر عن البطالة المتعممة بخلاف صورها ويزيد من المهن الهامشية (٣٢) .

وتعد دراسات لندن ووارنر محاولات رائدة لتطبيق اساليب الدراسة الانثروبولوجية على المجتمعات الحضرية .

ومن الدراسات الهامة كذلك تلك الدراسة التي تمت في أحد المجتمعات المحلية الكندية الفرنسية وهو مجتمع Canton ville وكذلك دراسة فيديش Vidich وبنزلمان Benesman بمدينة Springdale وهي مدينة صغيرة كانت محكومة تماما بواسطة قوى كبرى خارج حدودها ( الدولة ومؤسساتها الرسمية ) ، والامر الذي لا شك فيه أن التصنيع يؤدي الى اشاعة الكثير من ضروب التغير في الانساق الاجتماعية للمجتمعات المحلية التقليدية وفي المجتمعات المحلية الصغيرة حيث يظهر في هذه المجتمعات المحلية العديد من المنطلقات المتخصصة كالنوادي والاتحادات وما اليها وقد أدى التطويل الوظيفي البنائي في ميدان الانثروبولوجيا الى نبذ العوامل التطورية والتاريخية والتركيز على تحليل البناء الاجتماعي في مجتمع محلي تحليلا وظيفيا وان كان في الامكان الاستعانة بالدراسة الانثروبولوجية التي تتبنى الاتجاه البنائي التركيز على جسامات محلية صغيرة بقصد تتبع العلاقات والانساق في تداخلها وتفاعلها معا (٣٢) .

وبعبارة أخرى لماه طالما كان المجتمع المحلي الحضري يستشعر قوى التغير نفسها التي تؤثر في المجتمع القروي ، فمن المستحسن أن يدرس في ضوء النظرة الضيقة والتسعة في نفس الوقت ويعتبر الاطار التصوري الذي صاغه عالم الاجتماع الأمريكي رولانوارين R. Warren (٣٣) من الانماط « الانقية والراسمية » افضل الصياغات النظرية التي يمكن الاسترشاد بها حيث يحدد الاول بانه العلاقة الوظيفية البنائية للوحدات والانساق الفرعية داخل المجتمع المحلي بينما يحدد الثاني بانه العلاقة البنائية الوظيفية التي تحكم العلاقة بين هذه الانساق المحلية والانساق ( الكبرى ) خارجها . ونستطيع أن نستعير من وارين مفهومه من التغير العظيم في المجتمع المحلي لتلقى المزيد من الضوء على التفسيرات الاجتماعية التي تصاحب التغير في المجتمع المحلي فهو يلجأ الى تقسيم العمل ، وتزايد « البيروقراطية » وازدياد الاتصال بين المجتمع المحلي والمجتمع الكبير وهذه بدورها تعد من الملامح المميزة للتغير - الذي يواكبه أيضا ازدياد الحراك الاجتماعي المهني .

ويذكر مورجان Morgan أن هناك علاقة تفاعلية بين التصنيع

والمجتمع المحلى للتصنيع من صنع الناس ويعتمد نجاحه على احساس الناس في المجتمع المحلى بوجوده واستجابتهم لآثاره (٣٤) .

ويذكر عالم الانثروبولوجيا الحضري جتكند Gutkind (٣٥) أن التصنيع والتحضر يؤديان الى حدوث تأثيرات عديدة على المجتمعات المحلية الصغيرة والنظم الاجتماعية ، وقد اتفصح من واقع دراسة المجتمعات المحلية الصغيرة في جواتمالا Guatemala أهمية الآثار التي يعكسها التحضر والتثنية على هذه المجتمعات المحلية الصغيرة كما ترجع أهمية التركيز على دراسة هذا النمط الانساني الهام الى أن دراسات المجتمع المحلى برغم كثرتها قد اظهرت مقداران التوجيه النظرى الذى يتمثل في جمع المادة دون محاولة تفسيرها ، كما تفتقد بدورها للنظرة التاريخية والتحليل الاجتماعى للأحداث (٣٦) .

وليس أدل على ذلك من أن بعض الكتاب في السنوات الاخيرة قد بالغوا في النظر للمجتمع المحلى نظرية تشاؤمية ، ومن أمثلة هؤلاء ستاين Stein الذى رأى أن المجتمع المحلى الحضري أصبح يروج بالفرياء مما يهدد تماسكه وهو ما أصبح عنه في كتابه بعنوان « خسوف المجتمع المحلى » (٣٧) .

### طرق دراسة المجتمعات المحلية الحضرية :

يذكر وارن R. Warren (٣٨) أن هناك عدة طرق لدراسة المجتمع المحلى أهمها :

#### ١ — الدراسة الديموجرافية للمجتمع المحلى :

يهتم أصحاب هذا الاتجاه بدراسة توزيع سكان المجتمع المحلى من حيث قوته العاملة في المجتمع ونسبة من يعتمدون في معاشهم على غيرهم ، وتوزيع السكان بحسب فئات السن والنوع ، ومن أنصار هذا الاتجاه ثورنديك Thorndike وسيلى Seely ونوجت Vogt وغيرهم .

#### ٢ — دراسة المجتمع المحلى كمؤسسة للتفاعل :

ويهتم أصحاب هذا الاتجاه بدراسة السلوك الانسانى في المجتمع المحلى داخل المؤسسات الموجودة كالدرسة والكنيسة من خلال العمليات

الاجتماعية كالمصراع والتنافس ، ومن اصحاب هذا الاتجاه مايو Mayo وجرين Green .

### ٣ - دراسة المجتمع المحلي كدالة لتوزيع القوة :

ويعنى هذا الاتجاه بدراسة من يملكون التأثير والسلطة فيه ، ومن أمثلة الدراسات التى اهتمت بهذا الاتجاه دراسة هنتر Hunter التى ابرزت اهمية العامل الاقتصادى فى تشكيل بناء القوة .

{ - المجتمع المحلي ( كمرادف ) للنسق الاجتماعى : وتقوم الفكرة الموجهة لهذا الاتجاه على اعتبار أن النسق يعبر عن التفاعل البنائى بين الوحدات ( وهذا ملاوة على الاعتبارات الفيزيكية والايكولوجية الاخرى اللازمة لتكوين البناء ) وعلى هذا الاساس فالمجتمع المحلي يعبر عن فكرة النسق الاجتماعى لاشتماله على العديد من التنظيمات والجماعات الرسمية وغير الرسمية وفى هذه الحالة يبنى على الباحث أن يأخذ فى اعتباره علاقة الانساق الرسمية للمجتمع المحلي مع الانساق الاخرى خارج هذا المجتمع .

وقد استحوذت فكرة المجتمعات المجاورة للمدن على اهتمام بعض علماء الانثروبولوجيا ايضا أمثال هاريس Harris ، وولف Wolf الذين قاموا بدراسة المجتمعات المحلية فى مجتمعات العالم الثالث وبصفة خاصة فى افريقيا وامريكا اللاتينية . وفى هذه الدراسات روعيت علاقات ( الجوار ) بين المجتمع المحلي وبين المدن الاخرى وبعبارة اخرى فالمباحث هنا يدرس « ثقافة جزئية » فى اطار ثلاثة اكبر ليدرك مدى التأثير والتاثر بينهما ، فقد تصدر المدينة للمجتمع المحلي المجاور السلع والخدمات وتأخذ منه المحاصيل الزراعية ومنتجات الابلان .

كما ينصرف مفهوم المجتمعات الصغيرة على اطراف المدن Urban fringes والظهر الزراعي Hinter lands والضواحي Suburbs التى لا يمكن أن تدرس الا فى ضوء اتصالها بالمدينة الكبيرة Town أو المقروبوليتانية وغير خاف أن تحديد المجتمعات المحلية لا يرتكز على الحجم أو الكثافة أو النشاط الاقتصادى السائد أو غيرها من المحكات الجزئية التى ثبت فشلها جميعا فى التمييز بين انواع المجتمعات المحلية التى تتولى دراستها اذ أن هذه الخصائص تختلف من مجتمع لاجتمع وفى المجتمع الواحد من منطقة لآخرى .

### « أمثلة لبعض الدراسات الحضرية »

#### لويس ويرث : « الحضرية كطريقة للحياة » :

كان الهدف من هذا المقال إبراز العلاقة بين التنظيم الاجتماعي في المدينة وبعض المتغيرات التابعة كترديد السكان وكثافتهم وعدم تجانسهم ويمكن أن نلخص أفكار ويرث والمناقشات التي دارت حولها على النحو التالي :

( أ ) يمتد Wirth أن نمط التنظيم الاجتماعي في المدينة يؤدي إلى « لا شخصية » العلاقة الاجتماعية وإلى التخصص وتقسيم العمل الذي يؤدي بدوره إلى اتساع نطاق السوق والامتداد العمراني للمدينة ، وزيادة كمية وسائل الاتصال بها .

( ب ) تقوم نظرية ويرث على وجود بعض الخصائص الأساسية للمدينة تتمثل في زيادة الحجم والكثافة وعدم التجانس وأن هذه تؤثر كذلك على أنماط العلاقات الاجتماعية ( وقد تأثر في هذه المقولة بسبيل كما تؤثر هذه الخصائص بدورها على « الطبيعة الانسانية » وعلى نمو الشخصية ) .

( ج ) تؤدي حياة المدينة بمسئمة عامة إلى زيادة العقلانية وحرية الاختيار .

( د ) إن الحياة الحضرية تتضمن الفصل الواضح بين محل العمل ومكان السكن .

( هـ ) قابل ويرث بين المراكز الحضرية والمحيطات الريفية فالحضر لديه يخالف الريف .

( و ) ترتبط الحياة الحضرية بنمط استخدام الأرض ، ونمط الاتصال والنقل والمواصلات كما تؤثر ( الحضرية ) في البناء الفيزيقي ( المادي ) والتنظيم الاجتماعي القائم والاتجاهات والانكار غير أن ويرث يشير إلى استقلال آثارا لنمو الحضري عن التصنيع إذ أن النمو الحضري يواجه نمو المدينة في الحجم والكثافة بينما يؤدي التصنيع إلى لا شخصية العلاقات

والى التغير فى القيم الثقافية كما يؤكد ويرث فى الوقت نفسه الى أن كل المدن ( التاريخية والمعاصرة ) تنصح من هذه الخصائص عينها .

ومع أن المفهوم ( الجشطالتي ) الذى يطله ويرث من شسأته أن يساعدنا على فهم العلاقة بين عناصر البناء الاجتماعى ( الانساق الاجتماعية المتضمنة ) والتنظيم الايكولوجى السائد الا أن البعض أمثال شنور Schnore وهاوسر Hauser يمتدنون أن ويرث قد فشل بصفة عامة فى استيعاب الاطار التاريخى والمجتمع الذى توجد فيه المدينة ، فكل مجتمع تاريخه وبنيته الاجتماعية والثقافية .

ويذكر جانز Gans أن من أخطاء ويرث التعميمات التى اطلقها على طريقة الحياة الحضرية عامة بينها تركيز اهتماماته على وصف « المدينة الداخلية فقط » ( أى وسط المدينة ) ، كما أنه وضع ظاهرة التحضر فى اطار المدينة ( بينها ينتشر التحضر كذلك للأطراف والقرى ) ، ويذكر جانز أن هذا قد دنع ويرث لان يفترض شيوع عدم التجانس بها يصاحبه من زيادة فى معدلات الجناح والمرض العقلى والانتحار — أو ما يعرف « باللامعيارية » الذى ينعكس فى اختلال التكامل الاجتماعى فى المدينة ، وقد حاول بيكتانس Pickvance (٤٠) أن يدافع عن ويرث على اعتبار أن نظريته للمدينة كانت تشخيصا لنماذج تصويرية أكثر منها لمحات حضرية قائمة بالفعل بينها يذكر موريس Morris أن اختيار الاطار التصورى لويرث يتم بثلاث طرق :

( أ ) المدينة قبل الصناعة كما وصفها جوبرج Joberg .

(ب) المجتمع الحضرى الصناعى بصفة عامة .

( ج ) البيروقراطية .

أما مكجى McGee (٤١) فيعيب على ويرث عدم دقته فى اختيار التغيرات المستقلة والتابعة التى قام ببلرآها فالحجم والكثافة ليسا شروطا للحياة الحضرية ، وقد وقع ويرث فى هذا الخطأ بسبب الافراط فى اصدار الاحكام القبيية ، بالإضافة الى عجزه عن أدراك التأثير الذى يعكسه المجتمع الأكبر على المدينة ، كما أنه تأثر فى كتاباته ببعض الكتاب أمثال بيرين Pirenne ( الذى حاول أن يرسم صورة للاستقلال الاجتماعى والسياسى للمدينة الاوربية فى العصور الوسطى ) (٤٢) .

### تمقيب :

قدم ويرث اطواره الشهير من الحضرة الذى ادى دون جدال الى تعميق فهمنا للعلاقات السائدة بين عناصر النسق الاجتماعى والحضارى السائد والتنظيم الايكولوجى للمدينة غير اننا ننتفق مع Mcgee في أن ويرث قد فشل في اختيار المتغيرات المستقلة والتابعة بسبب نقص دراساته الميدانية في هذا المجال كما أنه قد تأثر بالصورة الكلاسيكية للمدينة الأمريكية ، الامر الذى لا يمكن تطبيقه على الحديثة في مجتمعات العالم الثالث التى ينبغى الآن الاهتمام بدراساتها .

### ٢ — روبرت ردفيلد : « المجتمع الصغير » ( الدولك ) :

اما الدراسة الثانية التى يمكن الاستشهاد بها في هذا الصدد فهى تلك التى قدمها روبرت ردفيلد Redfield . واستعرض فيها خصائص المجتمع الصغير ( في مقابل مجتمع المدينة الاكثر تعقيدا ) ( ٤٣ ) .

وخرج ردفيلد من المقارنة التى مقدها بين المجتمعات المحلية البسيطة والاكثر تعقيدا ( المدن ) بنتيجة مؤداها أن الأخيرة تعتبر :

- ١ — أقل عزلة .
- ٢ — أقل تجانساً .
- ٣ — أكثر تقسيماً للعمل .
- ٤ — أكثر تعقيداً في ( اقتصادها التقنى ) .
- ٥ — أكثر علمانية في التخصص المهني .
- ٦ — أقل ماعلية في الضبط الاجتماعى ( غير الرسمى ) .
- ٧ — ازدياد الاعتماد على النظم « غير الشخصية » في الضبط الاجتماعى .

٨ — أقل حرصاً على العقيدة الدينية .

٩ — أقل ميلاً لأرجال المرفض « للاحكام الاخلاقية » .

١٠ — حرية أكبر في العمل والاختيار الشخصى .

وهذه المتغيرات تصف وتقيس تحضر مجتمع « الفولك » فى الوقت نفسه .

ذهب ردفيلد الى أن التحضر يؤدي لاختلال التنظيم وزيادة العلمانية وزيادة الفردية ، وقد رأى بدوره أن التحضر على هذا الاساس يهدم المجتمع الشعبى ( الفولك ) فلا يستمر تجانس المجتمع طويلا كما نقل اهمية العائلة المبتدة وهكذا تتحول نظرية ردفيلد الى نظرية فى « التقهر التطورى » ولا يخفى على المتتبع لآراء ردفيلد أن « تيوزتلان » كانت المصدر الرئيسى لانكاره من المتصل فولك — حضرى نفسى ١٩٢٦ اكتشف فى خصائص هذه القرية ما طوره بعد ذلك فى نموذج المجتمع الشعبى ( الفولك ) .

كما أكد أهمية الفهم البنائى للقرية والمدينة حيث يستحيل وجود ملاحين دون مدينة وبصعب وجود مدينة دون ملاحيا . وقد وجه أوسكار لويس انتقاده له على أساس أنه اعتبر المدينة المصدر الوحيد للتقسيم وهكذا أغفل أثر العوامل الأخرى ( داخلية وخارجية ) كما أنه لم يحاول التركيز على جوهر المجتمع الحضري ثم أنه أغفل الخصائص السكانية وأبرز بعض الأحكام القبيحة فى التصنيف « سماعة سكان الفولك وسوء أحوال سكان الحضرة » (٤٤) .

وينتقده لويس كذلك لأنه اعتبر أن التحضر يعنى دائما عدم التنظيم والعلمانية والفردية فقد حاول ردفيلد أن يقارن الفولك ( المفلق ) بالمنطقة الحضرية ( التى تمثل نسقا جزئيا ) كما تناسى أن العلاقة بين الريف والحضر والفروق بينهما لا تكاد تلاحظ فى بعض المجتمعات المتقدمة كالمجتمع الأمريكى ويضيف لويس الى ذلك أن التقهر ليس « أحادى الاتجاه » أو من الفولك الى الحضرة على الدوام .

ويتفق ارنسبرج Arensberg وكيمبال Kimball (٤٥) فى أن النقد الاساسى الذى يوجد لردفيلد تجاهه للسوق المركزى واهتمامه بالفولك ( البسيط ) وهو النقد نفسه الذى يوجهه ريمان Reissman لردفيلد (٤٦)

على اعتبار أنه يتجاهل الاهداف الرئيسية لنظريته ولم يركز كثيرا على الخصائص الأساسية للمجتمع الحضري ، وقد استشهد ريزمان بدراسة ماينر Miner الذى قام بمقارنة أحد المجتمعات المحلية الكندية الفرنسية المنعزلة بآخر نقيضه ( غير منعزل — غير متجانس — مزايد الحجم ) واستنتج من هذا صعوبة اثبات فروض ردفيلد .

وينكر جوبرج Sjoberg ان المدينة بصفة عامة كانت تمثل المتغير المستقل ( الأساسى ) في تفسير الفروق الريفية — الحضرية بالنسبة لردفيلد وويرث حيث يرى الاول ان عزلة المجتمع وتجانسه تعد متغيرات مستقلة بينما تعد « العائلية » والفردية وتكامل او عدم تكامل الثقافة متغيرات تابعة في المدينة وينظر الثانى الى المدينة من ناحية ازدياد حجمها وثدة كثافتها السكانية وسيادة العائلية واللاتجانس والملاقات الثانوية والاضبط الاجتماعى الرسمى الطابع اى انها بصفة عامة :

١ — يثارتان بين المجتمع المكتنى ذاتيا والمجتمع الحضري ( الجزء المتصل بالكل ) .

٢ — يفترضان التجانس والاستقرار في المجتمع القروى ، بينما تد يبر المجتمع القروى بفترات طويلة من عدم الاستقرار .

٣ — المبالغة في درجة انقسام الحياة الحضرية .

٤ — انها فشلا — كما فشل اتباع سوروكين Sorokin وزيممان Zimmerman في تحليل المجتمعات الريفية والحضرية باعتبارها مجرد اجزاء في السياق الاكبر الذى يضمها .

ومهما قيل من اوجه النقد التى وجهت لاهمال ردفيلد وويرث فانها تدبنا اطارا جشطاطيا ( ويرث ) وبنائيا ( ردفيلد ) نهج على هديه البعض امثال سميث Smith في دراسته لمدينة طوكيو ( حيث تبع اطار ويرث ) وغيره من الباحثين الذين تبعوا اطار ردفيلد .

#### دراسة ميلتون : (٤٧)

قام لند ، ه . لند بدراسة لمدينة ميلتون في سنة ١٩٢٠ وهى تعتبر مثلا طيبا لدراسة التفسر والتصور في أحد المجتمعات المحلية الامريكية

وقد عاد لدراسة المدينة بعد عدة سنوات بهدف المقارنة بين الوضع في الحالة الأولى والأخيرة لكشف اتجاه التغيير في الظروف الاجتماعية والاتجاهات في الدراسة الثانية .

وقد افترضنا أن المدينة الصغيرة تعكس ملامح المجتمع الأمريكي الأكبر ، كما افترضنا أن درجة واتجاه التغيير يمتدان بدورها على القرب الجغرافي من المراكز القوية للانتشار الثقافي ( الحضارى ) واستمعنا لتحقيق هذه الفروض بالاتجاه الأنثروبولوجى عن طريق استخدام عدة وسائل لجميع البيانات كالملاحظة والمقابلات الشخصية والجماعية والزيارات للمدارس والكتائس وحضور المحاضرات والوثائق المكتوبة من المدينة كما استخدمنا البعد « التنظيمى » لوصف المجتمع المحلى ( كاستساليب المعيشة ومحل السكن وقضاء وقت الفراغ الممارسة المعقدة ومختلف الأنشطة الأخرى وبخاصة ما يتعلق بالأسرة ) وقد عادنا بمسح أقل من ١٠ سنوات لاستجلاء صور التغيير التى حدثت فى المدينة واستخدمنا ذات الاتجاه وطرق جمع البيانات فى دراسة المدينة وقد انصحت الدراسة عن بعض الحقائق يمكن أيجازها فيما يلى :

( أ ) أن البنىاء الاجتماعى فى الحقة الأولى كان يتسم ( بالتقليدية ) وقد تبلتت دور الفعل لاحداث التغيير فى الجانب المادى المتبل بدوره فى الأدوات التكنولوجية كالسيارة والراديو وآلة الطباعة ( اللينوتيب ) إذ أن هذه الأدوات قد أدت الى التحديث من الآثار على الأسرة والنسق السياسى بل والحياة الاجتماعية فى المجتمع المحلى بصفة عامة .  
( ب ) أن هناك بعض الظروف القومية والعمالية ( كالأزمة الاقتصادية ) قد عكست آثارها المباشرة على المجتمع المحلى موضوع الدراسة .

( ج ) أن هناك مقاومة للتغيير حيث تبدو شدة جماعات ضاغطة لها اتهامات تقليدية لا تفضل أن تعيد عنها كثيرا بينما أدت التكنولوجيا ( القديمة ) الى أحداث التغيير إذ أن التصنيع والتحضّر فى ميدلتون كانا من الركائز الهامة للتغيير الاجتماعى فى المدينة الى جانب التحديث .

( د ) بدأت ميكانيزمات التغيير فى العمل من خلال بعض النواحي المرتبطة بمكانة المرأة ودورها فى المشاركة الاقتصادية مما أدى الى تغيرات تابعة فى سلطة الرجل وفى الأنوار الأسرية والزواجية بصفة عامة .

### تعقيب :

الواقع أن دراسة لبندز ، تقوم على الاهتمام بالجوانب المادية في أحداث التفجير أكثر من الجوانب غير المادية ويظهر هذا الاهتمام في التركيز على العلاقة ( الانتشارية ) بين المدينة والمجتمع المحلي ( المدروس ) والاهتمام بأثر الأدوات التكنولوجية حيث تأتي هذه الوسائل المادية بمثابة « المتغير المستقل » المؤدية لأحداث التفجير وكما بصاجة للتركيز على الجوانب غير المادية ( .

---

« المصادر »

١ - بيلز وهويجر - مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة - ج ٢ ص ٨٦٠ ،  
ص ٨٦٦ .

Anthropologists in Cities op. cit. p. 2. — ٢

L. Reissman, op. cit. pp. 94 : 114. — ٣

وانظر أيضا :

W. Michelson, Man and his urban Environment U. S. A.

1976, pp. 3 : 16.

✽ وتهتم بدراسة العلاقة بين البيئة والانسان .

Simpson, Sociology of the Community, In Rural socio- — ٤  
logy. vol. 30. N. 2 Jun. 1955, pp. 136.

Urbanism as away of life, In R. Sennett. pp. 155 : 159. — ٥

G. Sgoberg, Theory and research in urban sociology — ٦  
(In) Hauser and Schnore (Eds) op. city. pp. 157 : 172.

٧ - مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة - ج ٢ ، المصدر السابق —  
ص ٨٦٠ : ٨٦٦ .

The urbanization process op. cit. pp. 38 : 51. — ٨

The cultural role of cities In. R. Sennett. op. Cit. — ٩

١٠- محمد الجوهري — الأنثروبولوجيا — دار المعارف — ١٩٨٠ .

✽ استحوذ التغير الاجتماعى على اهتمام العديد من علماء الاجتماع  
والأنثروبولوجيا وقد تعددت الاتجاهات والمذاهب التى حاولت ان

تفسر هذه التفضيل من خلال الحوار الذى قاده على وجه الخصوص الرواد الأوائل أمثال كونت وسبنسر وميجر وماركس وأصحاب الاتجاهات الدارونية والتطورية والوضعية والايكولوجية وأصحاب فى علم الاجتماع ومن نعى نحوهم من علماء الانثروبولوجيا التطورية والانتشارية ويمكن الرجوع الى :

نيقولاتينباشيف - نظرية علم الاجتماع - طبيعتها وتطورها - ترجمة محمد الجوهري وآخرون فى الباب السادس .

ويوتومور تمهيد فى علم الاجتماع - ترجمة محمد الجوهري وآخرون الباب الخامس .

١١- بيلز وهويجر - المصدر السابق - ص ٨٦٤ .

Gutkind, urban anthropology. pp. 160 : 173.

١٢- Ibid. pp. 208 : 221.

١٣- Ibid. pp. 182 : 205.

١٥- بيلز وهويجر الانثروبولوجيا العامة ج ٢ ص ٨٦٤ .

✱ أثارت دراسة Warner العديد من الانتقادات حيث اعتبرت تعريفاته للطبقة ( غير مرضية ) وخاصة لدى انصار الاتجاه الماركسى كما أنهم بالخاط بين الطبقة والمكانة . غير أنها شجعت غيره من العلماء على الحذر حذوه .

روبرت ردفيلد - المجتمع القروى وثقافته - ترجمة فاروق العادلى - الهامش ص ٦٦ .

١٤- L. Reissman, op. cit. p. 147.

١٦- The urban process, op. cit. pp. 147 : 149.

١٧- L. Reissman, op. cit. p. 147.

✱ اذ أن بعض علماء القسرب يهتمون بالانساق المغلقة لتأكيد المتطلبات

الوظيفية Functional prerequisites للنظام الصناعي

الحضري وبالتالي فانهم يتجاهلون عادة صراع هذه المتطلبات من جهة ودور القوى التي تعمل للتأثير فيها على الصعيد العالمي من جهة أخرى .

١٨ — Hardog, urbanization in latin America, N.y. 1975, pp. 110 : 120.

٢٠ — مقدمة في الاثروبولوجيا العامة — ج ١ — ص ٣٦٥ : ص ٤٠٧ .

٢١ — المصدر نفسه — المكان نفسه .

٢٢ — الفروق الريفية الحضرية ( في ) ميادين علم الاجتماع — المصدر السابق — ص ٦٩ ، ٧٠ ، ص ٨٧ ، ص ٩١ .

٢٣ — McGee, Op. cit. pp. 198 : 115.

٢٤ — Ph. Hauser, urbanization in Asia op. cit. pp. 258, 259.

٢٥ — Op. cit. pp. 211 : 221.

٢٦ — جيرالد بيرز — المصدر السابق — ص ٦٤ .

٢٧ — P. W. Gutkind, op. cit. p. 30.

٢٨ — جيرالد بيرز — المصدر السابق — ص ٩٩ : ١١٠ .

\* يصاحب التصنيع في دول العالم الثالث عادة مشاركة كبيرة من الدولة ولا يصاحبها عادة — كما ظهر في الغرب — ظهور طبقة وسطى متميزة .

انظر في ذلك :

M. Berger, Social groups. In B. Lutifyya & Churchill (Eds) Readings in Arab middle Eastern societies.

- Hauser, Urbanisation in Asia op. cit. pp. 4 : 9 173. —٢٩
- Sovani the nature of City (In) R. Sennet (Ed) Classic essays on the Culture of cities op. cit. ch. 2. —٣٠
- ٣١- سمير أمين — المصدر السابق — ص ١٥٥ : ص ٢٥٠ .
- The American community op. cit. pp. 22 : 84. —٣٢
- ٣٣- أحمد أبو زيد — البناء الاجتماعي — ج ١ — مصدر سابق ص ٣٠٠ .  
ص ٣٠٣ .
- The American Community, op. cit. p. 77. —٣٤
- P.H. Hauser. urbanization in Asia .. op. cit. pp. 37 : 85. —٣٥
- Moore. The impact of Industry op. cit. pp. 59 : 83.
- Urban Anthropology. The netherlands, 1974 op. cit. pp. —٣٦  
161 : 171.
- R. Warren, op. cit. p. 339. —٣٧
- M. Nottridge, The sociology of urban living, Boston. —٣٨  
1972. pp. 79, 80.
- Op. cit. pp. 22 : 50. —٣٩
- L. wirth, urbanism as a way of life (in) R. sennett (Ed) —٤٠  
classic essays on the Culture of cities.
- On a materialist critique of urban sociology, the soc. —٤١  
Review. Vol. 22 N.Z. May. 1974 p. 208.
- Op. Cit. pp. 38 : 45. —٤٢
- Gutkind, Urban Anthropology, op. cit. pp. 161 : 174. —٤٣

- The little Community, Chicago. 1955. —{٤
- R. Redfield, Avillage that chose progress, Chicago, London . . 1982, pp. 113 : 138. —{٥
- Culture and Community. op. cit. p. 47. —{٦
- The urban process. op. cit. pp. 133 : 137. —{٧
- R.S. lynde, H. lynde, middle town, foreword by Clark Wissler. N.y. 1929. {٨

وانظر أيضا :

Middle town in transition. N.y. 1937.

## « الدراسة الأنثروبولوجية للتحضر »

### ١ — الخصائص الاجتماعية لسكان الأطراف الحضرية :

#### « دراسة مقارنة »

#### مقدمة :

ينهض البحث الراهن على عدة مخاور أساسية يتناول أولها بعض المعطيات التي تناقش آثار التحضر والنمو الحضري للمدن المتروبوليتانية ، ويعرض المحور الثاني في إيجاز لأهم النتائج التي تبخضت عن دراستين حقليتين لبولاق الحكور وشبرا الخيبة تولى الباحث القيام بهما خلال عامي ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، أما المحرر الثالث فيناقش الوطنية الاجتماعية للأطراف من واقع المعطيات النظرية والميدانية التي بين أيدينا ، ويتضمن المحور الأخير مناقشة بعض النتائج المتعلقة بالأطراف المتروبوليتانية في مصر .

وغير خاف أنه بالرغم مما أولاه العديد من المهتمين بالتحضر بالمدينة ككل إلا أن الأطراف لم تحظى باهتمام هؤلاء العلماء بصورة مماثلة .

والأطراف هي الامتداد الحضري للمدينة الذي يعكس بنية هرمية لها انسابها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخاصة بها .

#### أولا : آثار التحضر والنمو الحضري للمدن المتروبوليتانية :

١ — على امتداد الحقبة المصرية منذ الحرب الأولى وحتى الآن حاول أنصار المدرسة « الأيكولوجية » من جهة ، وأنصار اتجاه دراسة المجتمع المحلى من جهة أخرى ، وأنصار الاتجاه التفاعلى من جهة ثالثة

سبرغور الحياة الحضرية بقصد دراسة ميكانزمات التحضر وإبراز آثاره ويبدو أنه لا مناص من الاعتراف بالحاجة الماسة لإجراء المزيد من الدراسات الحقلية لاسيما في مدن العالم الثالث مع المقارنة بين نتائج هذه الدراسات وبين الدراسات التي أجريت من المدن الغربية قبل أن تصدر أى أحكام مسبقة .

٢ — منذ أكثر من نصف قرن كذلك بدأ الاهتمام بإجراء دراسات حقلية من المدن المتروبوليتانية فقد قدمت كارولين وير *Carolina Ware* دراستها الرائدة عن إحدى أحياء مدينة نيويورك التي كان للاعتداد المتروبوليتاني التدريجي — أثره في نشأته وتكوينه فقد كان هذا المجتمع المحلي في الأصل عبارة عن قرية صغيرة تقع خارج مدينة نيويورك اسمها *Green Wich Village* وهو ذات عنوان المؤلف الذي حررته وير عنوانا لدراستها الحقلية ، وأصبحت القرية بعد ذلك جزءا من وسط المدينة بالرغم من النمط المتميز لشوارعها وخصائصها السكانية المميزة .

وقد ظهرت الصعوبات في جمع المادة سواء المتعلقة بالبيانات السكانية والاحصاءات الحيوية الخاصة بالمجتمع المحلي أو في اختيار عينة من بين أفرادها لدراستها حيث كان السكان يضيعون ذرما بالدراسة ويأنفون من اعتبارهم عينة تعامل « ككثران التجارب » وكان البعض الآخر — من المتعلمين تعليما عاليا — يترفعون عن أن يكونوا موضوعا للبحث وحتى هؤلاء الذين لم يترفعوا لم يكن لديهم الوقت الكافي الذي يسمح باستجوابهم ، وبعد أن فشلت في جمع الاستمارات وصحائف الاستبيان الذي تم توزيعه على السكان لاستيفائه استعانت وير بمجموعة من الدارسين من داخل المجتمع المحلي وقامت بتدريبهم للماء استمارات الاستبيان من خلال المقابلة الشخصية غير أن وير في نهاية الأمر لم تتلح في الاستفادة من نتائج دراستها أو عرضها بصورة مرضية .

٣ — تعد الدراسة التي قدمها وليسام هويت *W.F. Whyte* لأحد الأحياء المتخلفة في مدينة كبيرة هي *Cornerville* من بين الدراسات البارزة في المجال الحضري ، وكانت بداية مشكلة البحث حين تسأل هويت كيف يمكن لباحث من خارج المجتمع أن يبدأ في دراسة أحد الأحياء الإيطالية المتخلفة بينما لم يبد استأذنه المشرف على الدراسة في الوقت نفسه أدنى اهتمام بالظاهرة موضوع الدراسة أو يثير لديه أى حاس للعمل

بل ان هويت الذى يمتنى بحكم ظروف نشأته للطبقة الوسطى — العليا لم يك على درجة من الوعى بالحياة فى الاحياء المتخلفة ، وتوقع مون هويت أن تستلزم منه الدراسة الحقلية الاستعانة بفريق عمل لجمع المادة الميدانية كما بدأ الاتصال ببعض الأفراد كان أبرزهم دوك Doc الاخصائى الاجتماعى وعضو أحد « الشلل » فى المجتمع المحلى ، وقد عرض عليه هويت رغبته فى دراسة المدينة ومشكلاتها بينما عرض دوك عليه ان يرافقه الى الشل المنحرفة التى يعرفها والى نواصى وزوايا الشوارع للتعرف على بعض هذه الشلل ، ومن ثم بدأ هويت فى استئجار حجرة من احدى الاسر الايطالية التى تعيش فى الولايات المنهدة ليعيش معهم كملاحظ مشارك كما بدأ فى تصميم « سوسيوجرام » sociogram a للتعرف على طبيعة العلاقات بين أعضاء المجتمع ، وليس بخلاف أن دراسة هويت عن مجتمع الناصية قد اوضحت واحدة من الدراسات الحقلية الانتوجرافية الرائدة فى المجال الحضري وقد املتت هذه الدراسة فى ابراز ميكانزمات الشلة وامراض **الاختلال فى التنظيم الاجتماعى** للمنطقة المتخلفة كما ان ملاحظات هويت وبمسيرته النافذة قد نجحت فى سبرغور مجتمع الناصية من جهة وعرض اوجه الحياة الاجتماعية فى المناطق المتخلفة من جهة أخرى .

٤ — حرص علماء الانثروبولوجيا الحضرية على اعطاء دفعة لدراسات الحضرية حين تركز اهتمام روادها **بالفهم التثبوتى للمناطق الحضرية** واعتبارها كذلك اجزاء من مجتمعات اكبر منها مع استخدام الملاحظة بالمعيشة كأداة اساسية للدراسة ، كما حددت هذه الاداة مجال عملهم فى قطاعات بعينها بن المدينة وتركزت انظارهم كذلك على دراسة انساقا معينة او ظواهر بعينها وادى هذا الى ظهور بعض الدراسات المقارنة مثل دراسة اليوت ليبو Elliot libebow عن شلة الناصية فى واشنطن بعنوان « Tally's Corners » وغيرها .

٥ — تعد دراسة اوسكار لويس Urbanization without Breakdown واحدة من الدراسات الهامة عن تأثير الهجرة الريفيه الحضرية على الاسرة والثقافة التقليدية نفى الوقت الذى ظل علماء الاجتماع والانثروبولوجيا احضرية يؤكدون — دون التزول الى الميدان — التأثير السلبي للحياة الحضرية على الشخصية والاسرة والعقيدة حيث بدأ وكان التحضر يؤدى بالضرورة الى الاسراع بالانحراف وبالصور الاخرى

لسوء التنظيم الإجتماعى ، جاءت دراسة أوسكار لويس Lewis لتيوزتلان - المكسيك - Tepoztelan-mexico city لتوضح أن التماسك الأسرى كان قويا في المدينة عنها في القرية وأن الشخصية الحضرية لا تعيش في عزلة كما يعتقد البعض وليس التحضر مرادفا بحال من الأحوال للعلمانية وخسوف النزعة الدينية بل أن التحضر يختلف باختلاف المناخ الاقتصادى والثقافى الذى يوجد فيه .

٦ - يربط رتشارد باشام R. Basham بين الفقر ( كمشكلة اجتماعية ) وبين الازدحام السكانى ( بالنسبة للعديد من الشعوب ) حيث تتجسد هذه الازدواجية في الأحياء المختلفة التى يقصدها الفقراء طمعا في الحصول على السكن ، وفى الأحياء المختلفة ونتيجة للازدحام والضوضاء تقل ساعات النوم ، وفى دراسة لمستوطنى أحسد الأحياء المختلفة من الزوج في نهاية الحرب الثانية اتضح أن السكان ينامون أقل من خمس ساعات يوميا أبان الليل ، وفى دراسات لأحياء مختلفة في شيكاغو وواشنطن ونيويورك ومدن أمريكية كبرى شمال الولايات المتحدة اتضح أن الأطفال يعودون من المدرسة ليلعبوا في الشوارع ثم يعودون للنزل لتناول الطعام فقط ومنها للشوارع مرة أخرى حيث يعودون منها في النهاية إلى المنزل للنوم أو مشاهدة التلفزيون .

أما البالغون فمقهم يمسكون من التوتر والقلق الذى يبدى عادة في الإنسان على الضمور التى تنصع عنها الاضطرابات الأسرية كذلك ، وفى هذه الأحياء المختلفة حيث الازدحام الرهيب تتمعد المشكلات ، ويلقى برز تبعات المشكلات الحضرية على الطوفان المستر للبشر بغض النظر من قدرة المدينة على استيعابه ، وقد أوضحت الدراسات التى تمت في عدة أحياء مختلفة في إحدى المدن الأنثوسية أنه نظرالمضيق المسكن وكبحرجم الأسرة يضطجع عادة كل ثلاثة أو أربعة أشخاص في فراش واحد .

وقد أفصحت دراسة الأحياء المختلفة في كوالا ليمبور Kuala Lumpur عن نتائج متشابهة تجسد أثر الازدحام الرهيب داخل المسكن الذى يكاد يخلو من التوائف تملها .

أما الأحياء المختلفة في مدن الصين فنمعد بدورها مراكز للأمراض

**الاجتماعية** المصاحبة للكثافة السكانية الكبيرة كالانتحار ، ومن المدهش  
حتا أن معدلات الجريمة والمرض العقلى تصد اقل بالمقارنة بغيرها من  
المدن .الفريقية ، ففى الصين يزداد الاحتمال بالانساق القبية والأخلاقية  
والدينية الطابع التى تدمم التنظيم الاجتماعى وتساقده .

٧ — يلخص باشام Basham حقيقة الوضع القائم فى عالم اليوم  
بان **نمو السكان يتم الآن فى مدن** ، وأن ١/٣ العدد الإجمالى لسكان هذه المدن  
يخربكون ليس تجاه المساكن المجهزة والاحياء التى كانوا يحلون بالانتقال  
اليها بل الى مناطق متخلقة مكتظة بالسكان حيث يستأجرون مساكن ضيقة  
لا تكاد تستوعب افراد الاسرة الواحدة بينما يتجه آخرون الى المناطق  
« الحكر » حيث يضعون ايديهم بصورة غير مشروعة على الارض الغشاء  
ويشيدون بيوت دون أن يسجدوا الضرائب غير أن هذه المساكن تكون  
معرضة للزلازة فى اى وقت وهؤلاء وأولئك قد جاءوا للمدينة فى الغالب  
لتنقص برص الحياة فى أريف يحدهم الأمل فى أن تقدم المدينة لهم حياة  
أيسر وفرصا حياتية أفضل والملفت للنظر فى الدراسات الحقلية التى  
أجريت فى ليبيا أن الاتحراف فى الاحياء المتخلقة اعلى وأكثر تنوعا منها  
فى مناطق الحكر ، ومن المفيد أن نذكر أن مشاكل التظلم ونقص المساكن  
تتصلان معاً فى حلقة دائرية فالتظلم يبدو أنه يعجل بنط التحضر الذى  
يؤدى بدوره الى زيادة التخلخ لأمر الذى دفع هاجملر Hagmuller  
للقول بان **التحضر فى العالم الثالث هو سببا ونتيجة للتخلخ المستمر والفقير  
المتزايد** .

٨ — يشير مكجى McGee الى الصورة المعاصرة للامتداد الحضرى  
والازدياد السكانى فى العالم الثالث حيث يبدو النمو الحضرى على اتصال  
غير وثيق بسوق العمل فى المدينة ، وهنا يكون التحضر التابع نتيجة للخبرة  
الاستعمارية التى اجتازها العالم الثالث ، كما أن هذا **التحضر التابع يصيغ**  
النظم والسكان والعلاقات الخارجية للبلدان النابية بصيغة **الكتبعية** ،  
وتبرز هذه الدراسات أنه بقدر هامشية القاسى فى الاحياء المتخلقة فى هذه  
الاحياء البعيدة وضالة أجورهم — التى تكفى بالكاد لشراء الطعام —  
بقدر ما يلجأون الى بيع قوة عملهم بأقل أجر ممكن فهم لا يملكون  
سواها .

والكثير من بلدان العالم الثالث كأمريكا اللاتينية تعاني من **تضخم**  
**احياء واضمى اليه** الذى تضم أعدادا كبيرة من المهاجرين الرييين

**وحفالة البروليتاريا** حيث يجسد الحسينى (٨) كيفية ظهور هذه الاحياء بالقول انه عندما يبدأ بعض الذين يعيشون في أحد الاحياء المتخلفة في المدينة الرئيسية في تنظيم صفوفهم ويتحركون كجماعة الى قطعة من الارض الفضاء التى قد تكون مملوكة للدولة ففى لمح البصر يظهر واضوا اليد على تلك الارض ويبنون فوقها المساكن من مواد مؤقتة ، وفى الوقت الذى تنتشر فيه هذه الاحياء للخدمات يئذل السكان جهودا شاقة للحصول على اعتراف الدولة بالامر الواقع وهو ما يحدث مادة بمرور الوقت .

٩ — ينجذب المتخصصين فى الاثروبولوجيا الحضرية عادة لدراسة سكان الاحياء المتخلفة ومدن الصفيح وأحياء « الجيتو » حيث تتسم هذه الاحياء بعزلتها الاجتماعية النسبية التى تملأ بدورها خصائص سكانية — سلالية أو اقتصادية — محددة وتنبغ تلك الخصائص لهذه المناطق هوية واضحة المعالم .

وقد ميز البعض أمثال لينين M. Fried وفريد J. Levin بين أحياء « الجيتو » المغلقة حيث تعيش بعض الاقليات كاليهود والزوج وبين الاحياء المتخلفة التى تضم عادة سكانا قدموا للمدن ( الصناعية ) من مناطق ريفية ويتسكون بثقافتهم الفرعية .

وهذه الاحياء المتخلفة تمثل مجتمعات تحولية يعبر من خلالها السكان الريفيون من مرحلة ما قبل الصناعة الى الحياة الحضرية — الصناعية المتقدمة ، ويرى لينين وفريد أن مشكلات التفكير الاسرى والبطالة والمشكلات الاجتماعية والنفسية ومشكلات الاقليات والازدحام السكانى وغيرها تعد من الخصائص المميزة لهذه الاحياء .

١٠ — تكشف الدراسات التى أجريت من الاطراف المزدهرة والاحياء المتخلفة فى آلدن الكبرى عن غيالب ألتخطيط الموجه لتحسين أحوال سكان هذه المناطق ، فقد درس هاتدين Handin الاحياء المتخلفة السكنية السيئة فى بوسطن وأبرز أنه فى الوقت الذى تكاد تغيب فيه السياسة الاجتماعية تبالا تندهور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية فى هذه المناطق بصورة ملفتة للنظر .

ويعتقد ليفين Levin وفريد Fried أن لهذه الأحياء المتخلطة المزدحمة بالسكان وظائف اجتماعية من بينها أنها تعد سوقا مطيا للعبال ذو الكتلة المنخفضة وغير المؤهلين للمدينة كما أن هذه الأحياء تعد بوابة الدخول الى المدن ذى التنظيم الحضرى - الصناعى المعقد حيث يتلقى الفقر - فى هذه الأحياء - إلا أنها تنسم بالاستقرار النسبى حيث تمثل محاولات للتوافق الأسرى كنتيجة لضيق ذات اليد وتتاح الفرصة للحراك الاجتماعى التدريجى للقوة العاملة من الريف الى المدينة الصناعية غير أن العديد من سكان هذه الأحياء المتخلطة سيمعجزون عن دفع أيجار السكن ويدأومون على الانتقال من حى متخلف لأخر نتيجة لضيق ذات اليد .

وتنبأ يرى جاتز Gans فى الأحياء المتخلطة « قرى حضرية » يرى البعض الآخر أنها تعد بمثابة « جزراً حضرية » تتبع نمواً للعلاقات الاجتماعية الوثيقة بين أفراد الطبقة العاملة فى المجتمع المحلى المتخلف حيث يتاح لهم - فيها - أن يالفوا الحياة فى المحيط الحضرى الصناعى بينما يرى الفريق الثالث فى هذه الأحياء المتخلطة « خلجاناً للأبراش الاجتماعية » « تضم المهاجرين للمدينة من مستويات طبقية ديناً ولا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن الأوضاع الاقتصادية والبناء الطبقي يلعب الدور الأساسى فى تشكيل بنية هذه المناطق . وتعتمد حالة مصر حالة نريدة حقا ، فمسكان ( إقليم القاهرة الكبرى ) الى جانب مدينة الإسكندرية يقدران بأكثر من ربع سكان الجمهورية فى الوقت الحاضر حيث يطلق بعض الثقات على الأقاليم الحضرية التى تمثل التهام عدة مدن ومدن كبرى مصاصات كاتليم القاهرة الكبرى « مجتمعات حضرية » ويرجع هذا التضخم الحضرى الى ارتفاع معدلات الهجرة الريفية وتحضر جاثيت أبو لغسد من دراسة التروبوليتانيات القرعية ( التى تعطى مثالا لها بابلية والجزيرة ) كمحاولات مستقلة إذ أن هذه المحلات قد ظهرت نتيجة للابتداد التروبوليتانى فى القاهرة ولا يمكن بحال من الأحوال فهمها إلا فى ضوء هذا السياق .

ويتفق كوستللو Gostello مع أبو لغسد وبوترسن Potersen

(\*) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - سكان الجمهورية فى ٢٢ يناير ١٩٨٥ .

في أن المهاجرين الريفيين للقاهرة يستقرون عادة في أطراف المدينة في الأماكن التي تتمتع بتجانس ديني وعرقى ومعدلات خصوبة عالية وهي مناطق تشبه مناطق الطرد الريفية التي وفدوا منها حيث يساعد المهاجرون السابقون المهاجرون الجدد على التأقلم مع الحياة الحضرية .

ويلفت النظر إلى الفروق الحضرية بين الدول في الشرق الأوسط بقوله أن بعض الدول مثل ليبيا تخارب بالفعل تجمعات المهاجرين على أطراف المدن نتيجة لما يثار عن ناعلية الانتماء الاجتماعي ( لهم ) في المناطق الحضرية .

بينما يرى أنه منذ بداية الستينيات شهدت مصر تغيرات هامة لمست المجتمع الريفي والحضري على حد سواء في الوقت الذي اتجهت فيه كل التحركات الاجتماعية من مركز المدينة للأطراف حيث يصبح السكان في الأطراف الحضرية أكثر تجانساً بعكس ما هو الحال في لبنان ( نتيجة لتعدد الإيديولوجيات والصراعات ) والطريف هنا أن التاريخ الاجتماعي للقاهرة يشهد أن الأطراف كانت تضم المراكز الاقتصادية النشطة كالدباغ وغابريقات الخل ومعاصر الزيوت والمغازل والمناسج تحيط بهما مناطق سكنية تعيش فيها الشرائح الفقيرة المجهدة .

### ثانياً : الدراسة الحقلية :

ينهض هذا الجزء من المقال الراهن على بعض نتائج خرج بها الباحث من دراستين حقليتين طبقت فيهما الأدوات ذاتها وهي مسحية المقابلة ( الاستبيان ) فضلاً عن المقابلات الحرة والملاحظة على مجتمعين محليين من مجتمعات الأطراف المزدحمة التي يضمها إقليم « القاهرة الكبرى » وأول هذه المجتمعات المحلية منطقة شبرا الخيمة ويقع شمال العاصمة كابتداد لحى شبرا الأهل بالسكان وقد اختيرت ( عزبة مثنان ) في شبرا الخيمة مسرحاً للدراسة الحقلية وهذه العزبة هي منطقة سكنية تتصل بمدينة القاهرة بواسطة كوبرى علوى ( أحمد عرابى ) بينما تمتد العزبة ( عرضاً ) حتى تتصل بغيرها من قرى محافظة القليوبية .

هذا بينما يقع ثلثي هذه المجتمعات المحلية المدروسة وهو حى

« بولاق الذكور » غرب العاصمة بمنطقة وسيطة تربط أبابة بمدينة الجيزة وبغيرها من القرى القريبة التابعة لمحافظة الجيزة .

ولا يخفى على الدارس للمنطقتين أن المجتمعين المحليين استقروا بمسكنهما ومؤسساتهما ورافقتهما على الرقعة الخضراء التي كانت مخصصة تبلا للزراعة قبل أن تزحف العاصمة على هذه الأجزاء وتضمها نتيجة للزيادة السكانية التي تفوق المعدل المتوقع ونتيجة للهجرة الريفية إلى الحضر وبخاصة من المحافظات القريبة .

وقد تمت دراسة مزية عثمان بشبرا الخيمة في الفترة من يناير حتى مارس ١٩٨٤ بينما تمت الدراسة الحقلية الثانية في الفترة من يناير حتى ١٩٨٥ (١) وكان مجموع أسر عزبة عثمان ٣٥٠٠ أسرة أختيرت عينة منها على أبعاد منتظمة بنسبة قدرها ٢٠٪ من المجموع الكلي حيث بلغ عدد الأسر ٧٠٠ أسرة تم دراسة ٦٧٦ أسرة منها بنسبة تقدر بـ ٩٦٫٦٪ من حجم العينة المراد دراستها بينما بلغ عدد الأسر في بولاق الذكور حسداً من الضخامة اضطر الباحث معه إلى تحديد قطاعاً كبيراً بتوسط المجتمع المحلي تماماً بين شارع على اسماعيل وشارع ترعة زينين حيث بلغ عدد الأسر في هذه المنطقة ٦٣٢٥ أسرة تم تحديد الأسر المدروسة منها على أساس ٢٠٪ من مجموع الأسر أو ١٢٦٥ أسرة تم دراسة ١٢٣٩ أسرة منها بنسبة تصل إلى ٩٧٫٩٪ من العينة المطلوب دراستها ، وقد استخدمت صحيفة مقابلة ( استبيان ) موحدة مكونة من ٦٠ سؤالاً لتسهيل المقارنة بين المجتمعات المحلية بموضوع الدراسة بينما كانت المقابلة الشخصية تتم عادة في مثل المبحوث حيث كانت الوحدة السكنية تختار على أبعاد متساوية ( ١ ، ٥ ، ١٠ ، ... الخ ) في منطقة شبرا الخيمة بينما درست كل أسر المنطقة المختارة والتي تبطل قلب حى بولاق .

وقد اكتفينا في السطور التالية بطرح النتائج العامة لتأكيد بعض المعطيات النظرية أو المقارنة بين المجتمعين المحليين ، بينما أرجأنا الدراسة التفصيلية إلى مجلد لاحق بصون الله . ومن شأن العرض الذى بين أيدينا في الورقة الراهنة إثراء الحوار حول الأطراف الحضرية ووظائفها الاجتماعية في أحد المجتمعات الحضرية في العالم الثالث هو إقليم القاهرة الكبرى .

### ( ا ) الخصائص الديموجرافية :

ان أول ما يسترعى نظرنا هنا ان معظم ارباب الاسر في المجتمع المحلى الاول ( عزبة عثمان ) والثانى ( بولاق الدكرور ) من **الشباب الذين نقل أعمارهم عن ٥٠ عاما** ( ٧٠.٩ في عزبة عثمان و ٦٤٪ في بولاق ) ويعنى هذا أنهم في عنفوان قوتهم الانتاجية وأنهم في حالة الهجرة للعاصمة ينزحون اليها عادة في سن صغير نسبيا حيث يستقرون في الاطراف ، وقد اوضحت الدراسة الحقلية للمجتمعين المحليين ان معظم افراد العينتين لا يتعدى **تحصيلهم الدراسي المرحلة الابتدائية** ، وبعبارة أخرى فان نسبة أمية ارباب الاسر المدروسة بلغت ٢٧.٧٪ في عزبة عثمان بالمقارنة بـ ٤٠.٩٪ في بولاق ويعنى هذا ان ثمة تفوقا ملحوظا في الفرص التعليمية — التى تريد عن مرحلة التعليم الالزامى — في بولاق أكثر منها بالنسبة لعزبة عثمان بينما يزيد معدل الابية في بولاق منه في شبرا الخيبة . كما ان معظم افراد العينة **يعتفون بالاسلام** ( ٩٠.٥٪ من عينة عزبة عثمان و ٩٤.٨٪ من عينة بولاق ) وهى نتيجة تكاد تتشبه مع التقاسب العددي بين المسلمين والمسيحيين في الاحصاءات المختلفة على مستوى الجمهورية .

وقد اوضحت دراسة المجتمعين المحليين ان أكثر من نصف مجموع العينتين المختارتين قد **هاجروا من محافظات أخرى** وان الغالبية الساحقة تنتمى الى اصول ريفية .

ومع أنه كان من المفترض أن يتجه المهاجرون من « الوجه القبلى » الى بولاق ويتجه المهاجرين من الوجه البحرى الى شبرا الخيبة فان النتائج التى بين أيدينا قد اوضحت ان معدلات المهاجرين من الوجه البحرى والقبلى تكاد تتساوى فضلا عن أن أزمة الاسكان في القاهرة قد دفعت بالكثيرين ممن ضاقت بهم سبل العثور على مسكن الى اللجوء للاطراف متعددين — رغبا منهم — من الاحياء التى شهدت طفولتهم وشبابهم المبكر ، ويعنى هذا — من بين أشياء أخرى — ان الوضع الراهن الذى أسهم في تكوين هذه الاطراف — التى تكاد تضيق ذرعا بسكاتها — لا يرجع فقط للهجرة المستمرة اليها من المحافظات الأخرى بقدر ما يرجع كذلك الى الامتداد الحضرى للمدينة المتروبوليتانية نفسها لضم هذه المناطق حيث تتحول بدورها الى محلات مزدحمة كما أن **هجرة « القاهريين »** أنفسهم للتسكن في الاطراف نتيجة لتخمة الاحياء الاصليه وازدحامها

بالسكان يؤدي الى سرعة تحضر هذه الاطراف ويزيد من سبل الاتصال بينها وبين الاحياء الأخرى في المدينة المتروبوليتانية . وقد اتضح أن أبرز مبررات الهجرة للعاصمة تنبثق في البحث عن عمل ووجود فرص طيبة وهذا يعنى من ناحية أخرى أن الأملكن الطاردة للقوى العاملة كانت تفتقر بدورها لهذه الميزات كما أن من الدوافع الأساسية للاستقرار في هذه الاطراف تشجيع **الاهل والبلديات** ممن يسكنون بها منذ وقت طويل فضلا عن سهولة العثور على مسكن والقرب من محل العمل وقد بلغت نسبة هذه المنفترات ( مجتمعة ) ٨٤٪ في قرية عثمان و ٨١٪ في بولاق الذكور .

#### (ب) المسكن في الاطراف :

إذا كانت الحضرية تعنى عند ويرث Wirth — من بين الأشياء أخرى — البعد الجغرافي بين محل السكن ومحل العمل فإن نتائج الدراسة قد أوضحت أنه من بين كل خمسة أشخاص يعيشون في قرية عثمان يعمل نحو ثلاثة منهم **خارج المنطقة** بينما يعمل منهم نحو أربعة أشخاص من سكان حي بولاق كذلك خارج المجتمع المحلي ، ولا يشكل ذلك صعوبة تذكر إذ أن وفرة المواصلات في المدينة ورخصها تظل عادة من مشاكل البعد الجغرافي بين محل السكن ومكان العمل ، والجدير بالذكر أن الشوارع والحواري الجانبية في كلا المجتمعين المحليين ضيقة — نتيجة لغياب التخطيط في الكثير من الأحيان — بينما تبدو المساكن القديمة غير متألفة أو منسجمة مع باقى المنازل التي نصطف معها على الجانب نفسه ويبدو أن معظم المساكن القديمة في الاطراف قد وجدت قبل التفكير في دخول هذه المناطق ليحتويها « كروان المدينة » فتتمحور بدورها في النشاط الزراعى وتصبح مناطق حضرية **مكتسمة بالسكان** تجسد التحضر السريع الذي يفتقر للمؤسسات الانتاجية والخدية ويشوه المدن المتروبوليتانية بكثير مما يعمل لصالحها . غير أنه من المفيد أن نذكر أن الغالبية الساحقة من العينتين المدروستين في المجتمعين المحليين تقطن في **مسكن مشيدة بالطوب الاحمر** ومسقوفة « بالمسح » حيث يختلف هنا وضع مناطق الاطراف عن مناطق « الحكر » التي تتكون عادة من بيوت تبنى على أرض الدولة أو مؤسساتها — من الطين أو الخشب أو الصمغ في الكثير من الأحيان — حيث تتناثر هذه المناطق « الحكر » في مداخل وخارج نفوذ المدينة .

وقد انصحت الدراسة الحقلية عن أنه من بين كل أربعة اشخاص تضيق ( صدور ) ثلاثة منهم بمشاكل الحى ويتطلعون الى الحياة في مناطق أخرى ( معطيا من الاحياء غير الطرفية \* ) وهى من وجهة نظرهم « احسن كثير من هنا » فقد أُنَادَ ٧٣٪ في عزبة عثمان ، و ٧٢.٠٪ في بولاق بأنهم يفضلون الاقامة في احياء أخرى ومصدر الشكوى من الحى الذى يستقرون فيه حاليا يتبدى في **نقص الخدمات والمرافق** ( التعليلية — الصحية — الترفيهية — المواصلات ... الخ ) ، وتصل نسبة من صرحوا بذلك الى ٨٦٪ في عزبة عثمان فضلا عن سوء الخدمة في المرافق وسوء حالة المساكن وانتشار **الجراثيم** ( التى تشكل ٨٤.٧٪ في عينة بولاق ) ، والملفت للنظر ان نسبة لا بأس بها من مساكن الاطراف محرومة من أبسط الضرورات اذ ان ٤٨٪ من مساكن عينة العزبة و ٤٨٪ من مساكن بولاق محرومة تماما من توفر دورات المياه ولك ان تتصور كيف يقضى الرجال والنساء والاطفال حاجتهم الطبيعية كما ان ٦٤٪ من مساكن العزبة و ٦٢٪ من سكان عينة بولاق لا توجد بها مجارى مما يؤدي الى طلع آلياء بصورة سيئة داخل المنازل ويؤدي ذلك لانتشار الامراض، في الوقت الذى تفتقر فيه ٢١٪ من مساكن العزبة ، و ١٠.٢٪ من مساكن بولاق للمياه النظية .

ومن الملفت للنظر كذلك ان نسبة لا يستهان بها من عينة البحث تصل الى ١٣.٢٪ في عزبة عثمان و ٩.٣٪ في بولاق تقطن في شقق مشتركة مع آخرين كما ان ٢٤.٢٧٪ من مساكن العزبة مقابل ٣٥.٧٪ في بولاق مملوكة للسكان وهى نسبة لا بأس بها تدل على أن هؤلاء الملاك عادة من بين أبناء المنطقة « الاصليين » ولا تزيد هذه المساكن من أن تكون مساكن صغيرة الحجم وقديمة . ومع هذا فمن اليسير ان نتتبع السمات الحضرية في الاطراف اذ ان معظم المساكن تتوفر بها الاجهزة الكهربائية الحديثة كالثلاجات والفسالآت واجهزة التسجيل ، فلدى ٤٤.٤٪ من مساكن شبرا ، ٨٠.٩٪ من مساكن بولاق توجد الفسالآت كما أنه لدى ٨١.٧٪ من مساكن العزبة في مقابل ٩٠٪ من مساكن عينة بولاق تتوافر اجهزة البوتاجاز ، وفي ٦١.٢٪ من مساكن العزبة في مقابل ٧١٪ من مساكن بولاق توجد اجهزة تسجيل ، ولدى ٩١.٤٪ من عينة عزبة عثمان في مقابل ٨٥.٣٪ من مساكن بولاق تتوفر اجهزة التلفزيون .

وتقد فكر ٨٨٦٪ من أرباب الاسر في العزبة ، و ٦٨٪ من أرباب الاسر في بولاق بأن لديهم اقارب يقطنون في الحي نفسه او في الاحياء المجاورة وهو ما يعطى انطباعا بان المهاجرين للمدينة يكونون حلقة جاذبة لاقربائهم حيث يسكن الآخرون عادة في المنطقة نفسها واحيانا الحارة نفسها والمنزل نفسه ويشكلون معا « نوايات فرعية » تقترب في طبيعتها وهويتها الثقافية من « النوايات الاساسية » الطاردة لهم ، الامر الذي يعد معطلا لميلية الذوبان في المدينة وهم يتزاوون مع الاهل والاقارب والبلديات بصفة مستمرة ولا تتعدى فترة الانقطاع عن التزاو عادة شعرا باكملة ( ٤٩٢٪ لسكان العزبة ، و ٦٦٨٪ لسكان بولاق ) ( ١٧ ) .

## ٢ - الاسرة في الاطراف :

اتضح ان معظم أرباب الاسرة في المجتمعين المحليين من المتزوجين ( ٩٦٩٪ في عزبة عثمان و ٨٩٥٪ في بولاق ) والاسرة سواء في المجتمع المحلى الاول او الثانى اسرة زواجية كما ان معظم المتزوجين في المجتمع الاول من المتزوجين بزوجة واحدة ، وتبلغ النسبة ٩٥٨٪ من مجموع المتزوجين في المجتمع المحلى الثانى ٨٥٢٪ ، وليس هناك شك ان النمط الزواجى ( النووى ) الذى يعيش فيه الزوج مع زوجة واحدة واولادها يعد أكثر مساهمة للظروف الاقتصادية في المجتمع الصناعى والحضرى ( ١٨ ) بينما يزداد الاحساس بوطأة الزواج الثانى وانجاب اطفال آخرين غير انه من المفيد ان نذكر في هذا المجال أن الاسرة في المجتمعين المحليين هي اسرة يقل عدد اولادها عادة عن خمسة اطفال ، ومع هذا فان ٣٧٦٪ من أسر عزبة عثمان ، ٣٢٧٪ من أسر بولاق يبلغ اطفالها ٥ اطفال وأكثر فإذا تصورنا انه من بين كل ثلاث أسر تنجب اسرة منها على الأقل خمسة اطفال فالتكرار في مجتمعات الاطراف لموضحة لنا حقيقة الوضع القائم ، والجدير بالذكر كذلك أن الكثير من مساكن الاطراف التى يقطن فيها افراد المجتمع المحلى الاول تتكون عادة من حجرة او حجرتين حيث تصل هذه النسبة الى ٥٩٦٪ بينما تصل الى ٥٤٧٪ في بولاق . ومع هذا فان كثرة الاولاد مع صغر سن الزوجين واحتمال الحمل ( المتكرر ) للزوجة قد دفع ٧٢٢٪ من مجموع الاسر في العزبة ٧٠٪ من أسر بولاق الى استخدام الوسائل المختلفة لتنظيم الاسرة ، ( وهى نسبة كبيرة الحجم نسبيا تزيد من النسبة التى تنظم الاسرة على مستوى الجمهورية وان كنا نبسدى تحفظنا على زيادة معدلها هنا فالواقع أن الاسر تبالغ عادة

في الادعاء باستخدام هذه الموانع ) ولا يمكن تفسير ذلك إلا في ضوء الأسباب التي أبدتها الأسرة نفسها ، فقد برزت الأسباب الاقتصادية والصحية كدوافع للتنظيم ويعنى أولهما أن الأسرة تقدر التكلفة الاقتصادية للضيف القادم كما تعلن صراحة عجزها عن الوفاء بهذه الالتزامات ، أما المتغير الثانى فيعنى أن حمل الزوجة يشكل تهديدا لصحتها وقد بلغت نسبة هذين المتغيرين معا في عزبة عثمان ٥٥٤٪ بالمقارنة بـ ٦٦٪ في حى بولاق ، والملفت للنظر أن نسبة لا بأس بها تصل إلى ثلث مجموع الزوجات في المجتمع المحلى الأول هن من الأقارب .

ويبدل معظم أرباب الأسر في الاطراف إلى قضاء وقت الفراغ مع أسرهم ومع أن هذا يعنى أن الأسرة متماسكة نتيجة للانسجام والمودة (١٥) مما يعنى مزيدا من الاهتمام بالتمشئة الاجتماعية للأبناء فهو يعنى كذلك أن الأسرة تتقنع بالجلوس في المنزل لمشاهدة التلفزيون أو تخرج للنزهة أو لزيارة الأقارب تومرا للنفقات التي يمكن أن يتكبدها رب الأسرة في حالة الجلوس على المقهى أو الخروج بصحبة الأصدقاء والزملاء ، وتصل نسبة هؤلاء في عزبة عثمان ٧٧٦٪ وفي بولاق ٨١٤٪ وقد اتبادر ١٤٪ من أرباب الأسر في بولاق بأن هناك مشاكل أسرية بينهم وبين الزوجة أو الأبناء أو الوالدين ، وأنفع أنهم يلجأون عادة للأصدقاء والأقارب للمساعدة في التغلب على هذه المشكلات ، وفي عزبة عثمان يستشير الشخص عدة الأصدقاء والمعارف والجيران لمواجهة المشكلات الأسرية أو المشكلات الشخصية التي تواجهه .

#### ٤ - الحالة المهنية والخل :

إذا تتبعنا الحالة المهنية التي يعمل المبحوثون بها في المجتمعين المحليين موضوع الدراسة لاتضح لنا أن غالبية أفراد القوة العاملة في الاطراف يعملون بالمهن اليدوية والفنية ( البسيطة ) والمهن الكتابية والتجارة ونسبتها معا ٨٠٩٪ في عزبة عثمان ( شبرا الخية ) بالمقارنة بـ ٧٧٪ في بولاق ، وتفصيل هذا التصنيف المهني كالتالى :

نوع المهنة	عزبة عثمان	بولاق
المهن اليدوية البسيطة	٢٣١	٢٧٨
المهن الفنية	٢٧٤	٢٢٤
التجارة	١٢٢	١٣٣

وغنى عن القول أن معظم أفراد العينتين ممن يعملون بالمؤسسات الصناعية والخدمية ( بالقطاع العام والخاص ) حيث يعملون بها كمثالين أو عمالاً غير مهرة كما أنه من الشائع - لظروف الهجرة العمالية للقوة العاملة المدربة إلى الدول النفطية أن تعطى هذه المؤسسات للمسال الذين يشغلون مكاتب ذئبا فرصة الصراك المهنى - اذا احست بجدية العامل وسرعة استيعابه - الى المهن الفنية ( البسيطة ) ، وقد لاحظ الباحث أن مصانع النسيج والزجاج يشعرا الخيفة ومصانع تعبئة المياه الغازية بالدقى والدخان بالجيزة تستوعب الكثير من العمال ، حيث اتضح أن نحو ٢٥ ٪ من عينة بولاق ممن يعملون بهذه المؤسسات الصناعية بالفعل .

وقد اوضحت نتائج الدراسة أن نسبة تصل الى ٧٥ من عينة عزبة عثمان ، و ١٢٣ ٪ من عينة بولاق من المشتغلين بمهن « اضافية » بعد مواعيد العمل الرسمية ، ويعنى هذا من جهة أن الدخل الاصلى قاصر على مسدد الالتزامات الحياتية غير أنه يعنى من جهة أخرى أن التطلعات فى المدينة لا تقف عند حد ، ومع هذا فنحن نبدى شكوكنا فيما يتعلق مشالة هذه النسب التى يفترض أن تزيد من ذلك .

وغير خاف أن سكان هذه الاطراف المرحمة ينتهون كذلك لآباء يعملون عادة بالحرث البسيطة التى تضم الزراعة والتجارة الصغيرة المحدودة

والاعمال اليهودية والفنية البسيطة اذ يبلغ مجموع هذه النسب مجتمعة ٧٨٪ في عزبة عثمان و ٧١٫٦٪ في بولاق وهذا يعنى بدوره أن الإبناء قد ورثوا من الآباء المهن نفسها ( باستثناء الزراعة ) ومما يساعد على ذلك انخفاض مستوى الإبناء التعليمى ونقص كفاءتهم وتدريبهم المهنى ، ومن الشواهد على ذلك أن ٣٨٫٧٪ من الآباء في عزبة عثمان كانوا ممن يعملون بالزراعة ولا يدع هذا مجالاً للشك أن الزراعة كانت من بين الأنشطة الرئيسية في الأطراف الى المدينة ( ويزداد معدل حضرها ) كما يعنى ذلك أيضاً أن الذين هاجروا للمنطقة من مناطق ريفية كانوا ينتنون لآباء يشتغلون بالزراعة ويعانون بدورهم من البطالة والبطالة الممنعة ( ٢٠ ) .

ويصبح توزيع دخل الأسرة على بنود الانفاق المختلة من مسكن ومزاج وتعليم ومواصلات وغيرها من أن الطعام يستنزف القدر الأكبر من دخل الأسرة اذ أن ٧٠٪ من عينة عزبة عثمان ينفقون نصف دخولهم كأكثر على الطعام وحده أى أن الطعام يستهلك الجزء الأكبر من دخولهم كما أن ٩٠٫٢٪ من عينة بولاق تعاني من المشكلة نفسها ، وغير خاف أن الأجور في المؤسسات الصناعية بشبرا الخيمة تعد أفضل ( قليلا ) من مثيلتها التي يحصل عليها ارباب الاسر في بولاق غير أن هذه النسب الكبيرة من ارباب الاسر في الأطراف التي تكاد تنفق معظم دخولها على لقمة العيش فحسب ، تجسد مأساة حقيقية ، ومن الطبيعى أن ينخفض ما تتكبده الأسرة من نفقات على المسكن والمواصلات المعابة في الأطراف بصورة لا تتعدى عادة ربع الدخل الشهري ( ٨٨٫٢٪ في عزبة عثمان ، ٧٦٫٨٪ في بولاق ) غير أنه ليس بخاف أن ما تنفقه الأسرة على التعليم وحده ( المصروفات والادوات المدرسية والدروس الخصوصية والمجموعات الدراسية ) يكاد يلتهم جزءا كبيرا من دخل الأسرة في الأطراف ناهيك من النفقات المخصصة لاستهلاك المياه والكهرباء والكيروسين والبنوتاجز وغيرها فضلا عن تكاليف الملابس والمزاج ونفقات العلاج والترفيه وغيرها ، ومع ذلك فقد أجاب ٢٢٫٨٪ من أسر عزبة عثمان و ٢٠٫٨٪ من أسر بولاق بأنهم يتمكنون عادة من الإذخار من دخولهم ومن أن الإذخار هنا « نسبي » ويتفاوت من أسرة لآخرى ومن شهر لآخر كما يخضع للعديد من الاعتبارات الا أنه مما لا شك فيه أن هذه الاسر لا تستدين — على أقل تقدير — من الآخرين ، بينما يمكن أن تهدد الفاقة غيرها من الاسر التي ليس لديها ادنى رصيد مادى أو مخزرات .

## ٥ - الضبط الاجتماعي :

الحياة في الاطراف ليست بالقطع حياة بسيطة فالاقتراب من المدينة يصبح عادة مصدرا للمتاعب وبخاصة لأولئك الذين الفوا حياة القرية بل أن المتواتر أن المدينة تصدر عادة للاطراف المزحمة والاحياء المتخللة العديد من **المشكلات والامراض الاجتماعية** ، ونظرة خاطفة الى قائمة الجرائم المنتشرة في هذه الاطراف توضح هذه الحقيقة حيث تتصدر قائمة الجرائم المنتشرة في شبرا الخيمة **المشاجرات** حيث تتلامق المساكن ويزداد هرج الاطفال مما يؤدي للاحتكاك المستمر ويتم التشابك بالعمى واستخدام الآلات الحادة وبخاصة اذا كان سبب المشاجرة يتصل بما يمس الشرف أو يחדش الحياء ، وتأتي السرقة في المرتبة الثانية ثم النشل ثم احيان المخدرات **والقتل والاغتصاب** ، وفي بولاق تحتل المشاجرات المرتبة الاولى ينهال السرقة ثم المخدرات ومن بعدها النشل **والقتل ثم الاغتصاب** .

اما عن اساليب الضبط الاجتماعي المتبعة في المجتمعين المحنيين **فإن اللجوء للشرطة ( الضبط الاجتماعي الرسمي ) يحتل المركز الاول** ، ومن بعده اللجوء للناس ( الجيران - الأصقاء ) ، ومن بعد ذلك كبار السن ممن يستعدمون للتدخل في هذه الحالة ويحتلون المركز الاول ، ومن بعدهما رجال الدين ، وقد ظهر الى جانب ذلك اللجوء لاعضاء الاحزاب في بولاق كوسيلة من الوسائل التي يلجأ اليها افراد مجتمع الاطراف في حالة حدوث الجرائم والرغبة في مواجهة الاتحرافات داخل الحى المزاوجة بين الحلول الرسمية وغير الرسمية ، وقد يرجع سبب اللجوء للشرطة الى ان هذه الاطراف تضم العديد من البشر الذين ينتمون لثقافات مختلفة أو نزحوا من مناطق شتى .

## ٦ - القيم والاتجاهات :

حين سأل الباحث الباحثين عن اتجاهاتهم نحو بعض القضايا الحياتية للتعرف على ابعاد نسق القيم السائد في الاطراف ( من خلال استمارة الاستبيان والمقابلات الحرة ) توفرت بعض الاستخلاصات التي يمكن الاسترشاد بها في هذا الشأن حول السلوك الاتجايي وجاءت استجابتهم اللفظية تؤكد عدم تفضيلهم لأحد النوعين ( الذكور والاثاث ) قبل ولادة الزوجة على الآخر ، ومع ان هذه الاستجابة تحمل في طياتها

قدرا متوقعا من ( القدرة ) حيث يعجز الإنسان عن التحكم في نوع الجنين كما تحل قناعة تكشف عن التساوى بين النوعين في شتى مجالات الحياة الاجتماعية ألا أن هذه الاستجابة للفظية تبدو مخالفة لتوقعاتنا إذ أن نسق القيم التقليدي لا يزال وراء **تشجيع انجاب الذكور** ، وهناك نسبة ضئيلة في الاطراف لا تكاد تتعدى ١٠٪ من مجموع افراد العينة في المجتمعين المطيين **تعارض بشدة الاستمرار في تعليم الفتاة بعد مرحلة التعليم الإلزامي** غير أن اثنين من كل خمسة أشخاص قد عارضوا اشتغال الفتاة أو وضعوا شروطا تقيد حراكها المهني؛ ولعل أبرز هذه الشروط أن على المرأة أن تعمل في مجالات بعينها تتشئ مع طبيعتها الانثوية كاللتدريس والتربيض وترفض الميادين الأخرى ناهيا .

هذا بينما أبدى ٤٧٥٪ في عزبة عثمان و ٤٩٢٪ في بولاق اعتراضهم على اشتغال المرأة بالسياسة وترشيحها في الانتخابات العامة ، ويعنى هذا ببساطة شديدة أن العمل السياسي من شأن الرجال وحدهم أما المرأة فانهم ينكرون عليها الاشتغال به نهى والحال كذلك أقل كفاءة من الذكر ولا ينبغي أن توضع القضايا المصرية للمجتمع في أيديهم .

وغير خاف أن الاطراف تصد مسرعا خصبا للفتييات بالسحر والحسد من بين المعتقدات الأساسية ويلجأ الناس الى اقامة جلسات الزار لمعالجة الامراض العصبية والففسية كما أن للممارسات الدينية وجلسات الذكر مكانة واهمية كبيرة للنجاح في الحياة الدنيا والأخرة في نظر الناس .

## ٧ - المشاركة الاجتماعية :

أن رؤية سكان الاطراف للمشاركة الاجتماعية من الامور التي تدعو الى التمعن ، فالناس بصفة عامة لا يرحبون بالمشاركة الاجتماعية في مناقشات هذه المجتمعات المحلية ( التي تجمع الناس من كل مكان ) وهكذا تبدو الاطراف غاصة بالاغراب وبيننا تكاد عقيبت النهية تتبلور فيها يفخسون عنه من مظاهر النقص الشديد في المؤسسات والمرافق الانتاجية والخدمية — أو سوء الخدمة — بصورة تظل منفاعيتها أو جدواها فانهم ينتظرون

عادة أن تهبط عليهم الاصلاحات وأن تزال العقبات « حتى تنصلح الأحوال » فمستخدم توافر المركبات العامة وعدم رصف الشوارع وعدم توفر الجارى بالمنطقة يستلزم كسح المخلفات والفضلات من المنازل والشوارع بصفة مستمرة ، وانتشار المياه القذرة الراكدة فضلا عن لكوام القباية في كل مكان يهدد السكان بانتشار البعوض والأمراض الوبائية كما ابتليت منطقة بولاق فضلا عن ذلك بعدم وجود كوبرى علوى يربط المنطقة بحى المهندسين مما يضطر الأهالى لعبور خط السكة الحديدية معرضين ارواحهم لخطر القطارات والحوادث المترتبة عليها .

وقد طرح سؤال للتعرف على مدى استعداد الناس للمشاركة في حل مشكلاتهم التى تقف عقبة في وجه التنمية المحلية فافاد ٣٦ ٪ من مجموع افراد عينة عزية عثمان بأن على الدولة وحدها يقع عبء معالجة مشكلات المجتمع المحلى والنهوض به في مقابل ٤٢٢٪ في حى بولاق بينما ذكر ٢٦٩٪ في العزبة بأن عليهم وحدهم « على عائق الناس أنفسهم » يقع عبء التنمية المحلية في مقابل ٩٪ فقط في بولاق ، ويأتى أخيرا الحل - الأكثر واقعية المبتلى في أن على الدولة والناس معا يقع عبء التنمية ، وتشكل هذه النسبة ٢٣٨٪ في مقابل ٨٨٪ في بولاق وقد طرحت هنا فكرة مخاطبة الجهات المسئولة بالإضافة الى جمع التبرعات من اهالى المنطقة (٢٣) .

وقد اتضح أن نسبة لا تكاد تتعدى خمس أفراد العينة في المجتمعين تشارك في **جميعيات اختيارية** وهذه الجمعيات هى لها جمعيات ( اجتماعية ) تؤدي لهم خدمات في المناسبات المختلفة كالوفاء بالمرض والعجز والشيخوخة وغيرها ، وتصل هذه المشاركة الى ادنى حد لها في عضوية الأحزاب السياسية . أما عن المشاركة في الانتخابات العامة فإن معدل الذين يشاركون عادة في الانتخابات لا يتعدى ٤٧٪ في بولاق ويعنى هذا ببساطة أن أكثر من نصف سكان الاطراف لا يشاركون مطلنا في التصويت على القرارات المصرية الخاصة بالمجتمع القومى .

وغير خاف أن **الامية** و**غيباب الوعى** يقفان وراء ظاهرة **الاجبالاة** **والغزوف** عن **المشاركة السياسية** بالصورة التى تشير اليها هنا والفلت للنظر كذلك أن من أسباب عدم المشاركة في الانتخابات بالنسبة لـ ٩٥٪

من مجموع افراد العينة من ارباب الاسر في عزبة عثمان عدم الدراية وظروف العمل حيث تقف هذه المبررات وراء نقص المشاركة السياسية بينما اجاب الاشخاص المشاركون بأنهم يؤيدون عادة انتخاب الشخص المتعلم ( تعليما ماليا ) والذي يحظى بمكانة اجتماعية عالية ، ومن الطريف ان البعض يضيفون ( الى هذه الخصائص ) الثراء والتدين كصفات لا بد من توافرها في القائد أو الزعيم السياسى .

### ثالثا : الوظائف الاجتماعية للاطراف :

تفصح النتائج التى امرزتها الدراسة الحقلية عن أن الاطراف تؤدى مجموعة من الوظائف الاجتماعية نبرزها فيما يلى :

#### ١ - تضم مجتمعات الاطراف عادة ثلاث شرائح من السكان :

( أ ) **الشريحة التى نشأت أصلا في المجتمع المحلى** حين كان النشاط الاقتصادى فيه ينهض على الزراعة وقيل أن تزداد فيه اليد الطولى للمدينة المتروبوليتانية ليصبح أحد تخومها أو أطرافها فيستوعب بالتبعية أعداد هائلة من قوتها العاملة .

( ب ) **الشريحة التى هاجرت من محافظات أخرى** - فى الوجهين القبلى والبحرى - لاسيما من المحافظات القريبة حيث تنتمى غالبية هذه الاسر الى مناطق ريفية طاردة للسكان نتيجة لنقص فرص العمل بها .

( ج ) **الشريحة « القاهرية »** النشأة التى تنفخت بها المدينة للاطراف نتيجة لفشلها فى العثور على المسكن فى الاحياء التى تعيش فيها .

٢ - ان العلاقات الاجتماعية فى الاطراف علاقات وثيقة ( حتى وان احتدام الخلاف بينها أحيانا ) سواء بين الاسر التى تعيش داخل المجتمع المحلى أو بين هذه الاسر وأقاربها ومعارفها فى مجتمعات محلية أخرى داخل أسوار المدينة المتروبوليتانية أو بين هذه الاسر والبلديات والمعارف فى القرى التى نزحوا فيها وهذا ينشأ عن مسكن الاطراف شبهة العزلة والعلاقات السطحية هذه الآراء التى طالما ردها علماء الاجتماع الحضري « الكلاسيكيون » .

٣ — الأسرة في الأطراف أسرة زواجية تعتمد الانجذاب أحد أهم وظائفها فالزوجة عادة لا تعمل خارج المنزل ولكن الأسر لأسباب اقتصادية أو نتيجة لاعتماد صحة الزوجة تستعين عادة بالوسائل الصناعية لتنظيم الأسرة وبينما يرحب الشئبب في الأطراف بالزواج من اقارب فان أسرة الأطراف يسودها التباسك عادة بينما يتدخل الالهل والاصدقاء والجيران سريعا لحسم أى خلافات في المحيط الاسرى وينفى هذا بدوره عن أسر اطراف المدينة شبهة التفكك والتصدع الاسرى وأهملها عملية التنشئة الاجتماعية وقد يحدث الاهمال في الرعاية نتيجة لتزايد عدد الاولاد وليس نتيجة لعزوف الأسرة عن القيام بوظائفها الأساسية .

٤ — تتميز مجتمعات الأطراف بأنها مجتمعات شابة تزداد فيها الامهار الوسطى فضلا عن صفار السن ( ممن تقل أعمارهم من ١٥ سنة ) غير أن ارتفاع معدل الامية وانخفاض الرعاية الصحية ونقص التدريب المهنى يستتبعهم انخفاض الدخول نتيجة لامتحان القوة العاملة للمهن اليدوية والفنية البسيطة .

٥ — رغم أن بعض أطراف المدينة المتروبوليتانية ( مثل مجتمع شبرا الخيبة ) يزخر بالعديد من المؤسسات الصناعية التي بدأ استقرارها منذ نهاية الحرب الثانية الا أن بعض الأطراف الأخرى ( مثل مجتمع بولاق ) لا يكاد يشهد وجود مثل هذا الحشد من المؤسسات الصناعية غير أن القوة العاملة في الأطراف تحتل عادة قاع السلم المهنى في هذه المؤسسات الصناعية .

ويعمل غالبية افراد القوة العاملة في الأطراف خارج مجتمعات الأطراف نفسها حيث تتوفر المواصلات العامة السريعة والزهيدة التكاليف ويبدو أن عامل الأطراف لا يهيم كثيراً مدى قرب أو بعد مكان العمل من محل السكن بل انه يهتم بالكثير بالحصول على العمل المناسب ذو الاجر المرتفع لامالة أسرته .

٦ — تتبكن الأسرة عادة في مجتمعات الأطراف من الحصول على السكن ذى القيمة الإيجارية المناسبة لامكانياتها الاقتصادية كما أن معظم

المساكن تستعين بالاجهزة الكهربائية الحديثة كالثلاجة والغمسالة والتلفزيون التي تشتريها عادة بالتقسيط او من خلال ادخار ثمن الجهاز المطلوب شراؤه .

٧ - ان مجتمعات الاطراف التي تمتد يد المدينة المتروبوليتانية اليها لتضفيها تعد محرومة في الوقت نفسه - نتيجة لغياب التخطيط - من المرافق والخدمات العامة - صحية وتطبية وترفيهية وغيرها - كما تعاني هذه المناطق من سوء الخدمة في المرافق الموجودة ، ومن الواضح ان الكثافة السكانية الزهيدة في هذه المناطق لا يصاحبها اهتماما مماثلا بالخدمات والمرافق بينما تعد هذه المناطق مجتمعات محلية مستهلكة اكثر منها منتجة اي ان التضرر هنا الذي يحول الرقعة الخضراء الى منطقة مزدهية بالسكان يمد وبالا على المدينة ( الاصلية ) والمناطق الطرفية بها .

٨ - بينما يشكو الناس من غياب التنمية المحلية فان **الاحساس العام مؤداه ان على الدولة وحدها يقع هذا العبء** ، وقد يكابر الناس فينكرون بانهم سيتولونها بانفسهم دون ان يعملوا شيئا ، اما من يروا بان هذه مهمة الجهود الذاتية والحكومية مما فهم ليسوا اغلبيية سكان هذه الاطراف مع انهم اكثر الفئات واعية ، ولا ينبغي ان ننكر ان تجاهل الدولة لسكان هذه المناطق يؤدي الى تحول هذه الشرائح الى قوة بشرية راضية ساخطة تشعر بالظلم الاجتماعي فيسهل اصطليادها لمساك غير مأمونة المواقف .

٩ - ان العديد من الجرائم المنتشرة خاصة في المدن من سرقة ونشل وادمان للخدرات واغتصاب هي من نصيب هذه الاطراف التي يستقر بها العديد من ارباب الجرائم والعصابات ، والملفت للنظر ان الناس يفضلون مادة الاستعانة بالاصدقاء والجيران ورجال الدين والاساليب الاخرى غير الرسمية للوقوف في وجه هذه الانحرافات السلوكية :

١٠ - لا زال نسق القيم التقليدي يضع المحاذير في وجه تعليم واشتغال الفتاة ومشاركتها الاجتماعية ويقندس الفيبليات حيث تخطط بعضها

بالمجتمعات الدينية مهينة على عقول نسبة ليست بالقليلة من سكان هذه المناطق .

١١ - تعد هذه الاطراف مناطق تكاد تختفى فيها التفرعات العرقية والإقليمية والقروية وان لم يفقد الناس رغبتهم في أن يعيش اقاربهم ومعارفهم وبلدياتهم في أحي نفسه أو حتى في البيوت نفسها ( التي يقطنون في أحد مساكنها ) ولكن دون أن تشكل هذه الشرائح جماعات متحدة متباعدة على أسس عرقية أو إقليمية أو تهضر على غير ذلك من الأسس التي يزداد الاهتمام بترسيخها في المجتمعات المحلية البسيطة ريفية أم بدوية .

١٢ - أن الجمعيات « الاجتماعية » الاختيارية الطابع كالجمعيات المهنية أو الدينية أو التي تقدم مساعدات في حالة حدوث الأزمات والكوارث فضلا عن أن الجمعيات التي تعرف باسم « جمعيات النقود » - التي يشارك فيها الاصغاء والجيران والمعارف ليحصل كل منهم بصورة دورية على مبلغ ( مجسد ) يعد بدوره محصلة للمبالغ التي قام الشخص بدفعها في صورة أقساط منتظمة ( يومية أو اسبوعية أو شهرية ) - تستقطب العديد من سكان هذه الاطراف حيث تعوض هؤلاء من المساندة القريبة والعرقية والمادية التي افتقدوها بعد انتقالهم للأطراف .

### رابعاً : الاطراف الحضرية في التروبوليتانيات المصرية :

#### « مقارنة التوسلج »

يرى بعض النقاد أن علم الاجتماع الحضري ينبغي أن يتم في السنوات القادمة بدراسة البناء الاجتماعي الحضري الذي يتأثر من خلال دراسة أنماط عديد من المدن مما يتيح الفرصة لظهور علم اجتماع حضري مقارنة لطبيعة البناء الاجتماعي الحضري وينطبق هذا الكلام عينه على الأنثروبولوجيا الحضرية نفسها لكي يثبت أقدامها (٢٤) ولا بد والامر كذلك من العودة الى مناقشة نتائج دراساتنا في ضوء نتائج الدراسات الأخيرة المتاحة إذ تتفق معظم الدراسات السوسيوأنثروبولوجية والديموجرافية التي

تناولت المدينة المصرية في أن القرويين الذين ينتهون الى هذه المدن — وعلى الاخص القاهرة — ينتهون للثة العبرية الشابية ويقومون بمجرد وصولهم للمدينة في مناطق الاطراف التي تتمشيش فيها أساليب الحياة الحضرية والريفية فضلا عن التجانس والروح الدينية الراسخة التي تظهر في الالتزام بأداء الفروض الدينية والخصوبة المرتفعة التي تميز الريف المصري حيث تلعب الاسرة والقرابة والجماعة الاجتماعية دورا أساسيا بينما تنمو هذه الاحياء بطريقة عشوائية حيث نجد الأثرة الضيقة والحوارى المسدودة الملتوية والمتعرجة ، وتاريخ العاصمة في نظر هؤلاء الثقات هو ابتداد للاطراف بقدر ما هو تكثيف سكانى للداخل فقد اتسعت المدينة من المقطم الى الهرم ومن حلوان الى شبرا .

وتبرز هذه الدراسات بجلاء أنه في الاطراف تسكن عادة **الطبقة الدنيا** ، ففى أقصى الجنوب نجد أجزاء من بندر الجيزة وتلمس قطاعا يمتد من مصر القديمة الى السيدة زينب وفى أقصى الشرق نجد الخليفة والحسين ، وفى أقصى الشمال نجد أطراف شبرا الخيمة وشبرا البلد والساحل ثم امبابة وفى وسط المدينة بولاق والسبتية والى جانب الجيوب الثانوية فى بولاق النكور وبين السرايات حيث الملبأى المتبقية والشوارع التي تخلو من التخطيط والكثافة السكانية العالية وانخفاض مستوى المعيشة والحجم المرتفع للأسرة . وحيث تخطط المساكن بالمنشآت الصناعية والمحلات التجارية ومخازن الجبله وتجار الحرف اليدوية والمؤسسات المخصصة للصناعات الثقيلة وبعض المعاهد والكلية الجامعية بينما تعيش الطبقة العليا والوسطى فى معظم المناطق القريبة من النيل (٢٥) .

وقد أصبحت احدى أبرز الدراسات التي أجريت من اطراف مدينة الاسكندرية أن سكان الاطراف اصغر سنا كما ترتفع نسبة الامية فضلا عن نسبة من لم يحصلوا على شهادات دراسية بينما ينخفض دخل الاسرة ونصيب الفرد من الدخل الشهري .

وقد اتضح أن المتوسط العمرى لكل من الأزواج والزوجات فى مناطق الاطراف اقل منه فى المدينة وأن معدل الخصوبة يتزايد كلما اتجهنا للاطراف ومع أن حجم الاسرة يميل للتوسع النسبى فإن الاتجاه للتكاثر يعد من أهم مظاهر التغير .

وقد أوضحت النتائج الحقلية أن القراب النسبى للذكور من الإناث يصاحبه في الوقت ذاته انخفاض العبالة النسبائية للزوجات وقد أبرزت الدراسة الراهنة أن الناس في هذه الاطراف يشعرون بالتجانس كما يزيد الاحساس بالمشاركة الاجتماعية عند الفئلت الوافدة من خارج المجتمع المحلي حيث كانت هذه الفئلت الوافدة أكثر ميلا لتدعيم علاقتها بالجيران .

لما نمط العلاقات الاجتماعية « شبه الاولية » لسكان الاطراف فانهكس على تفضيل الجماعة القرابية وازدياد الاهتمام بزيارة الادل والأقارب ، حيث يشمر الناس — كما هو الحال في المناطق الريفية — بالتجانس وتكاد تكون حدود التسامح ضيقة عن مثيلتها في المدينة ويزداد الحرص على سمعة الأسرة نتيجة لوطاة المعايير الاجتماعية .

ومن النتائج الطريفة التي أبرزتها الدراسة الحقلية أن الأسرة كانت هي محور الاهتمام الاساسي لأعضائها بصورة تتمثل في « التبركز حول المنزل » و « التبركز حول الطفل » حيث يقضى الزوج والزوجة أغلب وقتها مع الإبناء في المنزل .

وقد أبرزت دراسة أخرى تناولت أحد اطراف العاصمة وأحد توابعها الزراعية أن انضمام مجتمع « الاطراف » الى كردون المدينة لم يؤدي الى لا شخصية العلاقات وإلى زيادة العقلانية وانعدام التجانس كما اعتقد ويرث كما أبرزت تلك الدراسة أن القوة العاملة قد اتجهت للاستغلال بالقطاع الثالث ( قطاع الخدمات غير المنتج ) نظرا لانتشار الأمية ونقص التدريب المهني بين أفرادها الذين يظلون قطاعا عانى من البطالة المقننة وقد حاول غالبية هؤلاء الأفراد أن يخلقوا مجتمعا يقترب في ثقافته من ثقافتهم التقليدية ، وهكذا تصدعت الجماعات والثقافات الفرعية التي لا يبدو أن التصنيع كان العامل الحاسم في جذبها للمدينة ، ومن شواهد ذلك أن الدراسة الحقلية قد اكتت وجود ٣ جماعات على الأقل في مجتمع الاطراف جماعة تحركت من مركز المدينة للاطراف وقد أطلق الباحث على أفرادها Modern-urbanites وجماعة ونعت — من الوجهة البحري أو القبلى — الى الاطراف ولاسيما في مناطق ريفية وقد أطلق على أفرادها Traditional urbanites ثم السكان ( الاصليين ) وهم سكان المنطقة التي كانت زراعية أساسا ( في الغالب ) قبل أن يحتويها التوسو الحضري

لتتحول الى محلة متروبوليتانية تابعة نتيجة للامتداد الحضرى وقد أطلقت  
الدراسة عليهم Rural urbanites وخلاصة القول انه رغم الفروق  
الحضرية بين المدن الكبرى في مصر فاننا نستطيع — بصورة تمسكية بقصد  
التحليل والدراسة — أن نتحدث عن خصائص اجتماعية وديموجرافية  
لسكان هذه المدن والمواضع غير أن تفسير نشأة هذه الاحياء في ضوء  
التوجهات الايكولوجية والتاريخية والديموجرافية من جهة او في ضوء  
الوصف الانتوجرافى او دراسة الثقافة الفرعية من جهة اخرى ليس بالامر  
المرغوب ( في الوقت الحاضر ) والأجدى لنا ان نحاول تفسير هذه النشأة  
كذلك في ضوء الأوضاع الطبقة والمعامل الاجتماعية الاقتصادية من جهة  
وفي ضوء التفرع والامتداد الايكولوجى للمدينة في مواجهة هذه الأطراف  
المحرومة من جهة اخرى .

---

## ٢ - « الهامشية الحضرية » •

### دراسة عن أحياء جامي القاهرة بمدينة القاهرة

#### مقدمة :

١ - الثقافة الهامشية هي ثقافة فرعية لجباة من الناس تستقر مادة على أطراف أحد المجتمعات المحلية فهي ثقافة نوعية مخالفة للثقافة المحيطة . وقد استخدم بارك R. Park مصطلح الإنسان الهامشي marginal man للدلالة على الشخص الذي يتحرك خلال أكثر من عالم اجتماعي Social world دون أن يكون مستوعبا تملها في واحد منها (١) .

ويتفق بارك مع سيبيل Simmel وغبان في أن الهامشية تعكس وضع الشخص داخل جماعة بعينها وما يتضمنه ذلك عادة من تناقض وجداني وفشل في التوافق مع الوسط الثقافي .

وقد حسنا حزنو بارك في هذا المضمار Frazier ، وهيوز Ev. C. Hughes وطومسون Thompson وويرث L. Wirth (٢)

وفهم من تحليل بارك Park أن ثمة علاقة بين مفهوم الهامشية والشور بالفرة فالشخص الهامشي يحس بالفرة والعزلة كذلك .

١ - حظيت الهامشية الاقتصادية بصفة عامة وهاشية العمل بصفة خاصة باهتمام البعض أمثال منجر Menger على أساس ما سبق أن أرساه Ricardo وسيث Smith من تحليلات في هذا الشأن . واستمر هذا الاهتمام من خلال أعمال بكمان Beckmann ، فون ثينين Von Thuenen ، وستين Steven ، كما يمكن تتبع جسوره الفكرية في كتابات ماركس وجينونز Jevons .

هذا بينما اهتم البعض أمثال برلمان Janice Perlman و نان Nun ،  
بالهائشية الاجتماعية (٣) .

ويعتقد نان Jose Nun أن الهائشية هي الإبن البكر للتنظيم  
الراسمالي حيث تعمل الرأسمالية على تهيش قطاعات كبيرة من الفقراء  
من يعملون في مجال التجارة البسيطة والحرف الصغيرة والخدمات  
الشخصية .

ويرى ويب Webb أن القطاع التقليدي هو القطاع الهائشي سواء  
في الريف أو الحضر بل أن المدن الكبرى في الدول النامية تتميز — كما يذكر  
روبرتس Bryan Roberts (٤) — بازدواجية مهنية وازدواجية تكنولوجية  
حيث تجذب إليها من الريف القوى العاملة غير المدربة والامية فتعمل بها  
بالاعمال المعرفية غير المنتجة ويتكالب الدخل المنخفض والامية وتقص  
الخدمات المقدمة ومقدان المشاركة في تجسيد هاشتيتهم الحضرية ومزلتهم  
الاجتماعية . وتشعر سوسيولوجية الإنسان الهائشي من وجهة نظر بارك  
للعمليات التي تمجّل بظهور الصور المختلفة لاحتصار أو تكوص التوافق  
والتكيف ، والملاحظ أنه بينما تسفل دوركليم بالضغط التي تدفع المجتمع  
الى نماذج يمكن التنبؤ بها سلبا فإن بارك يلفت النظر للقوى التي تهددنا  
من خلال هذه الضغط .

٣ — تتضمن الهائشية قدرا — ضئيلا أو كبيرا — من الاغتراب  
Alienation فالمجتمعات والجماعات الهائشية تعاني من الشعور  
بالغربة عن الثقافة المحيطة بها وعن الجماعات الاخرى من حولها ،  
بل أن الهائشي في اغترابه يخلق عالما بعيدا عنه ، وحينئذ لا يصبح  
العمل هو ذلك النشاط الانساني الوجودي الخلاقي بل أن هذا العمل  
يجعله مقتربا عن طبيعته وعن ذاته أيضا (٥) بل أنه في ظل اغتراب الانسان  
الهائشي عن المجتمع المحيط به تصبح الحياة الاجتماعية صورة لعدوان  
الحرية الانسانية (٦) ومن شأن هذا أن يجعل الانسان عاجزا عن تنظيم  
العمل الجماعي للتغلب على أحوال السيئة ( مثل عدم العدالة ،  
والاستغلال ) التي يقع بالضرورة تحت نيرها (٧) .

٤ — إذا تركنا جانبا النظرية التي تدعها لويس من العلاقة بين الفقر

**والهأهشية** فان التقارير الأخيرة للأمم المتحدة تؤكد أن ثمة علاقة موجبة بينهما فقد أوضحت هولنستير Hollnsteiner في مقالها عن الخدمات الأساسية لأطفال فقراء الحضر في الدول النامية أن أطفال الأحياء المتخلفة يواجهون الحرمان الدائم . فمع الفقر والاكتظاظ السكاني وسوء انعدام الخدمات الصحية والتعليمية ونقص المساكن المناسبة وازدياد معدل الهجرة الريفية للمدن تتكون الجيوب الكبرى من فقراء المدن ، وتكلم هولتز عن الفجوة بين المخطط الحضرى ومسكن المناطق الهأهشية حيث ترجعها بدورها الى اقتراب الأول عن فهم حياة الفقراء في هذه المناطق ، الأمر الذى يستلزم استخدام المدخل متعدد الإبعاد الذى يتضمن تقديم خدمات في مجالات رعاية الأمومة والطفولة وتنظيم الأسرة وإنتاج الغذاء والتكنولوجيا المناسبة فضلا عن تبصير الناس بضرورة المشاركة في تنمية مجتمعهم المحلى (٨) ، وما من شك في أن الظروف الاجتماعية - الاقتصادية - السياسية تعد مسئلة أساسا من تهيش بعض شرائح المجتمع وتحديد مجال نشاطهم الاجتماعى غير أن الشكل الآخر للشرائح والمناطق الهأهشية هو من صنع الهأهشيين أنفسهم من خلال القرارات الحياتية اليومية التى يصنعونها بأيديهم (٩) .

ويرجع محبوب الحق الهأهشية الى البؤس والحرمان الذى يتعرض لها أكثر من ٤٠ ٪ من سكان الدول النامية ، فالهأهشية هى الوجه الآخر للفقر وفقدان العدالة الاجتماعية (١٠) ففى القاع تتعرض حياة هذه الشرائح للخطر نتيجة لنقص المياه ونقص الرعاية الصحية وانتشار الأمراض وازدحام المساكن والافتقار للقدرة على السيطرة على الطبيعة أو المشاركة في وضع استراتيجيات التنمية المحلية (١١) .

٥ - يريط جيرالد بريز Breeze بين الهأهشية والهجرة الريفية الى المناطق الحضرية فالهئة الهأهشية تصدسبة عامة بالنسبة للمهاجر الحضرى الذى ينزح للمدينة بينما يكون غير معد لشق طريقة بنجاح في المجتمع الحضرى : وهو يؤكد أن نصيب الدول النامية أكبر من مثيلاتها المتقدمة فى القطاع المعروف بالخدمات « الهأهشية » ومصادق ذلك أن معظم من ينزحون للحضر فى العالم ليس لديهم مهنة محددة فهم يعملون حيثما اتفق . ويسكنون فى مساكن مؤقتة ، الأمر الذى يؤدى لظهور الأحياء المعروفة بالحافة النفسية Shanty towns التى تلحق للخدمات وتنتشر فيها القذارة وتقترب من مدن الاكواخ Septic fringes ولا يبدو أن التصنيع هو العامل الحاسم فى هجرة الريفيين الى المدن فالغالبية العظمى من المهاجرين تتجه عادة الى قطاع الخدمات والأعمال غير الفنية ( الهأهشية ) (١٢) .

ويطلق على الأحياء الهلثية أو أحياء واضعى اليد في الهند أحياء الباسطى Busteas أو جاجى Jhugges أو أهااتا Ahata وفي تونس Gourbin أو Bidonville وفي بغداد Seritas وفي فنزويلا Ranchos ، وفي بيونس آيرس Villas M. Serarias ، وفي ساو باولو Barrios ، وفي بورتو الجير Villas de Malacas وفي سانتاجو Broblacones Cuttempas Barrios clande وفي كولومبيا Quibradas وفي مكسيكو سيتي Cerros أو Colonias proletarias ماذا أخذنا مثالا بالهند فإن أحياء الباسطى Busteas or Bustis هي عبارة عن أكواخ صغيرة مؤقتة يتم بناؤها بوضع اليد وتنتقل إلى الخدمات كما تنتشر على طول الطرق الرئيسية المؤدية للمدينة والمناطق الفضلاء البعيدة والأجزاء المهجورة التى تشوه المدينة وتكاد تقتصر سكانها على الوائدين الجدد للمدن .

٦ — يرى بيريز أن المدينة كلها تصفحت وازداد امتدادها للقرى المجاورة ظلت هذه القرى بمثابة جيوب هابشية تنتشر للخدمات والمرافق الحضرية بينها تسليخ كذلك من وظيفتها الانتاجية المتصلة بالنشاط الزراعى ويمعارة أخرى فإن الأحياء الهلثية هي أحياء متخلقة تعاني من نقص في الخدمات والمرافق وتوجد عادة على الأطراف أو في بعض الأحياء التى تنسم بخصائص ايكولوجية وعمرانية يعينها على تقوم عادة على أراضى مملوكة للدولة أو لأشخاص وتشيد بمادة من المخلوقات المكونة من مبان متداعية أو أكواخ صغيرة يأوى إليها مئات بل عدة آلاف من واضعى اليد . وعادة ما تجد الدولة نفسها مضطرة للاعتراف بالابر الواقع مع محاولة مدها بالخدمات الاساسية كالمياه والكهرباء أو خطوط المواصلات الحكومية السريعة . ومن سوء حظ هذه المناطق الهلثية أنها تصبح مسرحا للقراء وأرباب السوابق والاحتفاظ السكائى ، وتؤدى الى المزيد من المشكلات الاجتماعية والصراعات الثقافية .

ان نمو المراكز الحضرية في دول العالم الثالث يفوق المناطق الريفية في هذه الدول غير ان هذه المراكز الحضرية تزخر بمدن الصفيح وأحياء واضعى اليد التى تعكس جميعا ظروفا بالغة السوء كما تعبر عن الهلثية الاجتماعية — الحضرية حيث تجذب الاعداد الغفيرة من المهاجرين الريفيين للعمل بها . فالجيل الذى يهاجر الى المدينة بفرده قد يظل محتفظ بالرواسب الريفية الى حد ما ، الأمر الذى يجعل من المدينة نموذجا

معتداً من المناطق المتخصصة داخل بناء إيكولوجي أكثر عمومية (١٣) .

وهذا ما دفع الحسيني أن يذكر أن مفهوم الهامشية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ينبع من حقيقة اخفاق اعداد كبيرة من المهاجرين الريفيين في الالتحاق بأعمال صناعية ولجوئهم الى أعمال حربية وضيمة في هذه المدن ، وهي الحرف غير الانتاجية التي يطلق عليها عادة المهن « الهامشية » بل أن قطاع عمال الصناعة في هذه الدول يظل عازلاً عن المشاركة السياسية أو يحاول المشاركة في ظل محلكاة مشوهة للديموقراطية الغربية (١٤) .

٨ - تعبر الهامشية الحضرية عن هامشية اقتصادية وسياسية وثقافية ايضاً ، وهذه تصبح العلاقات بين المحلة الصغيرة والمجتمع الأكبر وتصبح العلاقات بين المصنعات داخل المحلة الصغيرة نفسها ، ويشير شك W. A. Shack في معرض حديثه عن العلاقات القبلية والسلالية في اثيوبيا أن سكان المدن الإفريقية لا يفتقدون هويتهم السلالية والقبلية بل أن هذه الهوية تتقدم أو تقوى بمرور الوقت بينما تختلف هذه الصورة من مدينة إفريقية لأخرى . كما أن الهامشية السلالية لا تعنى بالضرورة عدم التنظيم والعلمانية والفسدية بالصورة التي أشار إليها ويرث Wirth ويعنى هذا أن المدينة لا تغير الناس كلياً أو تجعلهم حضريين بصورة واحدة . كما لاحظ شك أن الجماعات السلالية التي تشارك أساساً في أحد القطاعات النوعية لبناء المهني الحضري تتأثر بهدى أسهام هذه الجماعات والثقافة السائدة من جهة كما تتأثر بالتسهيلات التي تقدمها الاغلبية لتحقيق التكامل الاجتماعي والثقافي بينهما وبين هذه الجماعات السلالية من جهة أخرى (١٥) .

٩ - أن الهامشية الإيكولوجية تنبثق مع هامشية اقتصادية وسياسية ودينية وثقافية وهكذا ، وعلى سبيل المثال فإن البروليتاريا الحضرية التي تشعر بهامشتيتها تصدق قوة للتغير ذات تأثير فعال يسهل دفعها بواسطة « الديوجوجيين » الى تيارات غير مأمونة .

وتتبل الهامشية الاجتماعية كذلك في ازدياد معدلات انحراف الأحداث والتصدع الأسري والامية وضعف المعايير الاخلاقية والخيانة الجنسية والبغاء وغيرها من المشكلات الاجتماعية الاقتصادية التي تهدد الأسرة

وجباكات الرئاق والجيرة والامتثال لمعايير الضبط الاجتماعى ونسق القيم فى المجتمع .

وتتضح الهامشية الاقتصادية من خلال تفاقم الفقر بالنسبة لبعض الشرائح وانخفاض مستوى الانتاجية وانخفاض المهارة ونقص التدريب المهنى وعدم المساواة وارتفاع معدل الديون .

١٠ — ان نوعية الجباكات الهامشية تتضمن ثلثات عديدة — اشار اليها أبو لغد — ومنها :

( أ ) شريحة المهاجرين غير المهرة للمدينة .

( ب ) الذين يقيمون فى اماكن خارج المدينة او اطرافها كسكان المتابر .

( ج ) النساء اللاتى يعلن غيرهن دون ان يتوفر لهن العمل المناسب والمهارات اللازمة .

( د ) سكان المنازل المتهاجرة ممن يعيشون فى خيام او اكواخ أو مساجد قديمة .

( هـ ) اطفال الشوارع ( الذين بلا عقل يرماهم ) .

وهناك بعض دراسات اثروبولوجية عن جباكات هامشية مثل دراسة يونى ويكان Unni Wikan وايغلين ايرلى وغيرهما .

١١ — هناك اختلافات خاصة بطبيعة مناطق مستوطنات « وافصى اليبس » فى أمريكا اللاتينية وجزر الكاريبي يتجه القادبون الجدد مباشرة للاحياء المتخلقة فى المدينة . وقد يحاول سكان الاكواخ اذا ساعدتهم الدولة ان يحسنوا اوضاعهم ويبدو ان المستوطنات الطبقية فى افريقيا وآسيا لا تدخل فى اطار هذه الفئة حيث يتجه اليها المهاجرون من الزيف مباشرة ليتصلوا بآخرين من الاسرة او القبيلة . فهذه المستوطنات هى استراحة منتصف الطريق بين القرية والمدينة ، واذا كان ساكن الحى المتخلف يدفع اجبارا مقابل المسكن ، فان احياء وضع اليد الحضرية هى احياء بلا شرعية

ونادرا ما يدفع واضع اليد الحضري ايجارا في هذه الاحياء والنتيجة هي الهبوط بطررف هذه المناطق الى الاسوأ .

وتعتبر مدن الاكواخ بالنسبة للمهاجر الى المدينة ، وخاصة في افريقيا وجنوب شرق آسيا ، منطقة مستقبلية للمهاجرين ذات ملاح مألوفة فهي ليست مطابقة للمدينة بشكل كامل في هذه المجتمعات المحلية الهامشية اتاربه وشبكة علاقاتهما يؤدي الى التغلب على الصدمة الثقافية  
Cultural Chock

وفي سنة ١٩٥٨ ضمت لها على سبيل المثال نحو ١٠٠,٠٠٠ من واضعى اليد ما ليك ان زادوا الى ٤٠٠,٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٦٤ ، وفي أفريقيا وجنوب شرق آسيا أدت هذه الظاهرة الى تهديد الكيان الحضري برمته .

وليس من اليسر أن نتطرق للحديث من الهامشية الحضرية الا اذا وضعنا في الاعتبار الظاهرة التي يطلق عليها عادة التضخم الحضري Over Urbanization والتي تنتج من الزيادة الرهيصة غير المتوازنة في سكان الحضر: بالقياس بالامكانيات الفعلية والاحتياجات المتزايدة للسكان (١٦) .

١٢ - بازدياد معدل التضخم الحضري تزداد الاحياء المتخلفة ومدن الصفيح ويشير الن مونجوى الى مدن الاكواخ ، كصورة من صور الاستيطان الطغائي ( الهامشية ) التي تقام بوضع اليد حيث تضم الفقراء ، فضلا عن الشرائع العاملة التي تحصل على اجور منخفضة وأولئك الذين ينزحون في الاحياء الشعبية لكي يوفروا ايجار المسكن ويوفروا في بناء منازل لهم في ظل ظروف أفضل في المستقبل (١٧) .

وترى أبو لغد (١٨) أنه في داخل القاهرة هناك مناطق الاكتظاظ السكاني والاسكان السيء ، والفقر ، والهامشية الاقتصادية أو العمل في القطاع غير الرسمي ( غير المنتج ) . وإذا كانت هذه القطاعات الهامشية داخل مدينة القاهرة تؤكد لنا حقيقة أن مدن العالم الثالث خاصة تحتوي على عدة طرق للحياة ليست كلها حضرية وليست كلها حديثة فهي من وجهة نظرها توضح أن هذه القطاعات لا يمكن ان تقيم الا في ضوء علاقتها بالمدينة والنسق القومي بل والنسق ( العالى ) وبعبارة

أخرى في ظل علاقات التبعية للاستعمار . وقد أوضح حجازي أن وجود انساق اجتماعية وأنماط حضارية جلبها معهم المهاجرون إلى العاصمة يتشبه مع ميلهم إلى تكوين جيوب ثقافية ، يحتفظون فيها بمعظم مقومات الثقافة الأصلية . الأمر الذي يؤدي إلى تعطيل عملية التكيف الاجتماعي والثقافي في العاصمة (١٨) . كما استنتج مودة أن المهاجر إلى مدينة القاهرة مادة ما يكون في مرحلة الشباب وفي سن العمل ، إلا أنه أمي ، وغير مخرب كما أنه أعزب ومتحرر من كثير من الالتزامات العائلية حيث تمثل هذه النوعيات من المهاجرين خطورة تهدد التنمية للصناعية والاقتصادية برمتها (٢٠) .

١٣ - أن المدينة تزحف عادة على الأحياء الهامشية لتضمها إليها ويذكر الحسيني مثالا طريقا من أحد المناطق الهامشية في مدينة القاهرة التي يطلق عليها « مدينة الأموات » وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي للعاصمة إلى حي الأمام الشمالي بدأ الأحياء يزحفون على الأموات ويطاردونهم حتى أن مدينة الأحياء تتداخل مع « مدينة الموتى » بصورة تابضة للنفوس (٢١) .

### ثانياً : « الدراسة الحقيقية منشأة ناصر » :

تقع هذه المنطقة على أطراف العاصمة وسط مرتفعات المقطم وشرق طريق صلاح سالم . وقد نشأت هذه المنطقة عام ١٩٦٠ ويبدو عدد سكانها على ٦٠.٠٠٠ نسمة . بينها يشكل مجتمع ( الزباليين ) نحو ٦.٠٠٠ نسمة منهم ، وهم يشتغلون بهنة جمع القمامة من بعض أحياء القاهرة ويشكلون مجتمعاً محلياً على مشارف منطقة الأطراف نفسها . ويؤدي النسيق المهني والإيكولوجي إلى هامشية هذا المجتمع وسكانه مما سيأتي ذكره فيما بعد .

ومن المعروف أن الزباليين يستقرون في العاصمة في بعض المناطق التي تقع على أطراف المدينة ، وهذه المناطق هي عزبة النخل ، المعنكية ، والبراجيل ، وعين الصيرة ، وطرة ، وحلوان ، ثم منشية ناصر التي تعد أكبر التجمعات المعروفة بالنسبة لهم .

ويستقر مجتمع « الزباليين » في المنشية في حوض جبل المقطم حيث تمتد منطقة وضع اليد مكونة مجموعات متراسة من عشش الصفيح والحجارة

بينما تنتظر هذه الاحياء النقية للشرب والكهرباء والمستشفيات والمدارس الحكومية كما تبعد عن « خطوط » المواصلات العامة حيث تعد مرابت جمع القمامة وتصريفها الشكل الوحيد من اشكال الاتصال بالعالم الخارجى وتنتشر الازقة غير المرصوفة ، بل ان المرء ليجد صعوبة بالغة فى السير فى الشوارع نفسها حيث تنتشر اكوام القمامة المتعفنة وجثث الحيوانات المتعفنة فى الشوارع بصورة مأساوية .

( ا ) يوجد بالمنطقة ٣ مخابىء صفيرة ( فرز ) ، { حوانيت للبقالة وقصاب أو أكثر ، ٢ مكبس للورق ، بينما توجد مخبئة ملحق بها قاعة لحوامية اطفال المنطقة . وقد أجرى البنك الدولى دراسة للارتقاء بالمستوى العمرانى Upgrading لمنشية ناصر سنة ١٩٨٠ للتصريف على المشكلات التى يشكو منها مجتمع « الزبالين » واعداد البرامج التى يسهم السكان فيها لتحسين الظروف المعيشية .

(ب) انصح الحمر السكائى للاحياء التى يسكنها « الزبالين » والذى اشرف على البنك الدولى ، فى منشية ناصر ، ان عددهم يبلغ ٤٨٠ نسمة ، منهم ٣١٪ من الذكور ، ٤٩٪ من الانثى .

كما تبين أن ٢٠.٥٪ من مجموع السكان تقل اعمارهم عن العشرين ، وأن ٣٩.٦٪ تتراوح اعمارهم من ٢٠ : ٤٠ سنة و ٢٤٪ من ٤٠ : ٦٠ سنة. هذا فضلا عن ١١.٦٪ تزيد اعمارهم عن ٦٠ سنة ، وينبغى التوضيه هنا ان العمر الزمنى لمجتمع الزبالين والمنشيه بصفة عامة لا يتعدى ربع قرن من الزمان ، الامر الذى ينعكس بدوره على انخفاض معدلات صفار السن من المتوقع لحدودية عدد االزيجات التى تمت فى المنطقة ، فضلا عن ارتفاع معدل كبار السن وان كنا نشك من جائبنا فى صدق النسبة الاخيرة ( ٦٠ سنة فأكثر ) نظرا لان الكثير من سكان المنطقة ليس لديهم شهادات ميلاد أو بطاقات شخصية — لاسباب سنفلصها فيها بعد — مما يجعل الناس يخطئون فى تقدير اعمارهم الفعلية .

( ج ) وقد أجريت الدراسة الراهنة بهدف التعرف على أحد المجتمعات المحلية التى يحتلها « واضعو اليد » فى اطراف مدينة القاهرة حيث اختيرت منشاة ناصر ( الاحياء التى يقطنها جابجوا القمامة بصفة خاصة ) للتعرف على الموائل التى تصاحب تهميش هذا المجتمع المحلى من الوجهة الأيكولوجية والاقتصادية والاجتماعية من جهة ، واثار هذا

التهميش الحضري من جهة أخرى . وتحدد المجال الزمني بالحقبة الممتدة من أول ديسمبر ١٩٨٢ الى نهاية فبراير ١٩٨٣ .

وقد قدر عدد الاسر بنحو ١١٠٠ أسرة موزعة على ثلاثة محاور اساسية تمتد في شكل حلزوني على ارتفاع الجبل بينما تستقر في النهاية عند قاعدته بينما زحفت مجموعات سكانية أخرى فكانت تلبس شريحة « الزبالين » .

( د ) بعد أن قام الباحث بالدراسة الاستطلاعية للمنطقة (ج) اتضح أنه يمكن تقسيمها بحسب درجة تجانسها الى منطقتين : الاولى وتضم نحو ٦٨٠ أسرة ، ثم أختيار ٣٣٩ أسرة منها تصل الى نحو ٥٠ ٪ من مجموع هذه الاسرة بينما تضم المنطقة الثانية نحو ٤٢٠ أسرة تستقر عند قاعدة الجبل . ولما كانت المنطقة الثانية التي تستقر عند قاعدة الجبل تتباعد ببعض التسهيلات المعيشية التي يحرم منها سكان المنطقة الاولى من مجتمع الزبالين ، فقد تجاوزها التقرير الراهن الذي يعرض لنتائج دراسة المنطقة ( الاولى ) . وتضم العينة ٣٣٩ « زرابا » — كما اسلفنا — ممن يجمعون القمامة ويعيشون حياة هامشية أكثر من اقربانهم في المنطقة الثانية من جهة ، ومن اقربانهم الذين يعملون في مهن غير مهنة جمع القمامة داخل المنشأة من جهة أخرى . كما أنهم أكثر هامشية من اقربانهم الذين يسكنون الأحياء الشعبية والمتوسطة والرائية في العاصمة بصفة عامة .

ويقوم « الزراب » (ج) بنقل القمامة الى الزريبة ونزرها وبيعها للتجار ، وتضم القمامة عادة الزجاج والحديد والخرق البالية والورق وغيرها من المخلفات الخشبية والمعدنية لتصنيعها ، وبيعها لكبار المعلنين الذين يتولون بشورهم بيعها للوحدات التي يتعاقدون معها بببالغ مجزية دون أن ينال « الزراب » نصيبه الحقيقي .

---

(ج) تضمنت هذه الدراسة الاستطلاعية الاتصال بالسكان والامداد الذين نالوا حظا من انتعاش ورجال الدين بالمنطقة  
(ج) « الزراب » هو الشخص الذي يملك زريبة وتضم الزريبة عادة الحوانات التي تعيش على الفضلات وعربات جمع القمامة فضلا عن القمامة نفسها .

( هـ ) تتنوع هابشية هذه الشريحة ، فهي هابشية إيكولوجية من جهة واقتصادية من جهة ثانية . فهذه الشريحة على سبيل المثال تحتل مكانة هابشية في النسق المهني حيث يمكن الحديث عن القطاع الرسمي الذي يضم « عمال البلدية » الذين يتولون نظافة شوارع المدينة مع نقل القمامة في عربات يدوية الى صناديق ضخمة موضوعة في الشوارع الرئيسية يتم تفريغها بدورها في عربات آلية الى الاماكن التي تحددتها المحافظة ليتم فرزها والتخلص من المتبقى منها . وهذه الشريحة العاملة مثل أى شريحة تحصل على أجورها من الدولة بصورة منتظمة .

### أما القطاع غير الرسمي فيقسم :

١ — كبار « الواحية » الذين يتمتعون على تصرف فضلات المؤسسات والفنادق وأماكن اللهو وأماكن إقامة الطبقة العليا والوسطى في المدينة ( الزمالك — جاردن سيتي — وسط البلد ... الخ ) .

٢ — صغار « الواحية » الذين يتمتعون على تصرف فضلات البيوت من باقى أنحاء المدينة فضلا عن الاحياء التي توصف بأنها احياء شعبية ويقومون بتسليمها للزرايين .

( و ) أما « الزرايون » موضوع الدراسة الراحنة فهم يقومون بتحويل القمامة وفرزها والاستفادة منها مع بيع ما يصلح للبيع منها وهذه الشريحة تحل — كما ذكرنا — مكانة دنيا في السلم المهني . الامر الذي ييسر المسافة الاجتماعية Social distance بينها وبين سكان المدينة ولا يخفى على الزائر للمنطقة ما يطلقه سكان الاحياء المجاورة من نكات ساخرة على من يقومون بجمع القمامة .

كما أن تربيتهم للخنازير تستثير عادة تنزز الناس واشمئزازهم ، الامر الذي يستثير هابشية ثقافية وفكرية أيضا ، هذا فضلا من الهابشية الاجتماعية التى تتمثل في أن الغالبية الساحقة من هؤلاء الزرايين اما انهم

---

(\*) ينتسب هؤلاء للواحات الداخلة وبخاصة لبلدة « الشيخ وآلى » و « الهنداوى » ، « والوافية » ، « وعزبة عين القضاء » ، « وعزبة النباة » .

قد طردوا من أماكن أخرى كانوا يعيشون فيها قبل ذلك ( كمنطقة امبابة ) .  
أو هاجروا من مناطق أخرى ريفية ينتسب معظمها الى الوجه القبلى  
( محافظات اسيوط وسوهاج بصفة خاصة ) . فإذا وضعنا في الاعتبار  
أن بعضهم يتهبون من اثبات مواليدهم للاملات من اداء الخدمة العسكرية  
ويحرمون بالتالى من استخراج بطاقات لاثبات هويتهم ، لاصح ذلك  
عن وجود هاشية سياسية لا شك فيها .

وليس بخاف أن الهاشية الاجتماعية تسير في معية مع الفقر  
والامية والمرض وترجع الى سوء الاحوال الاقتصادية والاجتماعية والسكنية  
والبيئية التي يعيشون في ظلها .

( ز ) قام الباحث باعداد استمارة بمقابلة ( استمارة استبيان )  
وتم تجربة الاستمارة قبل نزول الميدان ، ومن ثم تم اعداد الصحيفة التي  
تضمنت نحو ٧٥ سؤالاً . ويمكن من خلال مناقشة نتائج الدراسة التعرف  
على العديد من الملامح السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة بهذه  
الشريحة ، هذا فضلا عن الاستمارة بكبار السن والملاحظة وغيرها من  
الادوات .

### ثالثا : نتائج الدراسة الميدانية :

( ١ ) أبرزت الدراسة الميدانية أن ٤٤٪ من أرباب الاسر الذين طبقت  
عليهم استمارة الاستبيان ( ٣٣٩ من أرباب الاسر ) تبلغ أعمارهم من ٢٠ : ٤٠  
سنة أى أنهم في صفوف قوتهم الانتاجية . هذا في الوقت الذي تعد فيه جمع  
القابلة من الاعمال غير الفنية التي لا تحتاج الى تكريس هذه الطاقة  
البشرية لاتجازها ، كما أن تكريس هذه القوة الشابة هنا يمسد اعدارا  
لطاقة كبرى في المجتمع .

(ب) اوضحت الدراسة ان جميع أفراد العينة الذين طبقت عليهم  
استمارة المقابلة قد هاجروا من محافظات أخرى اذ أن ٨٦٫٤٪ قد هاجروا  
من محافظة اسيوط ( مركز البدارى خاصة ) ثم محافظة سوهاج ٥٫٩٪ ،  
كما انضخ أن ٥٦٫٦٪ من المهاجرين قد نزحوا للعاصمة للبحث عن عمل  
أى أن البطالة الدائمة أو المتعنة كانت من الاسباب الرئيسية الدافعة  
للهجرة .

( ج ) ان النسبة الغالبة من السكان يفتنون بالمسيحية ولعل هذا

يفسر من جهة أخرى تربيتهم للخنازير ، وبيعها لبغى التصليبين في العاصمة ،  
اذ ان تربية هذا الحيوان وأكله من المحرمات في الاسلام .

( د ) تنتشر الامة بين المشتغلين بجمع القمامة فتصل الى ٨٣٢٪  
من مجموع افراد العينة كما ان ٩٠ ٪ من المعولين ( الزوجة والاولاد )  
ليسوا بأحسن حالا من آباؤهم فهم يجهلون كذلك القراءة والكتابة .

( هـ ) بلغت نسبة المتزوجين في العينة ٩٦٨٪ ، فالسن المبكر  
هي السن المفضلة للزواج الذي يتم عادة ما بين ١٥ — ٢٠ سنة بالنسبة  
للذكور والاناث ، ويساعد على ذلك عدم التقيد بوجود شهادات للميلاد  
او اثبات الشخصية . وأن كل من الضروري أن يتم حضور رجال الدين  
لاداء ألقوس الدينية المتعارف عليها ، والملفت للنظر أن ٢٥٨٪ من  
الزوجات قد تزوجن في سن تقل عن ١٥ عاما . ويتشى مع السن المبكر  
للزواج ازدياد معدل الخصوبة ، اذ أن ٥٥٪ من أسر العينة يتراوح  
عدد اولادهم من ٤ الى ١٠ اولاد .

وقد اتاد ثلثا مجموع الاسر المدروسة بأن ٦٨٨٪ لا يستخدمون وسيلة  
من وسائل منع الحمل . من بين هؤلاء اتاد ٥٨٨٪ بانهم لا يرحبن بهذه  
الوسائل لرغبتهم في الانجاب . وهكذا تتعامل الظروف الاجتماعية لتشكل  
ملايح هابشية هذه الشريحة في ظل بطالة مقننة وهي تزيد من انجابها  
لكي يعيش اولادها في ظل ظروف العمل في المهنة نفسها والزواج من المعصية  
ذاتها . وهكذا تستمر دورة حياة الاسر دون توقف .

( و ) اصبحت الدراسة الحقلية أن الاسر تستعين بعمرية يجرها  
عادة ثلاثة حمر لنقل القمامة ( ٩٨٨٪ من الاسر المدروسة )  
ويرجع ذلك الى صعوبة الجبيل مما يستلزم الاستعانة بأكثر من حمار  
لجر العربة ولا يشكل ذلك أعباء تذكر لوجود فضلات القمامة التي  
تقدم للحيوانات التي تبعد عادة غاية في الضعف والهزال ابان سيرها ،  
وتتولى الاسرة نزع القمامة داخل المنزل نفسه ( ٩١٤٪ من مجموع  
الاسر ) ويتم التعامل مع الملطمين الذين يتولون شراء الفضلات المصنفة  
بائمان بخسة ، بينما يشعر الزراب عادة بالظلم الاجتماعي والاحباط ،  
غير انه لا يملك فكاكها من هذا التنظيم « الهرمي » كما انه ليس بمقدوره  
الحراك بين أكثر من تاجر أو معلم لاحكام هؤلاء التجار السيطرة على  
السوق .

( ز ) وقد افاد ٩٠.٩٪ من افراد العينة بأنهم يتعاملون من خلال وسطاء وهم شريحة ( الواحية ) التي تقوم بتحصيل المبالغ المالية من أصحاب المساكن ولا تؤدي عملا يذكر سوى تسليم القمامة للزراب ، لينقلها بدوره الى زربته لفرزها وتصنيفها ، كما افاد ٦٩.٣٪ من افراد العينة بعدم ترحيبهم بوجود هؤلاء الوسطاء ، وقد اتضح ان أكثر فضلات القمامة هي الورق ( ٤٠.٩٪ ) ثم الخضر والفلكمة ( ٤٠.٤٪ ) .

( ح ) غير خاف أن الظروف البيئية السيئة التي تعيش في ظلها هذه الشريحة وأمتلاء الأزقة والشوارع بالفضلات الحيوانية والادمية والنباتية ، تؤدي لتكاثر الحشرات وتساعد مع وجود الحيوانات داخل الزرائب ونقص المياه على انتشار الرائحة الكريهة داخل المنطقة . وقد اتضح ان ٣٣.٩٪ من « الزرايين » مصابون بامراض وأن أكثر هذه الامراض شيوعا هي امراض الجهاز الهضمي . كما ان ٢٨.٤٪ من الاسر المدروسة بها أشخاص مرضى . كذلك وان أكثر الامراض السائدة بين افراد الاسرة هي امراض الجهاز التنفسي ثم الجهاز الهضمي ، اى أن العمل في جمع القمامة يشكل خطرا أساسيا على صحة هذه الشريحة وباتى افراد الاسرة . هذا فضلا عن أصابة الجميع دون استثناء بسوء التغذية لنقص الرعاية الصحية وانتشار الادمان على المكيفات .

ومن الملفت للنظر أن المنطقة تكاد تخلو تماما من وجود مستشفى عام غير أن هناك بعض الاطباء ( الخصوصيين ) حاولوا اقامة عيادات بالمنطقة لعلاج المرضى نظير مبالغ زهيدة .

ومن الطريف كذلك أن إحدى الراحيات الفرنسيات التي يربو عمرها على الثمانين تقيم في المنطقة وقد كرست جهودها لتعويدهم على عادات النظافة وحثهم على الاهتمام بأنفسهم ولولادهم .

( ط ) تحدث المشكل بين هؤلاء الزبالين وعمال البلدية وعساكر المرور بسبب ما يترتب على مرور عربات القمامة المحملة بالطنان القاذورات في شوارع العاصمة ، وتساقط بعض الفضلات بفعل الاتربة والرياح ، وقد ذكر ٥٤.٩٪ من افراد العينة بأنهم يقومون برفع رشاشات لعمال البلدية وعساكر المرور لتسهيل أمورهم .

ولهذا يتطلع أكثر من نصف ارباب الاسر المدروسة ( ٥٨.٤٪ من المجموع الكلى لتغيير مهمتهم والعمل في قطاع الصناعة أو قطاع الخدمات

رغبة منهم في الابتعاد بأنفسهم عن المشاكل العديدة والتي تنتج عن العمل في جمع القمامة . بينما يقترح ٧٠.٨٪ أن تقيم الدولة مصانع للتعبئة حيث يقومون بالعمل بها نظير أجور ثابتة تضمن لهم ولأسرهم حياة أفضل إذ أن ٨٦.٣٪ لا يشتركون في التأمينات والمعاشات فإذا تعثرت ظروفهم المهنية انقطعت سبل العيش بهم وبأسرهم التي يتولون رعايتها . ومع أن بعضهم يذكر أن هناك « رابطة » يمكن أن تساعد في حالات المرض والوفاة ، إلا أن دورها لم يتضح بعد . بينما يلجأ نحو ٥٠٪ من أسر المينة إلى الاشتراك في جمعية خيرية تكفل المساهمة في حالة الكوارث ، والازيمات .

(د) لا تكن المشكلة الأساسية في حياة هذه الشريحة في ضالة دخولها الشهرية إذ أن الأسر التي تزيد دخولها عن مائة جنيه قد بلغت ٢٠.٤٪ من مجموع الأسر . بينما كانت هناك ٤٩.٥٪ من مجموع الأسر تتراوح دخولها من ٦٠ جنيه إلى أقل من ١٠٠ جنيه . ولم تزد نسبة الأسر التي تقل دخولها عن عشرين جنيهًا عن ٧.٠٪ من مجموع أسر المينة ، بل في ظروفها البيئية والسكنية والمعيشية والخدمية السيئة للغاية .

(ق) أن المشكلة الأكثر إلحاحاً — كما رأها أفراد العينة — هي نقص المياه النظيفة ( ٣١.٧٪ من مجموع الاستجابات ) ، يلي ذلك مشكلة الكهرباء ( ١٨.١٪ ) ثم المدرسة ( ١٦.٩٪ ) والمستشفى ( ١٥.٣٪ ) والمواصلات ( ١٢.٩٪ ) .

غير أن سلبية هذه الشريحة تظهر في القاء العبء على الدولة للقيام بالإصلاحات اللازمة دون محاولة السكان المساهمة في إجراء هذه الإصلاحات .

#### استخلاصات :

تعرضت الدراسة الراهنة لشريحة هابشية تعمل بجمع القمامة من بعض أحياء العاصمة — لاسيما في الأحياء المتخلفة والمتوسطة الحال — والتي تسكن بدورها في أطراف العاصمة حيث تشكل مجتمعا هابشيا في تلك المنطقة .

وقد اوضحت الدراسة الراحنة ان هذه الشريحة تشمل المهاجرين من الوجه القبلى ( لا سيما مدينة أسيوط ) ، ممن قاموا من البطالة في موطنهم الاصلى هرعوا الى المدينة . ونظرا لوجود اقارب لهم يمتنون هذه المهنة وقلة خبرتهم بالعمل الانتاجى والصناعى وقلة حنكتهم ، فقد فضلوا الاشتغال بجميع القمامة كحرفة لا تستلزم أية خبرات او مهارات حرفية ، ولما كانت عملية نقل وفرز القمامة تتم بطريقة بسيطة وبدائية ، بينا تتركز على الفضلات الحيوانات والدواب فان الجهات المستولة تلجا الى اجلائهم منطقة لآخرى ، كلما اتسع النطاق العمرانى للمدينة وامتد الى الاطراف .

وقد سكن هؤلاء في منشية ناصر وتوالتوا حول جبل المقطم فسكنوا في بعض الاجزاء المهددة ، وحول قاعدته ، وشيدوا مساكن من الصفيح والاحجار بصورة بدائية تكاد تخلو نهائيا من المنافع الاساسية والمرافق الحيوية .

وقد حرمت المنطقة الهامشية من أبسط الخدمات والمرافق فاصبح الناس يعيشون في شبه عزلة ايكولوجية وصاحب هذه الهامشية الحضرية هامشية اقتصادية دفعت بهم في يد شرائح من المستغلين سواء من الواحية او كبار التجار والعلمين فضلا عن اضطرابهم لدفع رشاوى لمساکر المرور او اتلاوات لعمال البلدية وغيرهم لتسهيل مرورهم في شوارع المدينة .

وهذه الشريحة هامشية بكل المقاييس ، ففى غياب التأمين على الحياة او الانضمام لنقابة او رابطة تدافع عن حقوقهم تجاه غيرهم وفي ظل الظروف الصحية والبيئية السيئة ، يصبح هؤلاء لقبة سائفة في غم قوى ضاغطة لها مصالح احتكارية .

وتنصع الظروف المعيشية عن أن المنطقة تكاد تخلو نهائيا من **المرافق والخدمات** ناهياها النقية والكهرباء والمستشفى والمدرسة ومكتب البريد او مكتب الصحة والجمعية التصاوتية الاستهلاكية غير متوفرة بل ان اغلب الزرائب تكاد تخلو من دورة المياه والحمام والمطبخ وهى بهذه تنفق لأبسط الضرورات الانسانية وعادة ما يتم شراء المياه من خارج المنطقة باستخدام العربة التى تحمل القمامة باستخدام الفناطيس او البراميل ، نظير مبالغ نقدية تصل الى ٥ قرشا للبرميل الواحد .

أما وقت الفراغ فيقتضيه الأفراد في المهوى الصغير داخل المنطقة أو في الاستماع للذياع ( الذى يقتنيه ٥٨٦٪ من أفراد العينة ) . ومن الملاحظ أن ٤٩٪ من أرباب الأسر ينفقون ربع دخولهم فأكثر على المزاج . الأمر الذى يدل على غيبة الترشيد في الإنفاق . كما اتضح أن الدخل يعتبر كافيا بالنسبة لـ ٥٩٪ من أفراد العينة بينما يعد غير كلف بالنسبة لـ ٤٠٪ من المجموع كما اتضح أن ٧٢٪ من الأسر تطلق الكثير من نصف دخلها الشهري على الطعام ، الأمر الذى يعكس الانشغال بلقمة العيش فحسب .

وقد تسببت الأمية وازدياد المسافة الاجتماعية بينهم وبين سكان المدينة في إحساسهم بالدونية والإحباط والظلم الاجتماعى (٥) . هذا فضلا من حرمانهم من بعض حقوقهم الاجتماعية والسياسية نتيجة لإهمالهم في المطالبة بحقوقهم وتقصيرهم في استخراج ما يثبت هويتهم وعدم وجود شهادات رسمية لاثبات الزواج . الأمر الذى يؤدي الى تعميق إحساسهم بالغربة مما يؤدي لتنامسهم عن المشاركة السياسية أو المشاركة في عضوية هيئات رسمية .

وقد لاحظ الباحث إقبالهم على تعاملات المخدرات بصورة ملفتة للنظر وابتعادهم عن المشاركة في تنمية المجتمع المحلى الذى يعيشون فيه . فإذا أضفنا إلى ذلك هامشيتهم الثقافية التى تتبئل في وجود ثقافة « نرجسية » مخالفة للثقافة الحضرية ، التى يتبلور من خلالها نسق القيم في المجتمع الحضرى ، اتضح لنا تعدد صور الهامشية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية لهذه الشريحة من شرائح المجتمع التى تعيش في العاصمة حياة هامشية مريدة .

---

(٥) يمكن الرجوع كذلك في الإبعاد الاجتماعية والمسافة الاجتماعية الى : أحمد أبو زيد — البناء الاجتماعى ج ٢ — الاسكندرية — ١٩٦٧ — الفصل الأول .

«المصادر»

(\*) سبق نشر هذه الدراسة في الكتاب السنوى لمعلم الاجتماع —  
أكتوبر ١٩٨٤ .

Ch. winick, Dictionary of Anthropology. N.Y. 1958 pp. — ١  
38, 343.

D. L. Sela (Ed.) International Encyclopedia of the Social — ٢  
sciences, U.S.A. 1972 vol. 11, 12.

David Harvey. Social Justice and the City, Great Britain, — ٣  
1979, pp. 127 : 155.

Cities of peasants, Great Britain 1978, pp. 136 : 170. — ٤

D. H. Sills (Ed.) Op. Cit. Vol. 1, 2 pp. 264-268. — ٥

G. Osipov., Sociology, 1969, p. 2. — ٦

Chesnokov and Karpushin, Man and Society Moscow, — ٧  
1966, pp. 16, 17.

Government strategies for urban areas and community — ٨  
participation In unicef Assignment children social planning  
with the urban poor Suisse 1. 82.

٩ — أنظر المقال الذى تحدثت فيه Unni Wikan عن الحياة وسط الفقراء  
في القاهرة في :  
Possibilities of change in living conditions.

حيث ناقشت آراء أوسكار لويس عن هامشية الفقر والاضعاف الاجتماعية التي يعيشون في ظلها .

١٠ — ستار الفقر — خيارا، أمام العالم الثالث — ترجمة أحمد بليغ تقديم  
إسماعيل صبرى عبد الله — القاهرة — ١٩٧٧ ص ٣٤ ، ٣٥ ، ١٢٤ .

١١ — عزت حجازى — الهجرة الى مدينة القاهرة . المركز القومى للبحوث  
١٩٧١ — ص ٢٧ ، ص ٣٣ .

١٢ — مجتمع المدينة في البلاد النامية — ترجمة محمد الجوهري تصدير  
بغدادى . القاهرة — ١٩٧٣ — ص ٣٨ ، ص ١٥٦ ، ص ٢٢١ .

١٣ — محمد عاطف غيث — دراسات أنثروبولوجية اجتماعية ، ١٩٦٥ — ص  
١١٩ : ص ١٥٢ .

١٤ — التنمية والتخلف — القاهرة — ١٩٨ — ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ .

١٥ — W.A. Shack. Urban Ethnicity In-Ethiopia (In) A. Sout-  
hall (Ed.) Urban Anthropology N.Y. Oxford Univ. Press.  
1978, pp. 25, 276.

١٧ — التحضر في العالم الثالث في : الاقتصاد والمجتمع في العالم الثالث  
ترجمة وتعليق محمد الجوهري وعلى إيله وأحمد زابد — القاهرة —  
١٩٨٢ — الفصل الثالث عشر .

١٦ — Urbanization in Egypt. Rhe Amer. Univ. Cairo, The Social  
Res. Center. Without, p. 313.

١٧ — التحضر في العالم الثالث ( في ) : الاقتصاد والمجتمع في العالم الثالث  
المصدر السابق — الموضع نفسه .

١٨ — Janet, L. Abu Lughod, Research priorities for the study  
of urbanisation and development, The Symposium on  
social Research for development, Social Research cent,  
Univ. in Cairo, May 1981.

- ١٩- القاهرة — ١٩٧١ — ص ٢٧ ، ص ٣٣ .
- ٢٠- الهجرة الى مدينة القاهرة — المجلة الاجتماعية .
- ٢١- المدينة — دراسة في علم الاجتماع الحضري — القاهرة ١٩٨٠ ص ٢٢٣ ، ص ٢٩٠ .
- ٢٢- U.S. Dept. of Commerce, National Technical information service, Conversion of solid waste to fuels. C.B.B. Enham, Et. Al Nayal weapons center, China Lake, California, Jen, 1976.
- ٢٣- Joint Housing projects Committee, International Development Association, Progress Report, Solid waste Management practices in Cairo, Submitted to Governorate of Cairo 1980 (Unpublished).
- ٢٤- جريدة الاحرار العدد ٢٣٩ في ٢١/٢/١٩٨٣ من مجلة المختار ريدرز دايجست (نوفمبر ١٩٨١) .

### ٣ — الفقراء في المدينة

#### دراسة أنثروبولوجية في حي بولاق

استخدمت الدراسة ألى بين إيدينا أسلوب الملاحظة بالمعيشة في دراسة الفقراء في حي شعبي حيث قامت بها الباحثة النرويجية Unni Wikan من حي بولاق بمدينة القاهرة وذلك بمساعدة مركز البحوث الاجتماعية التابع للجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ومجلس البحوث النرويجية للعلوم والانسانيات وقامت الدراسة الانثروبولوجية بانجاز العمل الميداني من خلال قضاء ما يزيد على ١٠ شهور بالحي المذكور (١) عاشت فيها الفقراء مستخدمة الملاحظة بالمشاركة مع السؤال عما يفض عليه من ظواهر .

وقد بدأت الباحثة النرويجية الدراسة الحقلية بعد أن قضت مايقرب من عامين في مصر لتعلم اللغة العربية كما اجتازت كذلك « كورس مكتب » لدراسة اللغة العربية بالجامعة الأمريكية في القاهرة حيث مكنتها ذلك من العمل — دون مترجم — مع استخدام تكتيكات الملاحظة بالمعيشة .

وقد هفت الباحثة الى دراسة الفقراء في أحد احياء القاهرة لاختبار الفقر كما يختبره الفقراء أنفسهم كما كتبت تنشد كذلك الى تحليل الظروف التي تصاحب الفقر كما يراها الفقراء أنفسهم وتعتبر الباحثة من ذلك بقولها :

«In this analysis I choose my point of departure the poor people's own understanding of their life situation».

وهنا يحاول الانثروبولوجي — من خلال المشاركة — أن يفكر كما يفعل الناس أنفسهم في المجتمع الذي يقوم بفرسته .

---

(١) من سبتمبر حتى ديسمبر ١٩٦٩ ومن نوفمبر ١٩٧٠ حتى يناير ١٩٧١ ، وشهر أغسطس ١٩٧٢ .

«The anthropologist tries through participation to learn, to think as «people do themselves».

وقد كونت الباحثة صداقات ، وشاركت في أنشطة محلية وحاولت أن تتصرف كما يتصرف الناس وقد اضطررها ذلك أن ( تقطع ذاتها ) عن أسلوب حياتها التقليدى الذى اعتادت عليه ، ومع أن هذا لم يكن يسيراً فإن الباحثة الانثروبولوجية قد وضعت نفسها في وضع استعداد لتمثل Assimilate الثقافة المصرية الشعبية ودراسة فقراء بولاق ومشاركتهم حياتهم المعيشية بقصد التعرف على ملامح الفقر ، كما حاولت المساهمة بعد ذلك في تحسين ظروف هؤلاء الفقراء . وقد تعرفت في البداية على إحدى أسر الحى - من طريق صديق - وتتكون هذه الأسرة من الزوج ، والزوجة وستة من الأولاد تتراوح أعمارهم بين ٢ : ١٨ سنة ، وإثابت الباحثة خلال الشهر الأول مع هذه الأسرة في غرفة واحدة وكان عليها أن تشارك المفاتيح البالغات من أعضاء الأسرة مرآشهن ، ولم يكن ذلك يرضى الباحثة بأى حال من الأحوال فلم يكن الفراش نظيفاً وكان كذلك عليها أن تشارك الأسرة في طهيها الحدود ( حتى لا تؤذى مشاعرهم ) وقد اعتادت أن تشاهد بعينيهما الحشرات وهى تزحف تجاه أطباق الطعام ( ورغم ذلك كانت مضطرة أن تأكل منه أسوة بهم ) حيث كانت تتنعم نفسها بأنها لو قدر لها أن تولد بينهم لكنت سنشاركهم قبيهم وماكلهم ومشاريتهم ، غير أنها سارعت إلى البحث عن ( شقة خاصة ) في مرحلة لاحقة فكانت تكتفى بقضاء اليوم كله في الحى ثم تفاديه إلى مسكنها الخاص لكتابة التقارير والخلود للراحة في نهائية اليوم .

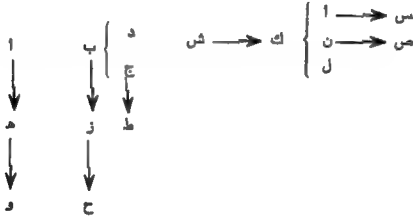
ومن خلال الأسرة ( الأولى ) استطاعت الباحثة أن تتعرف على بعض الجيران والأقارب ( الذين يسكنون في حى بولاق ) وسرمان ما كونت صداقات مع أسر المنطقة الأمر الذى حفز الأسرة ( الأولى ) على تحذيرها من التردد عليهم ولم تكن هذه النصيحة مخطئة بأى صورة من الصور فقد كان من شأنها أن تزيد من عزلة الباحثة عن المجتمع المحلى مما يضطرها إلى الاعتماد على الأسرة المضيفة بصورة كاملة ، وقد تمكنت الدراسة من اقتناع الأسرة الأولى بأنها تخطط بالأسر الأخرى لتتمكن من إتقان اللغة وبأن دراستها للمنطقة تقتضى منها أن توزع علاقاتها بالتساوى على هذه الأسر ( وهى جبررات ثانوية ) وكانت كل أسرة تسألها دائماً : هل تؤثرها على باقى الأسر في المنطقة ؟ وأين كانت قبل حضورها ؟ ومن قبلت ؟ ولمساذا

تزور غيرها من الأسر ؟ وتمكنت في نهاية الأمر من أن توطن علاقتها بها  
بـ ١٧ أسرة ممثلة للشرائح الدنيا التي تولفت علاقتها بهم في المنطقة  
(اقرأ الحى) .

وقد ذكرت الباحثة أنه بينما كان من اليسر عليها أن تتصل بالاناث  
والاطفال كان الأمر صعبا بالنسبة للرجال الذين لم يكن من السهل أن  
تخلط بهم وتتعمق في مهم دوائع سلوكهم بل كانت تتعرض كثيرا لمعاكساتهم .

وغنى عن القول أنها عاشت أحداث الحى يوما بعد يوم وعاشت حياة  
الأسر ساعة بساعة ، ولحظة بعد لحظة .

والشكل الثانى يوضح أسلوب الاتصال الذى اتبعته الباحثة والذى  
تكونت بهتضاه مجموعة الأسر الفقيرة التى عاشتها الباحثة في الحى  
المتخلف :



وقد برزت الباحثة انتقلها في وقت لاحق الى شقة مستقلة برقيتها  
في أستغلال وقتها على الوجه الأمثل وهو مبررا يخفى رفضها للبعيدة داخل  
الحى ومشاركتها للفقراء وكانت تترك المنطقة مساء كل يوم لتسجيل  
ملاحظات الميدانية باستثناء بعض المناسبات التى استحسنمت الباحثة أن  
تقضى أمسياتها مع أسر المنطقة هذا بينما عزفت الباحثة عن تسجيل أى  
ملاحظات أثناء وجودها في الميدان حرصا على عدم إثارة مخاوف الناس أو  
احساسهم بأن حركاتهم المعتادة محسوبة عليهم .

وقد درست الباحثة المصراع بين الناس في الحى ، وسجلت كل ما

وقع تحت بصرها من الوان الشجار ، والشحاتم ، ومراك الاطفال فضلا عن اداء الفروض الدينية في المنزل ، والتراور بين الاسر ... الخ .

وقد قامت الباحثة في النهاية بمساعدة بعض الاسر الفقيرة من خلال تقديم الملابس والهدايا داخل الحى وذلك من واقع المساعدات التى حصلت عليها من السفارة الترويجية بالقاهرة ، كما سجلت الصعوبات التى قابلتها في الميدان ومنها :

١ — معاكسات الرجال والاطفال لها التى كانت تصل في بعض الاحيان الى حد توجيه الالفاظ الجارحة والتأبية لها او تخذلها بالحجارة والخضروات الفاسدة .

٢ — الشك في هوية الباحثة الامر الذى وصل في بعض الاحيان — ولدى بعض الامراء — الى حد الاعتقاد بانها جاسوسة ( تريد ان تنقل ما تراه للعدو الصهيونى ) .

٣ — تنمر اعضاء المجتمع المحلى ممن لم توزع عليهم الملابس والهدايا او اولئك الذين ظنوا بان غيرهم قد نالوا من المساعدات او الهدايا اكثر منهم شخصيا .

### نقد الدراسة والتعقيب عليها :

١ — أبدت الباحثة الانثروبولوجية امتعاضها الواضح من اساليب الحياة ومقومات المعيشة — كالطعام والنوم وغيرها من صور حياة الفقراء — في المجتمع المحلى — ومع أنه ليس من المفروض أن يحث الباحث الانثروبولوجى الناس على قبول الوضع الراهن أو بوصيهم بعدم السعى الى تحسينه فانه لا ينبغي من ناحية اخرى أن يبدى تألفه وامتعاضه واحتقاره لمجريات حياتهم المعيشية ، فالباحث هنا يدرس الشرائع الفقيرة وقد حدد هدفه من الدراسة في التعرف على اساليب الحياة الاجتماعية والثقافية للفقراء حيث تذكر الباحثة :

«First I want to open the eyes....»  
«to the humiliatting human conditions»  
«Created by poverty : to show how»  
«Poverty pervades and vulgarizes all»  
«aspects of life .... and cripples»  
«individual potential for development and happiness».

وهذا يعنى أن استخدامها لبعض العبارات الوصفية والتي تعبر  
فيها عن سوء الاوضاع يفسر امتعاض الباحثة في الوقت نفسه الامر  
الذي يظل من قبية هذه الملاحظات مثل :

«The bed was full of fleas, and I itched like mad whilst being  
almost unable to move etc.....»

It was not uncommon .. for the bread to fall into their child-  
ren excrement etc.....

٢ — اتسبت بعض اوصافها بالعمومية والارتكاز على الاسلوب الروائي  
دون ان تنصل في وصف انماط السلوك التي على اساسها توصلت  
الى مثل هذه الاحكام ففي ملاحظاتها عن الاثنين ٧ أغسطس ١٩٧٢  
سجلت :

- « يا الهى اننى مريضة متعبة من هذه الحياة » .
- « مشاجرات وشتمت ... أفترأ ونفاق » .
- « وامجاب بالنفس وقذارة — بعض الصغار يتشاجرون » .
- « الصباح يتصاعد في كل مكان ... أصوات ومشاجرات » .
- « لاته الأسباب بين الكبار والصغار حيث يختلط الحابل بالنابل » .
- ... الخ .

٣ — كانت الباحثة **تؤجل** تسجيل ملاحظاتها الميدانية في بعض الاحيان  
لعدة أيام ومن المعروف أن ذاكرة الباحث لا تستطيع أن تحتفظ بكل  
شيء فضلا عن اختلاط الوقائع خلال الفترة التي يتكاسل الباحث

نبيها عن تدوين ملاحظاته الحقلية اليومية مما يؤثر على دقة الملاحظات .

٤ — ذكرت الباحثة لأمراء الأسر أنها تريد أن تتعلم اللغة العربية أساسا وأن هذا هو الهدف الحقيقي من احتكاكها بالمجتمع ومن المعروف أن هناك أخلاقيات Ethics بعينها ينبغي أن يتقيد بها الباحث الأنثروبولوجي . ولا يجوز له أن يخفى هويته وغرض بحثه إلا في أحيان معينة كالحرص على حياته كما في حالة دراسة ومعايشة الجماعات المتطرفة أو لحرجه إزاء بعض الموضوعات الحساسة كالسلوك الجنسي أو الشفوذ الجنسي ولا يجب أن يتورط الباحث في تضليل الناس بانتحال أدوار أو مكائات معينة أو بأن يعدهم بأن بوسمه أن يفعل الكثير دون أن يكون هذا في مقدوره .

٥ — إن هدف الدراسة الحقلية في مجال الأنثروبولوجيا الحضرية وأنثروبولوجيا التنمية لا يتمثل في تقديم بعض الملابس أو الهدايا بصورة غير مخرّوسة فقد يؤدي ذلك في الواقع إلى زيادة معاداة الناس للباحث — كما حدث بالنسبة للباحثة — لاحتساسهم بأنه لم تراعى العدالة الاجتماعية في التوزيع ، ومن الممكن في هذه الحالة أن يقوم الباحث بدراسة الشرائع الفقيرة دراسة تفصيلية — مع الارتكاز على معايير معينة في تحديده لها لضمان عدالة التوزيع . أو أن يتولى مساعدة الناس من خلال المؤسسات الرسمية المحلية القسائية في المجتمع المحلي كما أنه من المفصل أن يستعاض عن المساعدات المادية الجزئية بلباداد الأسرة بمشروعات إنتاجية تؤدي دورا أساسيا في تحويل الأسر المعتمدة إلى أخرى منتجة .

ومع هذا فإن الدور الجريء الذي قامت به الباحثة باستخدام تكتيكات الملاحظة بالمعايشة من خلال تعلم لغة المجتمع المدروس ، والاحتكاك بالمجتمع المحلي والتعرف بالأسر والاتصال بها والحياة معها ورؤية الفقر وملابساته من خلالها ليس بالمهمة اليسيرة على وجه الإطلاق وبخاصة أن الباحث هنا سيدة أجنبية دخلت إلى هذا المجتمع في مرحلة حساسة من تاريخه ( اتسبت بوجود ما يعرف بحرب الاستنزاف مع إسرائيل والشك في هوية الاغراب والاجانب إبان ذلك الوقت لاحتمال تحيزهم مع الطرف الآخر في القتال

الدائر بين اسرائيل والمجتمع المصرى ) مما أضاف الكثير من الشكوك على  
مهمة الدراسة الانثروبولوجية فى أحد المناطق المتخلفة Slum Area  
بالمدينة حيث يسود الفقر ، والامية ويزداد سخط الشرائح الدنيا نتيجة  
للظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية التى يعيشون فى ظلها من ناحية  
ويطمع عجلة التنمية الاجتماعية فى هذه الاحياء عنها فى باقى أجزاء المجتمع  
من ناحية أخرى .

وقد حاولت الباحثة كذلك المقارنة بين هذه الدراسة الحقلية فى مصر  
وتلك التى أجرتها فى عمان خلال عام ١٩٧٤ .

---

(\*) أنظر :

Unni Wikan .. life Among the poor in Cairo ..

TABISTOCK publications.



## الفصل السادس

### « الانثروبولوجيا الصناعية »

الانثروبولوجيا الصناعية هي دراسة الظواهر المرتبطة بالتصنيع والمدن الصناعية باستخدام المناهج والادوات المتعارف عليها في علم الانثروبولوجيا .

ولا جدال ان الانثروبولوجيا تقتدرت طويلا قبل أن تحاول اقتحام ميدان المجتمعات الصناعية المعاصرة فقد ظلت الانثروبولوجيا في تملتها «الرومانسى» بدراسة المجتمعات البدائية والبلدان المتخلفة اقتصاديا ولعل هذا يفسر العبارة التى قالها مالينوفسكى Malinowski «تلميذه» رشاردز Richards : « انه من الاجدر به أن يهتم بدراسة الحياة البدائية لا الحضرية » (١) .

منى المجتمعات البدائية يتوفر التجانس والعزلة والترايط والعلاقات القرابية الوثيقة بينها يؤدى التصنيع والتحضر الى زيادة الحراك ويتسع المجال للمزيد من التحولات فى البناء الاجتماعى (٢) . وقد وجد علماء الانثروبولوجيا الذين صرفوا النظر طويلا عن الدور الحيوى الذى يلعبه **التفهم الاجتماعى** — فى المجتمعات المحلية الصغيرة المنعزلة — من واجبهم التركيز على **التفهم البنائى** الذى يعد من أبرز المظاهر فى المجتمعات الصناعية الحديثة ولذا اهتم هؤلاء العلماء **بالهجرة** الى مناطق الصناعة والعلاقة بين عمال الصناعة ومواطنهم الاصلية والعلاقة بين البنىات الاصلية والفئات العرقية الوافدة الى المناطق الصناعية ، والتحول الذى يلحق **البناء التقليدى** نتيجة لدخول الصناعة ، وقد تمت معظم هذه الدراسات الحقلية فى مجتمعات العالم الثالث وقادها بعض الرواد امثال : ميشيل Mitchell (٣) ، سوثال A. Southall (٤) ، بانتون M. Banton (٥) ، روث بنديكت R. Benedict (٦) ، كينت ليتل K. Little (٧) ، وغيرهم من العلماء .

وبينما ذهب أصحاب المذهب التطورى أو الارتقائى Evolution الى أن المجتمع الصناعى بشكله الموجود فى غرب أوربا يمثل قمة التطور (٨) اعتقد أصحاب المذهب الانتشارى diffusionism أن الانتشار الثقافى يتم من المناطق المتقدمة صناعيا والأكثر رقيبا الى تلك التى تنفتقر الى خصائص التصنيع ، وبحفنا هذا الاتجاه على الاعتماد على التاريخ لمعرفة نوع التغيرات التى تحدث دائما عن طريق الاحتكاك ودراسة الاتصال بين الجماعات المتباعدة وبخاصة لدى الجماعات القبلية فى أفريقيا والتى تمر الآن بعملية تحول سريع ، ويرى البعض ضرورة إعادة توكيب الأوضاع التى كانت سائدة قبل أن تطرأ المؤثرات الخارجية أو تحديد ما سسمى « بنقطة الصفر » zeropoint لتحديد الأحداث اللاحقة عليها حيث تتفاوت استجابة المجتمعات المحلية لهذه المؤثرات بين المحافظة قدر الإمكان على الكثير من الملامح التقليدية وبين محاولة اكتساب ملامح النمط الصناعى (٩) .

والتصنيع بالنسبة للدارس الأنثروبولوجى لا يدل على نوع التنظيم الاجتماعى الذى يسود بواسطة المصانع على مدى متسع فحسب بل يعنى كذلك جميع الآثار المجتمعية التى تلحق البناء الاجتماعى نتيجة لدخول الصناعة . فالتصنيع يدل على الآثار السياسية والديمقراطية والاقتصادية التى تنتج من التغيرات التكنولوجية فى مجال الإنتاج حيث تتضمن هذه الآثار — من بين أشياء أخرى — وجود السوق « المفتوح » والسعى الرشيد للحصول على الربح ، وازدياد أهمية المنظمات والهيئات الرسمية ، وانتقال الأهمية الاقتصادية الى السوق ، وظهور المدن الصناعية ومرونة الحراك بين الطبقات .

والتصنيع يثير على هذا الأساس الى القطاع الثانى من قطاعات الإنتاج الذى يتضمن الاستخدام المنظم للقوة الآلية للإنتاج فى مؤسسات « كبيرة » الحجم تقوم على التخصص وتقسيم العمل وهو يؤدى الى اتساع مجال السوق وإلى التطور فى النواحي الاقتصادية وإلى ازدياد نسبة من يعملون بالحرف الصناعية ( وبخاصة المهن الفنية التى تستلزم قدرا من التعليم والتدريب المهنى ) وإلى ازدياد التعامل بالاجر النقدى ، ومن ازدياد التخصص الصناعى قد يشتهر المجتمع المحلى بصفة عامة بإنتاج صناعة أو صناعات معينة .

كما يزداد اتصاله بغيره من المجتمعات المحلية لتسويق المنتجات

الصناعية أو استيراد المادة الخام غير أن هذه المؤشرات لا يمكن أن تنهم في عزلة عن البناء الإجتماعى الذى تعمل من خلاله .

وقد حاول البعض دراسة التصنيع باستخدام « القهناج » ( المجتمعات القديبة أو الحديثة ) ومن أمثلة هؤلاء أنتونى لينز Leads الذى قدم تحليلا تاريخيا للمجتمعات في عدة ارتباط على النحو التالى :

١ — مجتمعات زراعية توسعية ذات اقتصاديات زراعية أساسا كبراطوريات الشرق الأدنى في التاريخة .

ب — مجتمعات زراعية تقليدية تتميز بالاقتصاد الزراعى واشكال التكنولوجيا البسيطة ومن أمثلتها دول أمريكا اللاتينية قبل الحرب ألتاة .

ج — مجتمعات صناعية مستورة في تقدمها وتتميز بالتخصص والنشاط الإنتاجى ومن أمثلتها اليابان ودول غرب أوربا .

د — الدول الصناعية « الإستراتيجية » .

وقد حاول لينز تطبيق هذا النموذج على البرازيل . وهو يمتد أن المجتمعات المتخلفة صناعيا تبر الآن بعملية تصنيع ( ثانوى أو تابع ) أما مراكز التصنيع الأساسية فتتبل في الولايات المتحدة وأوربا الغربية حيث حقق الإنسان من طريق التصنيع أهدافه المرغوبة ، وخلال فترة تنبية هذه البلدان كانت مشاركة بقية دول العالم تتبل في كونها أسواقا فقط وهذه المشاركة الهامشية لم تحدث الا تغيرا ضئيلا في بنيتها الاجتماعية .

ويذكر آدامز Adams أن التصنيع قد انتشر خارج مراكز نشأته بعد الحرب الثانية بصفة خاصة بما صاحبه من تغيرات واسعة النطاق غير أنه يلفت النظر الى أن النظام « الرأسمالى الغربى » من جهة و « الاشتراكى » من جهة أخرى لا يمثل بالضرورة أفضل ما يمكن أن تصبو اليه البلدان النامية (١٠) .

---

(١٠) وهو مقولة منطقة لبعض الدول الصناعية المتقدمة وألتي تتميز بالتوازن بين أهدافها ومواردها .

غير أن الاهبة التي يلعبها التصنيع في تحويل البيئات الزراعية الى 'خري صناعية وظهور سلسلة من الآثار اللاحقة في الانساق « التقليدية » قد شجعت العلماء الذين اهتموا بموضوع التغير ان يتخذوا من التصنيع نقطة انطلاق لدراسة الآثار الاجتماعية والتغيرات اللاحقة له وعلى الاخص بالنسبة للقيم المرتبطة بالقيمة الاقتصادية والحراك الاجتماعي حيث اهتموا بآثار التصنيع على التنظيم الاقتصادي وانعكاس هذا التأثير على النسق الديموجرافي والايكولوجي والانساق التقليدية بصفة عامة (١١) ومن بين هؤلاء العلماء فوستر G. Foster (١٢) الذي اهتم بدراسة آثار التكنولوجيا الصناعية على نسق القيم في المجتمعات « التقليدية » .

وفي حالة التركيز على المدن الصناعية ينصب الاهتمام عادة على المناطق الصناعية المحدودة التي يفترض تماثلها مع المحليات والقرى الصغيرة — التي نعرنها — حتى يمكن دراستها تمثيلا مع المدخل الانثروبولوجي — بنفس الطريقة (١٣) .

ويذكر ابراهيمسون M. ABRAHAMSON (١٤) ان التصنيع يشير الى زيادة استخدام القوة البخارية ومصادر القوة الجاهدة بالمقارنة بمصادر القوة الانسانية والحيوانية ( المرتبطة بالانتاج قبل الصناعي ) وأن التحضر كذلك يشير الى نسبة السكان الذين يعيشون في الحضر فان كلاهما يتضمن — من وجهة نظره — حراك الناس من المهن الزراعية الى المهن غير الزراعية والصناعية مع شيوع الاجر النقدي ( وبخاصة في المجال الحضري ) مما يواكبه من آثار كالحراك الاجتماعي ، واختفاء الاسرة الممتدة وتغير التنظيم الاجتماعي ، وهو يعتقد أن التصنيع والتحضر في غرب أوروبا ينطلقان معا (\*) ولكن العلاقة بينهما في دول العالم الثالث غير واضحة حيث يسبق التحضر التصنيع في بض الاحيان وينتج عن ذلك ازدهار وفقر المدن التي تنمو في الحجم ( لا في فرص العمل ) ومع ذلك فان العلاقة التاريخية بين التحضر والتصنيع قوية (\*) حتى اننا في دراسة نتائجها يصعب علينا أن نذكر متى

---

(\*) يستشهد ابراهيمسون بالمؤشرات أدلة على التصنيع والتحضر التي وضعها Cutright وتتضمن التطور التكنولوجي وزيادة معدل التعليم وتنقص حجم الاسرة ، وبالتحليل الذي قدمه Williams, Bell, Shevky من المكانة حيث تنعكس آثار التصنيع في زيادة تقسيم العمل وتنعكس آثار التحضر في زيادة عدد الاناث في قوة العمل وفي انخفاض معدل المواليد .

ينتهي الواحد ويبدأ الآخر فهما يؤديان معا الى زيادة معدل الهجرة وازدياد النمو السكاني .

ويتفق جويرج Sjöberg مع ولكتسون Wilkinson في ارتباط التصنيع بالتحضر مما يؤدي الى تضخم المدن في الدول الاخذة بالتصنيع باكبر من معدلها الطبيعي (١٥) .

ويعتبر التصنيع اساس تطوير الاقتصاد الوطنى وضمان استغلال البلاد وتعزيز قوتها الدفاعية والطبقة المساهمة في الصناعة هي الطبقة (الطليعية) في المجتمع التي تقود « الفلاحين والحرفيين وغيرهم من الكادحين » في طريق التقدم (١٦) .

وقد اهتم اتباع الانثروبولوجيا التطبيقية بالانتفاع بالمعرفة الانثروبولوجية لخدمة قضايا التنمية في المجتمع والتعرف على التحديات الثنائية التي تفرع عاتقا امام التنمية الاقتصادية والصناعية في بعض هذه المجتمعات ، وبينما حاول البعض امثال ايفانز برتشارد الكشف عن حقيقة استغلال الانثروبولوجيا التطبيقية بواسطة الادارة الاستعمارية حذر البعض الاخر من المبالغة في توجيه هذا الاتهام (١٧) .

وينظر البعض امثال بيلز وهويجر (١٨) الى ضروب التنمية الصناعية التي تقدمها الدول المتقدمة صناعيا للدول المتخلفة صناعيا باعتبارها من اشكال « الاستعمار الجديد » او تمويضا عن الظلم السابق التي تعرضت له هذه البلدان ومن بين ما استشهدوا به من افلة ما ذكره الرئيس ترومان من ان مساعدة الولايات المتحدة للدول المتخلفة تهدف الى أن تأخذ بيدها بلوغ مستوى التقدم بمعناه المألوف في الولايات المتحدة نفسها .

وقد تبني معظم علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الاتجاه الوظيفي Functionalism كاستراتيجية مناسبة للدراسة (١٩) .

واستأثر التصنيع والتغير الثقافي باهتمام بعض رواد هذا الاتجاه امثال مالفينوفسكى Melinowski الذي حاول استجلاء آثار التصنيع على بعض المجتمعات المحلية القروية في افريقيا (٢٠) .

ويهتم أنصار هذا الاتجاه بدراسة التصنيع في ضوء علاقته بالسياق المجتمعي للمجتمع المحلى فقد أوضح أرنسبرج وكيمبال Kimball ان العلاقة بين التصنيع والمجتمع المحلى علاقة دينامية أذ بينما يؤثر المجتمع المحلى على التنظيم الاجتماعي في الصناعة يؤثر هذا التنظيم الصناعى بدوره على الفناء الاجتماعى في المجتمع المحلى فالصنيع والمجتمع يشبهان « متصلا » يحتل التصنيع أحد اطرافه والمجتمع المحلى الطرف الآخر ولا يتسنى دراستهما الا بترجمة هذا « الفصل » الى مجموعة من أنماط السلوك التى يسهل قياسها .

وقد ازداد اهتمام علماء الأنثروبولوجيا بدراسة التصنيع بعد التحول الكبير من دراسة المجتمعات الصغيرة المنعزلة الى المجتمعات الصناعية الكبيرة فتكونت **جمعية الأنثروبولوجيا التطبيقية** عام ١٩٤١ ، وقد أخذت هذه الجمعية تهتم منذ ذلك الوقت بنشر الدراسات التى تدور في المجال الصناعى ، وتبلور هذا الاهتمام على يد Wamer وعلماء جامعة شيكاغو ، ومن ثم ازداد اهتمام بعض علماء الأنثروبولوجيا بدراسة البناء الاجتماعى في مجتمعات صناعية حديثة وبمعايير الضبط الاجتماعى بها كما ازداد الاهتمام بدراسة التحولات الحديثة في الأنشطة الاقتصادية وفي نمط العلاقات في المجتمعات الصناعية والنظم الاجتماعية المتبشئة مع التقدم التكنولوجى (٢١) فيها ويرجع الفضل لعلماء الأنثروبولوجيا في الاهتمام أساسا بالمجتمعات غير القريبة وعلى الأخص مجتمعات العالم الثالث فقد اهتم هاوسر على سبيل المثال (٢٢) بدراسة العلاقة بين التصنيع ونمو المدن في آسيا وتوصل الى أن التصنيع قد أدى الى حراك القوة العاملة من الانتاج الاولى ( الزراعة ) الى الثانوى ( المهن غير الزراعية ) وبخاصة في القطاع الثالث ( او ما يعرف بقطاع الخدمات ) .

ولعل الفترة التى تلت الحرب الاولى قد شهدت بصفة خاصة ازدياد الاهتمام بالدراسات الأنثروبولوجية الحظية في المجتمعات الصناعية أما الفلسفة التى بدأت تنف وراء هذا الاهتمام فتتمثلت في الرغبة في الانتفاع من المفاهيم والأساليب وأدوات البحث التى يستخدمها علماء الأنثروبولوجيا في دراسة هذا النوع من المجتمعات الانسانية (٢٣) مادام التصنيع يؤدي الى تحولات هامة في البناء الاجتماعى للمجتمع تستحق الدراسة (٢٤) ولتمثل الحافز الى ذلك يكمن فيها وصفه روبرت ردفيلد بقوله « ومع نمو وانتشار الحضارة تمتد العلاقات الانسانية خارج المجتمع المحلى وتقصد الكثير من تماسكها وانسجامها كما هو الحال عندما تتطور وتنمو ميادين النشاط الصناعى » (٢٥) .

والتصنيع والتحضر أيضا يشبهان غيرهما من الظواهر في أنهما لا يميلان في عزلة عن باقى عوامل التغير الاجتماعى محلية وقومية ودولية ومن ضرورات الدراسة في هذه الحالة استجلاء هذه العلاقة التفاعلية وتفسير صور التغير البنائى في مجتمعات صغيرة الحجم نسبيا اذ يرتبط التصنيع مع مختلف أوجه النشاط الاقتصادى والديموقراطى والسياسى ، ولا يغيب من الذهن أنه منذ قيام الثورة الصناعية ازداد الاتصال بين الدول وتشابكت علاقاتها ولم تصبح الأسواق قومية محسب بل بدلت تأخذ الطابع الدولى لكثرة الاتصال بين الدول وتشابك علاقاتها الاقتصادية في الوقت الحاضر (٢٦) .

#### أمثلة لبعض الدراسات الحقلية :

##### ١ — دراسة لويد وارنر (٢٧) :

اشتهر وارنر بدراساته وأبحاثه الحقلية في المجال الصناعى وترجع شهرته أساسا الى دراساته التى أجراها في الولايات المتحدة في الأربعينيات من هذا القرن عن مدينة Yankee City وتقع هذه المدينة في ولاية « نيو انجلند » حيث كانت تضم حوالى ١٧ ألف نسمة .

وقد قام وارنر بدراسة عمال الاحذية في المدينة وذلك بهدف القضاء الضوء على التنسيق الاجتماعى للمصنع من ناحية والعلاقة بين الصناعة والمجتمع المحلى الذى توجد فيه من ناحية أخرى .

وقد استخدم الباحث المدخل الانثروبولوجى واستعان بعدة وسائل لجمع البيانات من المجتمع المحلى والمنظمات الرسمية وغير الرسمية الى جانب التقنيات والاتحادات وساعده ذلك على الخروج بوحدة من الدراسات الرائدة في هذا الميدان (٢٨) .

---

(٢٨) سبق أن اشترك لويد وارنر في أبحاث هاوثورن التى قام بها مايو كما سبق له ان استعان بالاتجاه الانثروبولوجى في دراساته الحقلية في اسكتلندا وايرلندا .

ويمكن ايجاز أهم النتائج التي خرج بها من دراسته في النقاط  
الآتية :

أ — قدم وارنر صورة صادقة للبناء الاجتماعي في المدينة وقد وضع عدة  
مؤشرات لتحديد الوضع الطبقي والتدرج الاجتماعي كالـتعليم المهني ،  
الملكية ، الدخل ومكانة الأسرة والاصطفاء والنادى الذي ينتمى اليه  
الشخص علاوة على ما يتسم به من الخصائص الأخرى الشخصية  
والسلوكية ، وقد تمكن وارنر Warner التمييز بين عدة طبقات  
اجتماعية واقتصادية هي :

العليا العليا ، العليا السفلى ، الوسطى العليا ، الوسطى السفلى ،  
الدنيا العليا ، الدنيا السفلى .

ب — اكتشف أن نصف سكان المدينة على وجه التقريب ينتمون الى عدة  
قوميات حيث يمكن تقسيم سكان المدينة الى ١٠ جماعات هي :

جماعة يانكى سیتی ، الايرلنديين ، الفرنسيين ، اليهود ، الايطاليين ،  
البولنديين ، اليونانيين ، الارمن ، الروس ، والزنج .

ج — استنتج وارنر أن هناك عدة فئات مهنية ومنها على سبيل المثال  
الموظفين ، العمال المهرة ، اصحاب الورش الصغيرة ، العمال شبه  
المهرة ، العمال غير المهرة .

د — أبرز وارنر الدور الذي لعبته الطبقة العليا حيث تمكنت من السيطرة  
على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية واستحوذت على بناء القوة  
في المدينة .

هـ — كانت المدينة تقوم أساسا على صناعة الاحذية باعتبارها محاد النشاط  
الاقتصادي فيها وقد أدى استخدام الآلات الصناعية ( الحديثة ) الى  
حوث تغيرات في البناء المهني ( الكلاسيكي ) مما أدى الى القضاء  
على التدريب الحرفي ( التقليدي ) وأصبح العمال المهرة نصف مهرة  
ازاء التغيرات التي طرأت في النسق الحرفي .

و - استشر Warner منذ بداية قيامه بالدراسة أن العمال يبذلون الجهود التي ترمى لتوحيد صفوفهم كما قاموا بتكوين نقابة عمالية للدفاع عن حقوقهم ( وتكثفوا للدفاع عنها ضد إدارة المصنع ) وبدأ أضرابهم الفعلي سنة ١٩٣٣ حيث اضطرت الحكومة للتدخل لانهاء الصراع القائم عن طريق التفاوض مع العمال .

ز - لم تفت وارنر هذه الفرصة فقام بدراسة الظروف المصاحبة للاضطرابات كظاهرة من ظواهر الصراع الدائر بين العمال واصحاب الاموال .

ح - اكتشف وارنر أن اصحاب الاعمال قد ابتعدوا عن السكّى بجوار محال عملهم مما أدى الى تحول العلاقة التي تربطهم بالمدينة الصغيرة الى ( علاقة ثانوية ) وأصبح قادة النقابة في الموقف الجديد هم المثل الاعلى للعمال ( بدلا من اصحاب العمل ) .

ط - لم تعد المدينة الصناعية مكانة اقتصادية عالية وانخفضت كذلك مكانة المصنع في المجتمع المحلي وأدت الاضطرابات الى اضعاف الادارة وتزكية الروح النقابية بين العمال .

#### تعقيب :

برغم الشهرة الواسعة التي اكتسبتها دراسة وارنر والفراء الحقيقي الذي اتسمت به في توصيفها للمواقع الاجتماعية الا انها اناضت في تبسيط ظاهرة التدرج الاجتماعي في المجتمع الأمريكي بالصورة التي توحى بان في وسع افراد الطبقة الدنيا ( الدنيا ) أن يصعدوا ( مريعا ) الى الطبقة العليا ( العليا ) متى توفرت لهم السهات الشخصية والظروف الاجتماعية والمهنية المناسبة ، ولكن الواقع ليس بهذه البساطة التي يفترضها وارنر في وصفه للمجتمع ( الرأسمالي ) الغربي كما أن الامر لا يتوقف على الخصائص الشخصية فحسب بل على جماعات المصلحة في المجتمع الأمريكي .

#### ٢ - دراسة كوتزل (٢٨) :

ومن بين الدراسات التي لا يسوغ اغفالها الدراسة التي قام بها كوتزل Cottrell لمدينة Caliente Nevada وهي مدينة صحراوية

صغيرة شيدت كمحطة لخدمة قطارات السكك الحديدية وكان الباحث يهدف من هذه الدراسة اكتشاف رد الفعل ازاء التكنولوجيا بعد أن فقدت المدينة الاساس الاقتصادى لوجودها ( حيث افترض كوترل أن مدينة كالينت في طريقها الى الذبول بعد أن بطل استخدام الفحم الحجرى وبدأ استخدام الديزل ) ولعل هذا هو السر في أنه أطلق على دراسته المنشورة عن المدينة عنوان Death by Dieselization وقد استعان بالاتجاه الانثروبولوجى مستخدماً النظرة الضيقة حيث اعتبر المدينة بمثابة حالة Case وخرج من دراسته بعد نتائج يمكن اجمالها فيها يلى :

١ — أن المدينة كانت تتميز بامتدادها العمرانى وجذبها لمختلف التخصصات للعمل في صيانة القطارات وازدهر فيها بالقالى النشاط الصناعى والتجارى والخدمات .

ب — استمرت المدينة قائمة على اساس صيانة القطارات حتى بطل استخدام الفحم الحجرى وبدأ استخدام الديزل فتغيرت الوظائف الاقتصادية لها .

ج — تعرضت المدينة لمجموعة من التغيرات الاجتماعية كان ابرزها هجرة الرجال ( الى خارج المدينة ) وذلك بهدف البحث عن موارد أخرى للعيش ( وقد ظهر هذا بصفة خاصة بالنسبة لكبار السن ) وهكذا ازدادت مزلة المدينة نتيجة للتغيرات التكنولوجية التى اقصت المدينة عن نشاطها الاقتصادى التقليدى .

د — تغيرت بالتبعية العلاقة التى تربط المدينة بالمجتمع الاكبر نتيجة للتغيرات العنيفة التى اجتازها المجتمع المحلى . وهى النظرة الماكرو التى تربط المدينة بالمجتمع الاكبر .

## تعقيب :

تعد دراسة كوترل من الدراسات الهامة التى درست العلاقة بين 'المجتمع المحلى والتغير فى التكنولوجيا الصناعية ( التى يعتمد عليها المجتمع المحلى ) وان كان كوترل قد أسهب فى وصف عزلة كاليت بريشة الاديب اكثر منها بلغة الدارس ( لوصف العلاقة بين التصنيع والمجتمع المحلى ) .

## ٢ — دراسة جريسي :

وهى دراسة لاهد الاقاليم المنعزلة فى Kentuchky (٢٨) ويتلخص الهدف الاساسى للبحث فى دراسة 'اثر دخول صناعة التبغ الى احدى الاقاليم المنعزلة ، حيث كان التساؤل الرئيسى هو ماذا يحدث عندما يتعرض احدى المجتمعات المنعزلة لتغيرات اجتماعية واقتصادية مفاجئة ؟ وقد اعتبر جريسي E. Greesey ان المجتمع المحلى وحدة متغيرة ، وحاول تحليل وضعه قبل وبعد غزو المنجم والصناعة للمنطقة .

وقد خرج جريسي ببعض النتائج ويمكن اجمالاً فيها على :

١ — كانت الاسرة والمجتمع المحلى تكوينان حاركتائز استقرار المجتمع التقليدى وكان النسق القرابى يدمم هذا الاستقرار بما يقتضيه من دعامات العلاقات المتبادلة غير الرسمية حيث كان هذا الاقليم المنعزل الجبلى يفتقد الى دعامات الاستقرار والنسج الطبقي ( المعروف فى المجتمعات المحلية الريئية التى تعيش على الزراعة ) .

ب — تحرر أفراد المجتمع المحلى من الكثير من الروابط والعلاقات التقليدية (نتيجة لدخول الصناعة ) بينها فمثل التغير الاجتماعى فى الوقت الراهن فى امدادهم ببدايل كلفية مما ادى لازدياد معدل الجريمة وانحراف الأحداث وازدياد معدل الطلاق .

ج — ادى التصنيع الى تهديد التنظيم الاجتماعى التقليدى بينها فمثل فى

أرساء الدعائم الجديدة للاستقرار ( ويعتقد جريسي بأن هذا هو حال التصنيع في معظم بلدان جنوب أفريقيا والهند الصينية والشرق الأدنى والوسط ) .

د — تحويل الاقتصاد ( المعيشي ) المكنى ذاتيا للمجتمع المحلي الى أحمر أكثر اعتمادا على الاقتصاد والأجر القدي والانتفاع ( العيني ) كما ازداد تبلور البناء الطبقي في المجتمع المحلي في ( طبقة الرؤساء وطبقة العمال ) .

هـ — تسود الآن علاقات التنافس والاستقلال بدلا من التعاون المتبادل ، وأدى هذا الى تحطيم التماسك الاجتماعي ( التقليدي ) تحت ضغط التصنيع .

وغنى من القول أن جريسي قد اهتم بالنظرة الضيقة للمجتمع المحلي دون أن يركز كذلك على النظرة المتسعة التي تربط هذا المجتمع ( المنزلي ) بالمجتمع الأكبر ، وبعبارة أخرى فقد استنتج الباحث أن التصنيع قد أدى الى تهديد التنظيم الاجتماعي القائم للمجتمع المحلي ، وكان يوسعه أن يتتبع نمط العلاقة بين المجتمع المحلي والمجتمع القومي ، ومع أن التصنيع في حالتنا هذه — يعد المثل الشرعي للمجتمع الخارجي في تأثيره على المجتمع المحلي — إلا أنه من الصعوبة بمكان أن نعزى كل التغيرات التي تحدث في المجتمع المحلي للتصنيع ( وحده ) دون غيره من المتغيرات .

## الدراسات الحقلية في المجال الصناعي

### أولا - الورش الصناعية في مصر :

الدراسة التي بين أيدينا تتناول البناء الاجتماعي للورشة في إحدى المناطق الصناعية ( مدينة الاسكندرية ) وقد قام بهذه الدراسة الحقلية قسم الانتروبولوجيا ، وقسم الاجتماع والمعهد الأعلى للخدمة الاجتماعية بجامعة الاسكندرية بالتعاون مع مؤسسة كونارد ادينور بالمانيا الاتحادية ( التي قامت بتحويل الدراسة في مراحلها المختلفة ) وتهدف الدراسة الى التعرف على بنية الورشة والى تحديد موقف المجتمع من هذه المؤسسات الصناعية الصغيرة واتجاهات أهلى المدينة نحو العمل اليدوى .

وقد بدأت الدراسة الحقلية بمرحلة استطلاعية وذلك في منطقة كوم الناضورة باعتبارها تضم تجمعات عمالية عديدة تشتغل في الورش الصناعية ، وورش الصداة في منطقة باب شرقي ، وقد اكتمل اجراء الدراسة الاستطلاعية عمليا مسح للاسر والحدوات العرقية في منطقة كوم الناضورة وباب شرقي . وتضمنت الدراسة الاستطلاعية مسحا لايكولوجية المنطقة يشمل التعرف على الحدود الادارية وأهم الشوارع والاحياء ( الصغيرة ) بخصائصها العمرانية المتبايزة التي ستجرى فيها الدراسة الميدانية .

وقد اعتمد الباحثون في جمع المادة الانثوجرافية على عدة شرائح مهنية ، منها :

أ - اصحاب الورش

ب - الاسطوانات

ج - العمال المجتهدون والصبية .

وقد ركز الباحث على الورشة في المدينة الصناعية المتروبوليتانية

( الاسكندرية ) والورشة كما عرفت الدراسة عبارة عن وحدة انتاجية صغيرة تقوم في دكان يعمل فيه « أسطى » يعاونه اثنين أو ثلاثة من العمال وعدد من « الصبية » وهذا النمط الانتاجي نجده ليس فقط في مجال الحرف الصناعية بل وكما حددته الدراسة الانثروبولوجية يشمل المجال النجاري الذي يخدم هذه الحرف أيضا ويتمثل في عشرات ( الحكاكين ) الصغيرة التي تنفق الى رأس المال الكافي واذا ذاك فان هذه الورش تعتمد على الادوات التقليدية في العمل دون الآلات الحديثة .

اما العمل الميداني الذي استخدمت فيه الملاحظة بالمشاركة لدراسة البناء الاجتماعي Social structure للورشة فقد قام به هـ من الباحثين تحت اشراف بعض اعضاء هيئة التدريس بقسم الانثروبولوجيا بجامعة الاسكندرية (١) .

وقد تضمنت الدراسة الايكولوجية محاولة تحديد الانشطة الحرفية وتجمعات الورش في منطقة الدراسة كما امتازت هذه الخطوة من خطوات الدراسة في تعريف الاهالي بباهية الدراسة الانثروبولوجية والاتصال بهم والتغلب على سوء فهم افراد المجتمع المحلي لطبيعة الدراسة لئلا يتعمل سير العمل الميداني في هذا المجال نتيجة لذلك .

وقد اعتمدت المرحلة التالية على الزيارات والمقابلات حيث يقوم باحثان معا بالعمل في الورشة الواحدة ، مما ادى الى توفير الظروف الملائمة لبقاء الباحثات فترات طويلة من اليوم بالورشة للقيام بالملاحظة وقد بلغ عدد الورش التي تمت دراستها في كوم الناصورة ٣٨ ورشة تتضمن الحدادة والخراطة وسكوة السيارات والطباعة ... الخ .

اما الورش التي تمت دراستها في باب الشرقي فقد بلغ عددها ٢٤ ورشة كذلك موزعة على مختلف التخصصات .

وقد اثلحت الملاحظة بالمعايشة فضلا عن الحوار التلقائي مع العمال واصحاب العمل في جمع بيانات تفصيلية عن :

---

(١) انظر د. محمد عبده محجوب — تقرير حول الدراسة الانثروبولوجية للبناء الاجتماعي للورشة في مدينة الاسكندرية في المؤلف الذي قدم له د. احمد ابو زيد جامعة الاسكندرية بدون تاريخ .

- موقف الورشة وعلاقتها بالمنطقة ونوع المبني .
- مقومات العمل في الورشة واتجاهات العمال نحو العمل اليدوي .
- نوعية اصحاب الورش .
- التدرج الاجتماعي للمهن .
- روائد العمالة واختيار الصبية ومدى الاستعانة بالفئات المتعلمة .
- علاقات العمل داخل الورشة ، وتقسيم العمل .
- مشكلات التدريب والغياب والاصابات .
- مشكلات الضرائب والتأمين والتأمينات الاجتماعية .
- الخدمات الاجتماعية للعاملين بالورشة .
- الورشة والتنظيمات في الرسمية خارج مجال العمل .
- خصائص الجبهور الذي يتعامل مع الورشة واسلوب التعامل .
- التطورات الفنية في مجال الحرفة .

#### بعض نتائج الدراسة الحقيقية :

١ — اتضح ان الوراثة تلعب دورا كبيرا في تلك الكثير من الشبان للورش ( بعد وفاة الوالد ) كما ان هناك بعض العمال الذين هاجروا للبلدان العربية فتحولوا من عمال الى اصحاب ورش ، وقد تتبع فريق البحث صورا لتتلس الصراع بين الورش التي تعمل في إطار الحرفة نفسها .

ب — ابرزت الملاحظة الفعلية لعمال الورش ان بعض الظروف الاجتماعية كارتباك الظروف الاسرية نظراً لوفاة الوالد أو زواجه الثاني أو كثرة

المسئوليات الاسرية والفشل في التعليم وغيرها تتحكم في توجيهه  
الصبيبة للعمل اليدوى في الورش الصغيرة .

ج - امكن من خلال المشاركة المتعمقة - في هذا المجال - اكتشاف  
ان كثير من عمال القطاع العام قد ايدوا استعدادهم **للمعمل بورش**  
**القطاع الخاص** لفترات محدودة وانهم لا يشكلون عبئا على اصحاب  
الاممال فيها تعلق بالتأمينات الاجتماعية والضرائب ( حيث يعمل  
معظمهم بعد الظهر أو مساء ) أو يقومون بالعمل في المنزل على أن  
بأجور تقل عن تلك التى يتقاضاها العمال الذين يعملون بالورشة كل  
الوقت .

د - اتضح من الدراسة الميدانية ان **الصراع الحصرى** داخل الورشة  
تسلم الصنوعات لاصحاب الورش ، وهم يرضون في المقابل  
يثبتل في تنافس « الاسطوات الكبار السن والصناعية الشبان »  
( حيث يحاول انصايبي أن يحقق ذاته معترا بتدرااته على العمل  
الشاق ، وتضحيتة بالسفر للخارج مما يمكنه من الحصول على  
دخل مرتفع وهم يرغبون عادة في الاستعانة بأدوات انتاج متطورة  
بينما ينتقدتهم الاسطوات الكبار لانقاذهم للصبر والخبرة والامانة  
في العمل ، والقدرة على الابتكار كما أنهم منغمسون - من وجهة  
نظرهم - في الملاهى وغير منضبطين في مواعيد أعمالهم .

هـ - يحكم علاقات العمل بالورشة نظام « **هيراكى** » للتدرج يتركز  
في أعلاه « الاسطوات » ولهم وضع مميز بالنسبة لبقية العمال  
والمساعدين والصبيبة ، والاسطى في ورش ميكانيكا السيارات  
على سبيل المثال لا يقوم بالعمل بنفسه ولكنه يكتبى بالنص  
المبدئى ويتدر تكاليف الاصلاح ثم يصدر تعليماته بمهمة الاصلاح  
وتفصيلاتها للعمال ، ويقوم الصبيبة بمناولة أدوات العمل واحضار  
النشأ والطعام كما يتعرضون في حالة التقصير للشم والضرب ،  
وهذا التدرج الهيراكى يوضح كذلك في اختلاف الاجور كما يعكس  
اختلاف الخبرة والمهارة داخل الورشة .

و - يكون العمل داخل الورشة عادة « **بالمطوعة** » فالعامل يتناهى  
اجره حسب انتاجه وبخاصة في مجالات التجارة والخرابة وصناعة  
الاحذية - وهنا يحاول العامل أن يقضى أطول وقت ممكن بالورشة

تحقيق دخل مرتفع . بينما يغبط أصحاب الورش والعمال عمال الحكومة ( الذين يعملون في ساعات قليلة ومحدودة ويتبعون بأجازات كثيرة ) .

وتتحول الورشة في الحقيقة الى وحدة اجتماعية يرتبط فيها صاحب الورشة والعمال بعلاقات وثيقة فهم يتناولون الطعام ( معا ) ويجلسون ( معا ) في أوقات الراحة من العمل ويتبادلون الزيارات والفحاشى والتعاضى مما يؤدي الى تكوين وحدة مصالح قوية بينهم كما تتم اللقاءات عادة بعد انتهاء العمل في المقاهى الشعبية المنتشرة في المدينة .

#### الصعوبات التى اعترضت الدراسة الحقلية :

١ — عبر أصحاب الورش عن مخاوفهم أن تكون ثمة علاقة بين المعلومات التى يجمعها فريق البحث والجهات الادارية المسئولة عن الاشراف عليهم ك مصلحة الضرائب والجهات الادارية المسئولة من الاشراف عليهم ك مصلحة الضرائب والتبوين والتأمينات الاجتماعية وغيرها حيث كثر فريق البحث جهوده وعلاقاته الوثيقة بالناس لتبديد تلك المخاوف .

٢ — صعوبة التسجيل الفوري للملاحظات نتيجة لشكوك اصحاب الورش والعمل حيث يضطر الباحث في هذه الحالة الى تدوين اللقاءات فور انتهاء المقابلة مع الاحتفاظ بالتعبيرات التى استخدمت عملا في هذا السياق .

٣ — اعتذار بعض اصحاب الورش عن استقبال فريق البحث أثناء العمل حيث ادمى البعض في الوقت نفسه استعدادهم الشخصى لاطفاء الباحثين بما يطلبونه من وقت ومعلومات دون اتصال بالعمال .

#### نقد الدراسة الحقلية :

اتجهت الدراسة للتركيز على طرح الاسئلة المباشرة بالنسبة للعمال واصحاب الورش ومع أنه كان بوسع فريق البحث المدرب تدريباً عالياً ان

يستخدم الملاحظة بالمشاركة بطريقة أكثر فاعلية من مجرد الدراسة المختصرة لحالة الورشة والإسطة ، والعمال ، والصبية ( عن طريق الاستقصاء ) والمعذر هنا يتمثل في أن الهدف من الدراسة كان التعرف على نظرة الناس للعمل اليدوي ، ومعرفة أنساق هذا العمل ذاته مما زاد من غلبة الطابع الكمي على المسحة الأنثروبولوجية والأنتوجرافية المتعمقة فضلاً عن أن الدراسة تصد ثمرة للتعاون بين تخصصات مختلفة في مجال الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية فهي من الدراسات الرائدة التي جمعت فريق العمل الذي ينتمي الى هذه التخصصات .

كما أن العمل في الدراسة الأنثروبولوجية نفسها كان يركز على فريق البحث الذي كان يجتمع ( يوميا ) لاستعراض ما تم اتجاؤه وتذليل الصعوبات والترتيبات اليومية لنزول الميدان .

ولا شك أن تعاون فريق البحث المتعدد التخصصات — من جهة — مع فريق البحث الأنثروبولوجي في مجال العمل الميداني — من جهة أخرى — يعد من بين الأساليب الفعالة في الدراسة الحقلية حيث تتعدد **الغبرات وتنوع الاتجاهات البحثية** مما يضمن للدراسة **شموليتها** لكافة الأبعاد نتيجة لتضافر الجهود .

وغنى عن القول أنه بينما يكون من المستحسن في حالة دراسة الأسرة أن يقوم بهذا البحث الفرد فإن المجالات الأخرى كالورشة والمدرسة والورشة يستحسن أن يتضافر في دراستها فريق البحث الأنثروبولوجي ( المتكامل ) بشرط التعاون الوثيق بين أفرادهم . ونجسد هذه الدراسة الحقلية المواصفات المطلوبة للدراسة السوسيوأنثروبولوجية .

## ثانيا : اثر التصنيع على المجتمعات المحلية الصغيرة في المدن العاصمية : \*

تناولت الدراسة الراهنة اثر التصنيع على الانساق الاجتماعية لأحد الاطراف الجنوبية لمدينة القاهرة بغية التعرف على الآثار التي يعكسها التصنيع على الانساق الاجتماعية في الاطراف الحضرية وقد استخدمت **الملاحظة والملاحظة بالمشاركة مع الاستماعة بـ « الإخبارين »** ودراسة **الحالة ( ٢٠ حالة )** واستبارة الاستبيان ( ٤٠٠ أسرة ) فضلا عن دراسة الحالات المثيرة الاستبصار ، واتضح من الدراسة الحقلية ان ثمة آثار بعميقها قد عكسها التصنيع على الانساق الاجتماعية في المجتمع المحلي نلخصها فيما يلي :

### ١ : اثر التصنيع على النسق الإيكولوجي :

— شجع التصنيع على الاتصال ( المصوى ) بين مجتمع الاطراف والمدينة ماهمت المشروعات الصناعية اليه ( ٣ مؤسسات صناعية ) فضلا عن مؤسسات الخنات والورش الصغيرة وقد ارتبط المجتمع المحلي مع وسط المدينة بشبكة سريعة من المواصلات العامة ناتجة لانضمام المجتمع الى « كردون المدينة ».

— ازداد التكاليف على شراء الارض الزراعية من « اولاد البلد » لاقامة مساكن عليها مما أدى الى ارتفاع القيمة الإيجارية وظهور مبدا ظلو الرجل كشرط أساسى للحصول على السكن .

— ازدياد معدل الهجرة الوافدة لمجتمع الاطراف مع تباك أولاد البلد وازدياد تقاربهم مما أدى الى تقسيم المجتمع الى منطقة دائرية على تخوم المنطقة تسكنها الشرائع النازحة للمنطقة

---

(\*) تلخيص لجزء من رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الباحث الى جامعة عين شمس سنة ١٩٨٠ بعنوان « اثر التصنيع والتحضر على البناء الاجتماعى فى المجتمعات الصغيرة » - رسالة غير منشورة .

في مقابل منطقة أصلية أو بؤرية Focal « في صرة المنطقة » تجمع اولاد البلد « الاصليين » وغنى من القول أن الشرائح النازحة تعمل عادة خارج المنطقة فمعظم الشرائح النازحة قد ومدت للمنطقة نتيجة للفشل في العثور على مسكن في مدينتي القاهرة والجيزة ، وليس نتيجة لجذب المجتمع المحلي أو للعمل في مشروعاته الصناعية .

ومن هنا ظهر ما يعرف « برحلة العمل اليومية » من وإلى باقى أجزاء المدينة المتروبوليتانية .

#### ب : أثر التصنيع على التمسك الديموجرافي :

— أن الشرائح الواعدة لمجتمع الاطراف تشد عادة من الوجهة القبلى ( ٥١ ٪ ) فالوجه البحري ( ٣٤ ٪ ) ثم مدينة القاهرة نفسها ( ١٥ ٪ ) ويرجع هذا الى أن المجتمع المحلى يقع في بداية الطريق المتجه للصعيد ، وتتضمن الفئات التى انتقلت الى المنطقة من احياء أخرى في العاصمة شرائح سكانية استقرت في المجتمع المحلى نتيجة لنجاحها في العثور على المسكن ، ومعظمهم ممن تزوجوا في السنوات الأخيرة ، وهكذا يصبح المجتمع المحلى مسرحا لتقابل العديد من الثقافات الفرعية .

— أن الفئة العمرية التى تقل أعمارها عن ٢٠ سنة ويمثل حجبها الى ٥٧,٧ ٪ من مجموع أفراد الأسرة ويعنى هذا ازدياد معدل الخصوبة داخل الأسرة أما من تتراوح أعمارهم بين ٢٠ سنة الى ٦٠ سنة فتبلغ نسبتهم ٤١,٤ ٪ ( ٢١,٨ ٪ ذكور و ١٩,٦ ٪ انثى ) فإذا افترضنا أن على الذكور في الفئة الأخيرة يقع عبء اعالة الصغار ( أقل من ٢٠ سنة ) والنساء ( اللاتى لا يشاركن في قوة العمل ) لاتفصح أن هذه النسبة التى تزيد عن خمس مجموع الأفراد بقليل — تتحمل المسئولية الأكبر في رعاية باقى أفراد المجتمع المحلى كما أن قلة كبار السن يجعل هذا المجتمع في صورة « شابة » الى حد كبير لقلبة صغار السن والأعمار الوسطى .

— تسود الأسرة الزوجية عادة في هذا المجتمع نتيجة لضيق المسكن وعجزه عن استيعاب اقارب الزوجين كما تنخفض للغاية معدلات ارباب الاسرة الذين يلجأوا الى تطلق زوجاتهم او للزواج الثاني .

— ان نسبة لا بأس بها تستخدم في الوقت الحاضر وسيلة من وسائل تنظيم الأسرة اذ ان وجود الاسرة في منطقة حضرية صناعية فضلا عن ظروف الحياة المعقدة يعد من بين العوامل المحفزة لتنظيم النسل .

#### ج : التنسيق الاقتصادي :

— استعونت المهن الصناعية واعمال البناء على ٤١ ٪ من ايراد القوة العاملة في المجتمع المحلي مقابل ٣٥ ٪ تعمل بالتطاع الثالث ( قطاع الخدمات ) وقد جاء هذا نتيجة لتحصول مجتمع الاطراف من النشاط الزراعي ( ككتشلت رئيسي ) الى العمل الصناعي وما يتصل به من اعمال ادارية وخدمية .

— ازداد جذب المجتمع المحلي لقوة عاملة كبيرة تعمل داخله وتسكن خارج حدود ( من بين الفئات التي تسكن خارج المجتمع وتشغل في مؤسساته ثمة الادارة العليا وغالبية التخصصات الفنية والادارية والعمال نصف المهرة وغير المهرة ، وتضم هذه الفئات نسبة ليست قليلة من الاثاث ) وكان القوة العاملة التي تسكن داخل المجتمع المحلي وتعمل خارجه تقابلها قوة عاملة تعمل في المجتمع دون ان تعيش في المنطقة نفسها .

— زحف السوق الى المجتمع المحلي ممثلا في عشرات الحوانيث التجارية التي ينتمى اصحابها للمنطقة او للمجتمعات المحلية المجاورة وقد جذبتهم الاغراءات المرتبطة بوجود المؤسسات الصناعية والتركز السكاني الكبير في مجتمع الاطراف .

— ازدواجية التنسيق الاقتصادي الذي يضم الى جانب أدوات الانتاج المعقدة والتكنولوجيا والمتقدمة أدوات انتاج اولية

وبسيطة تمثلت في مصانع الطوب الأحمر \* المنتشرة في المنطقة ،  
وتنهض علاقات الانتساج داخل المؤسسات على التدرج  
« الهرارى » في السلم الوظيفى واستخدم اللوائح الرسمية  
داخل التنظيم الرسمى .

— ظل التمتع في مجتمع الاطراف يمثل نشاطا اقتصاديا  
هامشيا الى حد كبير ، فصناعة المبردات والآلات تعتمد بدورها  
على المواد الخام التى تستوردها الدولة من الخارج كما ان  
القوة العاملة تعمل عادة في المهن غير التخصصية ( فعلة —  
خفراء — الخ ) فضلا عن اممال البناء ويتحقق العامل قدر  
كبيرا نظير استغلال قوته اليدوية وخبرته حيث تنتشر ورش  
( البلاط ) في المنطقة ، والقوة العاملة في هذا المجتمع امية  
غير مدربة ينقصها الخبرة والمرآن .

— ان الدخل الشهري يكاد يكفى بعمومية احتياجات الشخص  
واسرته ، وفي الوقت الذى ينسدر فيه أن يلجأ الشخص  
للاستدانة من الغير ( بصورة مستمرة ) تقل الى حد كبير  
عملية الادخار وترشيد انفاق الدخل أو استثمار المخدرات  
في مشروعات تعود على الشخص وعلى أسرته بالفائدة .

### : انساق القرابى :

— يتمثل النمط المسائد في الاسرة الزوجية Conjugal أو القووية  
Nuclear كما ان نمط الزواج عادة هو الزواج من غير الاثارب  
ويغلب عادة الاهتمام بفترة الخطوبة باعتبارها مرحلة اختبار  
كل طرف لشريكه وتزداد أهمية التواشى المظهرية المتصلة  
بالايراح كتحية الشبكة وزمة العروس وغيرها .

— يتولى الزوج والزوجة معا « البت في شئون ومقتضيات الحياة  
الاسرية ، فالاسرة هنا تأخذ الطابع « الديمقراطية » وبخاصة

نميا يتعلق باتخاذ القرارات المصرية المتصلة بزواج وتعليم  
الأولاد .

#### هـ : بناء القوة :

يتسم بناء القوة في المجتمع المحلي بأنه « ديمقراطي الصيغة »  
حيث يتركز الاهتمام على تنمية المجتمع المحلي ، وبالرغم من عزوف  
الناس عن المشاركة السياسية إلا أن هذا البناء القائم — يحاول  
أن يكسب تعاطف الناس من خلال حل مشاكل الجماعات والأفراد  
وقد تحول بناء القوة من النموذج « المحلي » إلى النموذج  
« القومى » المنفتح على العالم الخارجى حيث يعمل جاهدا لاستقطاب  
المزيد من المشروعات الصناعية فى المجتمع المحلى .

#### و : الضبط الاجتماعى والقيم والاتجاهات :

لم يلفظ المجتمع المحلى وبسائل الضبط الاجتماعى التقليدية  
كالعرف والعادات والتقاليد وهو ما يتعارض وما ذكرته دراسات ويرث  
Wirth وغيره من سيادة ووسائل القيم الرسمية formal  
فى الحديثة ، وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن المصارف والإصغاء  
يتدخلون عادة لحل المشاكل الشخصية والأسرية وأن معدلات الجرائم  
والحوادث لا تزال قليلة فى المنطقة رغم دخول الصناعة .

وقد اتضح أن اتجاهات الذكور الخاصة بالمرأة وتعليمها وعملها  
ومشاركتها فى صالح الانثى ويعزى ذلك الى تأثير التصنيع والتحرر  
فى المنطقة .

## المصادر

١) هذا الجزء يعد أحد الأجزاء التي تضمنتها رسالة دكتوراه للمؤلف بعنوان « أثر التصنيع والتحضر على البناء الاجتماعي في المجتمعات الصغيرة » رسالة دكتوراه غير منشورة — جامعة عين شمس — ١٩٨٠ .

Gutkind, Urban Anthropology, op. cit. pp. 51. — ١

Ibid, p. 89. — ٢

Some theoretical approaches to the sociological interpretation of labour circulation (In) R. fernea (Ed) Contemporary Egyptian Nubia. American univ. in Cairo. p. 80. — ٣

Social change (In) .. A Southall (Ed.) social change in .. modern Africa, London. 1988, p. 1. — ٤

West African city. London. 1960. p. 219. — ٥

Patterns of culture, England. 1959. pp. 197, 198. — ٦

West African urbanization CAMBRIDGE UNIV. Press. — ٧  
1985 (In) H. kuper, (Ed) Urbanization and migration in West Africa. London, Univ. of California press, 1985.

٨ — بونومور تهيد في علم الاجتماع من ص ١٤٦ : ١٥٢ .

٩ — أحمد أبو زيد — البناء الاجتماعي — الاسكندرية — ١٩٦٦ — ج ١  
ص ٢٧٠ : ص ٢٧٦ .

١٠) يقصد بها تلك المؤسسات التي تضم أكثر من ١٠ عمال كما أن

أبرز ما يميز هذه المنشآت ضآلة رأس المال ( الفردى ) وانخفاض مستوى الكفاية في الأداء وعدم الاهتمام باستخدام التكنولوجيا الصناعية المتقدمة . وهناك دراسة هامة تبرز الأهمية التي تحظىها هذه المؤسسات الكبرى . انظر :

F.H. Trager, Marxism in Southeast Asia, London. 1960.

(١٠) وهي متولة منطقية لبعض الدول الصناعية المتقدمة والتي تتميز بالتوازن بين أهدافها ومواردها .

١٠ — بيلز وهويجر — المصدر السابق — ج ٢ — ص ٨٣٠ : ص ٨٣٦ .

١١ — W. Moore, Social change. New Jersey, 1963, p. 91.

١٢ — Traditional Cultures and the impact of technological change N.y. pp. 25 : 32.

١٣ — الأنثروبولوجيا العامة ج ٢ — المكان نفسه .

١٤ — Urban Sociology. op. cit. pp. 38, 39.

١٥ — جدمون جوبرج — الفروق الريفية الحضرية — ترجمة محمود عودة في محمد الجوهري وآخرون — ميادين علم الاجتماع — القاهرة ١٩٧٤ ص ٧٧ .

١٦ — مبروف — أسس تنظيم الصناعة والبناء — دأر التقدم — موسكو — بدون — ص ٥ و ص ٦ .

مجموعة من أساتذة العلوم الاقتصادية — المصدر السابق — ص ١٦

١٧ — Asad (Ed) Anthropology, The Colonial encounter England 1973, pp. 18, 19.

١٨ — الأنثروبولوجيا العامة — ج ٢ — المكان نفسه .

Faris, Britanica and the Sudan (In) T. Asad (Ed) op. cit  
pp. 161, 162.

٢٠ — Mair. Malinowski. op. cit. pp. 229 : 242.

٢١ — S. Morse, Modern small industry, Japan 1965, pp. 2, 52.

ومن الدراسات الهامة كذلك دراسات : ناش Nash وجولدر  
Gouldner

٢٢ — ph. Hauser and L. Schnore. the study of urbanization, انظر  
Chicago, 1965, p. 297.

٢٣ — يمكن الرجوع الى دراسة محمد عبد الله ابو على عن التنظيم  
الاجتماعي للصناعة — الاسكندرية — ١٩٧٢ — المؤسسة التي  
حررها — احمد أبو زيد .

١٤ — محمد عبده محجوب — الهجرة والتغير البنائي في المجتمع الكويتي —  
الكويت — بدون — ص ٥٩ .

٢٥ — ردفيلد — المجتمع القروي وثقافته ترجمة فاروق العدلى —  
الاسكندرية — ١٩٧٣ — ص ١٢٢ .

٢٦ — عبد الحيد لطفي — علم الاجتماع — القاهرة — ١٩٧٨ — ص ٨٤ .

٢٧ — Social Class in America, N.Y. 1960, Warner and Low The  
Social System of the Modern factory, New Haven, Yale.  
Univ. press. 1947.

(٥) سبق ان اشترك وارنر في ابحاث هاوثورن التي قام بها مايو كبا  
سبق له ان استعان بالانجاء الانثروبولوجي في دراساته الحقلية في  
استراليا وايرلندا .

٢٨ — B. Mercer, Teh American Community N.y. 1966. pp.  
83 : 89 (In) D. Calhoun and others (Eds) personality  
work and Community. op. cit. part. 17.

## « الفصل السابع »

### « الأنثروبولوجيا الاقتصادية »

ترجع الارماصات المبكرة للأنثروبولوجيا الاقتصادية الى القرنين الثامن والتاسع عشر غير أن البداية الحقيقية تعود الى الربع الاول من القرن العشرين حين قام **وليام كوبرس** W. Koppers ( ١٩١٥ - ١٩١٦ ) و**ملكس شميدت** M. Schmidt ( ١٩٢٠ - ١٩٢١ ) بجمع المادة المتناثرة في مجال الأنثروبولوجيا الاقتصادية من خلال اعمال بوشر Bucher وكنو Cunow ، وهرمنت Herment وكوهر Kohler ولاش Lasch ، وموزكوسكى Moszkowski ، ومن خلال التقييم النقدي الذي قدمه أوليفر ليروى O. Leroy فضلا من اعمال ثورنوالد Thurnwald مالبينوسكى B. Malinowski وأرمسترونج Armstrong وريموند فيرت R. Firth وهرسوفتزر M.J. Hersovits (١) .

والواقع أن **كارل ماركس** ( ١٨١٨ - ١٨٨٤ ) ومن بعده **اميل دوركايم** Kheim ( ١٨٥٨ - ١٩١٧ ) و**ملكس فيبر** M. Weber ( ١٨٦٤ - ١٩٢٠ ) سبق أن تناولوا الظاهرة الاقتصادية في ضوء علاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى فأبرز ماركس أن الاقتصاد يمثل البناء التحتي الذي ينهض عليه البناء الفوقي بأكمله ( الذي يمثل مجموعة النظم القانونية والسياسية والدينية والجمالية ... الخ ) حيث ينقسم المجتمع الى طبقة تلك وسائل الإنتاج وأخرى تحرم من ملكية هذه الوسائل ، وقد لفت ماركس الانتظار حقيقة الى الأهمية التي يحتلها أسلوب الإنتاج في المجتمع حيث تتفاعل قوى الإنتاج . وهم أفراد المجتمع بخبراتهم ومهاراتهم من أدوات الإنتاج - مع علاقات الإنتاج التي تنشأ خلال العملية الانتاجية كنتيجة للتفاعل المستمر بين الناس خلال عملية الإنتاج الاجتماعي . أما **كايم** فمقد اهم بظاهرة تقسيم العمل وأبرز مستويات التقسيم تبعاً للنوع والسن ودرجة القرابة والمعايير الاجتماعية في المجتمع . واستحوذت **الكالفينية** Calvinism ونسق القيم والاجراءات السياسية والقانونية والاجتماعية

التي صاحبت ازدهار الرأسمالية ( كخطام اقتصادى فى المجتمع الفرى )  
والبيروقراطية والترشيد على اهتمام ماكس فيبر .

**وتهم الأنثروبولوجيا الاقتصادية بالنظم والادوار والقيم والجماعات  
المتضمنة فى عمليات الانتاج والتوزيع والخدمات .**

وبينما بدأ عملية الانتاج وتنتهى بائسباع حاجات المستهلكين فان  
عملية التبادل — التي يهتم الأنثروبولوجى بدراستها — تتضمن  
التنسيق بين العمل والصادر (٢) وهو الامر الذى يعبر عنه ليونارد  
جوى بقوله ان الأنثروبولوجى ينشغل بمشكلات التوازن العام للمؤن  
والحاجات المتعلقة بالسلع والخدمات ( مع دراسة ) الظروف التى فى ظلها  
يتم توزيعها .

Anthropology seems to me to be «Bristling with general equilibrium».

«problems including those relating»

«to the supplies and demands of goods»

«and services and the Conditions under»

«which these are distributed».

ويقرر رونالد فرانكبرج R. Frankenberg ان الاشكاليات بموضوع  
الاهتمام ليست واحدة فى الأنثروبولوجيا الاقتصادية وعلم الاقتصاد  
غير أنه يضيف بأن كتابات ماركس ثم مارشال وإتباعه تمثل هزة الوصل  
بين الاقتصاد والأنثروبولوجيا وأنه اذا صدقت عبارة آرثر لويس A. Lewis  
بأن الاقتصاد يتعلق بظاهرى الانتاج والتوزيع فان الأنثروبولوجيا فى واقع  
الامر قد بدأت بدراسة النسق الاقتصادى .

ومن بين اعلام الأنثروبولوجيا الاقتصادية فى انجلترا ايفانزيرتشارد  
E. Pritchard وفورد Forde وجيلوكمان Gluckman وستانر  
Stanner ورتشارد Richards فضلا عن ريموند فيرث R. Firth  
أما فى الولايات المتحدة فان هرسكوفيتز Herskovits سبق أن احتل  
مكانته كرائد من رواد هذا الفرع ، والمتتبع لآراء فيرث يلحظ أن العلاقات

الاقتصادية هنا تشكل نسقا من وجهة نظره وأن علاقات التبادل أساسية في الحياة الاجتماعية ، وهنا يسهل التمييز بين مجتمعات بدائية أساسها الاقتصادي بسيط وبين مجتمعات قروية وصناعية لها أسسها الاقتصادية الأكثر تعقيدا .

الأمر الذي يعبر عنه سالينز Sahlinz ومن قبله إيفانز برتشارد ومورتس — بقوله « أن معظم المجتمعات الأمريكية تنتهي لنظام اقتصادي يختلف بشدة منا » كما تعرض كل من لوى Lowie وهرسكوفت Hershkovits وبنزل Bunsel للنقد اللاذع لتصورهم أن ثمة علاقة ( راسبالية ) بين القوة والثروة في المجتمع البدائي لأنهم قد تبينوا المنطق السائد في تحليل الاقتصاد الحديث وحاولوا تطبيقه على المجتمعات البدائية .

ويمتد فرآئكبرج أن الكتابات الأنثروبولوجية الصلبة تبرز عادة فكرة المتصل البنائي Morphological continuum في نظريتها للنسق الاقتصادي ، فإنتاج السلع يمر بدورة معينة من الاقتصاد البدائي حتى تصل إلى الاقتصاد الرأسمالي المعاصر .

لغيره يعتقد أن الاقتصاد بدأ « بدائيا » Primitive وانتهى « صناعيا » ودالتون Dalton يعتقد أنه بدأ من خلال الأسواق وانتهى باقتصاد السوق و Sahlinz وبخاصة في كتاباته المبكر يبدأ باقتصاد البنية وينتهي باقتصاد الدولة وبولاني Polany يبدأ بتبادل المنفعة وينتهي بالتبادل الاقتصادي الذي يسمح بالريح .

وتشير سوتي أورتيز Sutti ortiz إلى أن التحليل الأنثروبولوجي لا ينكر أهمية العوامل غير الاقتصادية وشم القطيعة في التفكير الاقتصادي ويتفق هذا مع تحليل موسي Mauss لعمل مالينوفيسكي عن الكولا Kula وميل ميرث عن مجتمع تيكوبيا Tikopia حيث أبرز المعنى الثلاثي للحرية والتمسك بالالتزام بالعطاء والالتزام بالتقبل والالتزام برد المخليل فإلهدايا لها معنى اجتماعية — اقتصادية لا يمكن اغفالها (٥) .

ومهمة الباحث الأنثروبولوجي في المجال الاقتصادي مهمة معسمة لصدة أسباب منها أنه يقوم عادة بدراسة المجتمعات البسيطة والتخلفات التي تختلف في نظائها الاقتصادي عن النظم الحديثة المألوفة والتي تقوم على النظم النقدي والحرفي والاستثمار والتكنولوجيا الحديثة .

ويذكر ن. سملسر N. Smelser (٦) أن مالفينوسكى (١٨٨٤ - ١٩٤٢) ومارسيل موسى Mauss (١٨٧٢ - ١٩٥٠) قد أبرز بصورة واضحة العلاقة بين النسق الاقتصادي - مع التركيز على نظم الإنتاج والتبادل - وبين الانساق القرابية والسياسية ونسق الضبط الاجتماعي في المجتمع فعلى ميلانزيا إبراز الأول العلاقة بين إنتاج قوآرب الصيد والنظام الرئاسي والسحر وإن نظرية العرض والطلب المعروفة لا تنجح في تفسير التبادل التجاري في المجتمع بينما اجتهد موسى في دراسته عن الهبة Gift في إبراز قواعد العلاقة بين مناح الهبة ومطلق هذه الهبة . وألصور الطقوسية للتبادل التي يتعذر تفسيرها في فسوء المفاهيم الاقتصادية حيث يذكر أن هذه الظاهرة لها جوانبها القانونية المتعلقة بالحقوق والالتزامات الجمعية وبث الاخلاقيات وجوانبها السياسية المتعلقة بالتنظيم القبلي العشائري ، والدينية الخاصة بالجانب الشعائري والسحري ، والاقتصادي المتعلق بالمنفعة والاتفاق ... الخ .

ويذكر سملر (٧) أن هناك علاقة تفاعلية بين النسق الاقتصادي والانساق الأخرى في المجتمع وقد استشهد بالعديد من الدراسات التي مرضت لهذه العلاقة فمن العلاقة التفاعلية بين الاقتصاد والإيديولوجيا يستشهد بدراسات دافيز K. Davis ويندكس Bendix وفرانس موتون Sutton ويسينوى في هذا المضمار أما عن علاقة النسق الاقتصادي بالنسق القرابي فاستشهد بدراسات هاندلين O. Handlin ومارى هاندلين Mary Handlin من الجماعات الإثنية Ethnic groups والدراسة المغارة التي قدمها نيمكوف وميدلتون Nimkoff, Middleton عن ٥٤٩ نمطا ثقافيا لكل منها نسق الاقتصادى حيث استنتج انه في مجتمعات الصيد والالتقاط تسود الأسرة المستقلة ( النووية ) بينما تسود الأسرة الممتدة في المجتمعات المستقرة اقتصاديا التي تستند على الملكية والتدرج الاجتماعي .

أما المجتمع الصناعي فتسود فيه الأسرة « المستقلة » حيث الحراك الاجتماعي السريع .

وفي النمط الأول والثاني يتبع الدور الاقتصادي للفرد المركز الذي يشغله داخل نسق القرابة بحسب النوع والسن فضلا عن وضعه الزواجى .

وقد اهتمت الدراسات الخاصة ببناء الأسرة وبمشاركة المرأة

في قوة العمل كما استحوذت بمشاركة كبار السن في قوة العمل باهتمام  
بعض الثقاة أمثال غيليب هاوسر Ph. Hauser .

والملت للنظر أن البعض قد حاول أن يبرز صعود الجماعات الاثنية  
( السلافية ) في الولايات المتحدة ( الصينيون — اليابانيون — الزوج )  
اقتصاديا في السنوات الأخيرة حيث أوصحت دراسات ينجر M. Yinger  
وغيره أن أسباب هذا الصعود ترجع لازدياد الطلب على الأيدي العاملة  
لابناء تلك الجماعات وإلى صعود هذه الجماعات لاتجاه أفرادها كما أن  
كل جماعة كانت تجتهد لاستقدام أبناء جلدتها للمشاركة في جنى ثمار  
أي نجاح اقتصادي فضلا عن كل جماعة ردتت مقولة اضطهاد المجتمع  
العام لها رغم تبايزها السلافي أو العنصري عن الجماعات الاجتماعية  
الأخرى التي تظن أنها تفضلها في التمتع بفرص الحياة (٨) .

ويذكر بوتومور (٩) أن العلماء اليوم قد أصبحوا يرفضون فكرة  
التطور الخطي للملكية كما في حالة ماركس وهيبوس وغيرها ، ويلجئون  
الى صعوبة تحديد طابع حقوق الملكية ومدأها وأذاك فإن توزيع الملكية  
والآثار الاجتماعية لهذا التوزيع أصبحت الشغل الشاغل لهم ، ومن هنا  
جاءت دراسات كرجر Mukgee في الهند وبيزل Bearl ومنسز  
في الولايات المتحدة عن الملكية والثروة وآرثر لويس وقد استحوذت  
بعض الظواهر الخاصة بالصراع الصناعي Industrial conflict  
( كالأضرابات ) على اهتمام البعض أمثال نويلز . Knowles .

وقد أخطأ علماء الاقتصاد حين استماتوا بالاطر الاقتصادية المعاصرة  
والمفاهيم المستحدثة لتفسير النظم والظواهر الاقتصادية في المجتمعات  
البداية وأفضل الأمثلة على ذلك ما ذهب اليه كارل بوشر K. Bushor  
من أن الرجل البدائي لا يعرف القيمة الاقتصادية الحقيقية للسلع ودليل ذلك  
أن بعض زوج افريقيا والهمسود الحمر في أمريكا كانوا يبيعون أراضيهم  
للبستمرين من البيض بأبخس الأثمان نظير مقود من الخرز المسون أو  
الأسلحة البسيطة وأن هذا يدل على بلاهة وجهل وغباء هذا الرجل الذي  
يجهل القيمة الاقتصادية للأشياء ولا يهتم كثيرا بزيادة ممتلكاته المادية .

كما أن أطراف أنواع الملكية الخاصة التي توجد في بعض المجتمعات  
البداية ما أطلق عليه البعض « ملكية النساء » فقد اعتبر علماء  
الانثروبولوجيا المهر بمثابة ثمن للعروس وبخاصة إذا كان المهر يتضمن

بعض السلع المادية أو الحيوانات ، وقد دعم هذه الفكرة اعتبار المرأة احدى اقدم اشكال رأس المال نظرا لانجابه للاطفال وقيادها بهم اعداد الطعام وانتاج السلع المنزلية في الأسرة ومن غير شك ان المسئول عن ذلك هو الانفصال عن الشعموب البدائية وصياغة ما يرد عنها من بيانات في قوالب جامدة من انتاج الفكر الاوروبى الغربى الطابع واذا ما نظرنا الى هذه الممارسات لاتضح ان تفسيرها يكمن فى نسق القيم فى المجتمع المحلى فالارض فى امريكا وامريكا حين جاء المستعمرون كانت اكثر من حاجة السكان بينما كان الخرز الملون اداة التزين فى المناسبات الدينية والاجتماعية فالمسألة هنا اعتبارية بحثة .

والزوجة فى الحالة الاخيرة لا تباع مقابل السلع المادية فالمرء عند التوير على سبيل المثال يتألف من ٤٠ رأسا من الماشية ويقسم بين اهل العروس ، ويعكس اعترافا بالعلاقة القوية بين اقارب العروس حيث يتوقع منهم المجتمع الاسهام فى دفع المهر حين يتزوج اى ذكر من أعضاء البدنة ( بالنسبة ونوع الماشية نفسها التى حظى بها من قبل ) بل ان هذه الماشية نفسها تعد ملك للعائلة التى ينتمى لها هذا الشخص .

والزوجة التى تهجر زوجها يكون اهلها ملزمين برد الماشية للزوج مع نتاجها من الماشية ونظرا لاستحالة هذا الامر من الوجهة الفعلية فان اهلها يضغفون عليها عادة حتى تستمر الحياة الزوجية وتتقدم عرى العلاقات القرابية ومن الملاحظ ان الزوجة التى دفع مهرها تعد بمثابة أضافه للبدنة كلها والاطفال هم بالتالى اطفال البدنة كلها ، ولجميع افراد البدنة الحق فى ان تقوم الزوجة على خدمتهم فالمرء هنا لا يعنى الملكية الخاصة بأى صورة من الصور (١٠) .

وقد عرض أبو زيد (١١) لصورة متميزة من صور الملكية فى الواحات الخارجة والداخله وواحة سيوة فى مصر هى ملكية الماء حيث ان الارض تعتبر ملكا للدولة التى تمنح الاهالى حق الانتفاع بالارض وان كان الماء والارض فى نظر الناس وجهان او مظهران لشيء واحد ، فالملكية الزراعية يحددها وجود الماء وتوافره وهناك زملمت لكل بئر من الابار حيث يمنع التعدى او الاستغلال اذ أن ملكية الابار تتم على أساس اقليمى بالنسبة لكل قرية حيث أن القرية بأراضيها وأبارها تؤلف وحدة اقتصادية واحدة وهناك الابار العابرة التى يشترك الجميع فى الانتفاع بها بينما تتوزع بقية الابار التى تقوم الملكية فيها على أساس الوحدات القرابية بما يمشى والتنظيم القرابى فى القرية والمركز الاجتماعى لكل بدنة ، وقد اوضح

أبو زيد أن الملاك قد يتنازلون عن بعض المياه نظير المال أو يتم الانتفاع من البئر نظير المشاركة في الحفر أو التطهير أو المساهمة المادية ويعرف هؤلاء باسم « المجاعلين » على أساس أن لكل منهم « جملاً في الماء » ويقوم « المعهدة » أو الخبير المشرف على إدارة البئر بالحصول على نصف محصول البئر والملاك على النصف الآخر بينما يتتبع « المجاعلين » بنصيبهم من الماء بما يوازى نصف نصيب المعهدة يحصل العمال على ربع نصيب المعهدة .

والملاحظ في الواحات أنه نظراً لخطر انطماس الآبار بفعل الرمال أو التوقف لنضوب المياه الجوفية فإن الأهالي يبذلون إلى توزيع نصيبهم بين عدد كبير من الآبار بدلاً من تركيزها في بئر واحدة أو المقايضة عن حقهم في استغلال بعض الآبار لغيرهم مقابل نزولهم عن حق استغلال مقادير مماثلة ( من الماء ) في بئر معينة .

ومن أروع الدراسات التحليلية الكلاسيكية في الأنثروبولوجيا الاقتصادية تأتي دراسة مالينوفسكى Malinowski عن « الكولا » في مؤلفه من « الأرجونائيس » في المقدمة إذ يتداخل النسق الاقتصادي مع الثقافة وبالقى انساق البناء الاجتماعي لدى التروبرياند ( في غينيا الجديدة ) حيث توجد مجموعة من القبائل التي يتبادل سكانها الهدايا والسلع بين مجموعة من الجزر التي تختلف في الثقافة والسلالة أحياناً ، ويتم تبادل الهدايا وتتحدد الحقوق والواجبات على أساس المكانة الاجتماعية دون أن يدخل ذلك في سياق المقايضة أو المساومة التجارية وتبدأ الرحلة ببناء القوارب التي يشرف عليها الخبير والساحر ثم تنشئها في احتفال كبير وتتضمن الرحلة المنجحة من **الشمال للجنوب** تقديم هدايا عبارة عن عقود طويلة من **الصف الأحر** بينما تتجه الهدايا المكونة من **الاسساور** في الاتجاه المقابل من **الجنوب للشمال** ، وقد تستهلك دورة كل من السلعتين من سنة إلى سنتين وتتضمن مجموعة المعايير المنظمة للكولا الكرم والسخاء مع ضرورة الهدايا بمرور الوقت كما تبدأ الكولا من **الجنوب** وليس من الشمال ممن لهم الملبأ كبيراً بقواعد السحر والابحار وبعد أن ينتهى التبادل الشماترى يدخل الناس في **عمليات تجارية** عادية يسامون فيها على السلع والحاجات الضرورية ، والملفت للنظر أنه توجد كولا داخلية حيث يقدم أصحاب المراكز الأقل الهدايا لأصحاب المراكز الاجتماعية العليا وهناك فضلاً عن ذلك الهدايا التي تقدم في مقابل أداء خدمات سحرية أو في حفلات والمناسبات الدينية أو مقابل التدريب على فنون سحرية ورقصات بعينها ويدخل في الهدايا عسل السمعة والصيت

بينما يؤكد هذا قوة الروابط الاجتماعية • وعندما تنتهى الكولا يبدأ تبادل السلع الاستهلاكية ذات الفائدة المعيشية .

وقد ابرزت دراسة انثروبولوجية تناولت التغير البنىائى فى المجتمع الكويتى ان التمايز العرقى فى المجتمع يقوم على أسس ( جديدة ) تختلف عنها قبل اكتشاف النفط فقد أصبحت الجنسية الكويتية تعنى مميزات اقتصادية وسياسية واجتماعية خاصة بالعمل والملكية والعضوية النقابية والمشاركة السياسية والوظائف الاشرافية ويعكس هذا الوحدة والتباسك العرقى ازاء الغالبية الوافدة للمجتمع (١٢) •

وتتصح دراسة الجماعات الاثنية فى مصر عن نتائج هامة نغى دراسة لسكان النوبة المصرية فى قرية ابو سنبل اتضح أن معظم الذكور قد نزحوا الى خارج القرية النوبية حيث يقصدون المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية طلبا للعمل وانه رغم وفرة السك فى التوبة القديمة فانه لم يحظ باهتمام السكان — بل كان يحسب لاسباب تاريخية من المحرمات — بل ان بعض العمال الصعيادة كانوا يتجهون للمنطقة ( فى الوقت نفسه ) للعمل بالزراعة واستخراج الفحم النباتى كما أن وجود اقارب وبلديات بالمدينة كان من بين العوامل الاجتماعية الجاذبة وبعبارة أخرى فالهجرة الداخلية هنا تعكس دواعى اجتماعية لا دواعى اقتصادية صرفة كما ان الهجرة لم تتخذ اتجاها وحيدا من القرية النوبية للمدن العاصمية بل ان هناك هجرة مصاحبة لها فى الوقت نفسه من قرى الصعيد الى منطقة النوبة (١٤) .

وفى دراسة أخرى لاثر التصنيع والتحضّر على البناء الاجتماعى فى المجتمعات المحلية الصغيرة اوضحت الدراسة السوسيوانثروبولوجية المقارنة لحد اطراف العاصمة المصرية وظهرها ازرأعية ان نمط التصنيع فى منطقة الاطراف القائم على استيراد المواد الخام ( كالاخشاب ) وتجميع الاجزاء الواردة من الخارج دون تخليقها ( كاجزاء اجهزة التكييف والمبردات ) يزيح الستار عن ارتباط احد المحليات الصناعية فى واحدة من مدن العالم الثالث بالسوق الرأسمالية العالمية ولم يؤدى التصنيع هنا الى مبعغ القوة العاملة بصيغة انتاجية اذ ان غالبية الفئات العاملة نازحة للمنطقة وتنتهى ثقافات تقليدية ونظرا لاميتها وتقص برائتها وتدريبها المهنى وانعدام تخصصها الحر فى مان متوسط انتاجها يعدد بنخفضا عادة نظرا لتدنى الخصائص الاجتماعية ( للقوة العاملة ) وسوء احوالها الصحية وتزايد تبعاتها العائلية ( لازدياد حجم الاسرة وانخفاض دخولها المادية ) ومعدم مشاركة المرأة فى

توة العمل الصناعية . وهكذا كانت تختفى الطبقة الوسطى في هذا المجتمع أمام القاعدة العريضة من شرائح الطبقة العاملة الفقيرة ممن يمثلون قطاعا حرجيا عانى من البطالة المنعومة في الريف نهاجر أفراده للبلدية للعمل بالحرف غير الفنية وقاموا بدرجات مختلفة الذوبان في الحياة الحضرية ( القاهرة ) .

**أما الظهير الزراعي** فقد حرم سكانه من أى مؤسسات صناعية أو خديبة وصاحب التدنى في الدخل والخصائص التعليمية والصحية ازديادا في حجم السكان كما تزامن التخلّف في أدوات الإنتاج مع التقنيات الكبر للعمليات الزراعية .

وهكذا ازدادت تبعية السكان للسوق في المدينة ( حيث يتم البيع والشراء ) . وتوجد مؤسسات الخدمات المختلفة (١٤) .

وقد تطمعت الانثروبولوجيا الاقتصادية شيوطا هائلا في السنوات الأخيرة ويعزى هذا من جهة الى كونها حقلا خصبا للدراسة والمقارنة نبي كما يذكر باريك Borraine Baric حقلا تطبيقيا وهى كما يذكر بـرلينج Burling تدرس الوسائل المادية لوجود الانسان وتساق الانتاج والتبادل والتوزيع والاستهلاك بل ان ميرث يعتقد أن منبع ثراء الدراسة في الانثروبولوجيا الاقتصادية هو تمييزها بين اقتصاد المجتمعات البدائية والقروية والصناعية ويرتكز التمييز هنا عادة على نمط التكنولوجيا المستخدمة وشكل رأس المال وأنواع المحاصيل وكيفية تسويقها ( في حالة الانتاج الريفي ) والحقوق والواجبات الاقتصادية وسبل التنمية الاقتصادية والتحديث واثار القوى الخارجية بصفة عامة في الاقتصاد وهو ما يلخصه فرانكـيرج في مجموعة من الاسئلة المتناحية ماذا ينتج ؟ بواسطة اى جماعة ؟ كيف تنظم الجماعات ؟ ما هدف الانتاج ؟ كيف يتم التعامل مع الصراعات ؟ ما هى البدائل المستخدمة ؟ ... الخ (١٥) .

دغنى من القول أن الاتجاهات النظرية في الانثروبولوجيا الاقتصادية قد انتقمت من المناقشات التى آزدهرت في الستينيات من هذا القرن حول الماركسية التى دارت حول مؤلف ماركس التقليدى من **التكوينات الاقتصادية السابقة على الرأسمالية** الذى ظهر بالانجليزية سنة ١٩٦٤ مع مقدمة بواسطة هوبسباوم Hobsbawn ومؤلفات انجلز Engels ، وفي مجال الانثروبولوجيا البريطانية ظهر مؤلف ورسلى Worsley لاعادة تقييم كتابات

فورتس (Fortes work on the Tallensi) وفي مجال الأنثروبولوجيا  
الأمريكية ظهرت كتابات هويت Steward Sahllins White ، وهاريس  
Harris وسرفيس Service ، وسالينز وستوارد .

وفي فرنسا ظهرت كتابات سيرت كانال J. Suret . . ومورتيس  
جودنير M. Godlier وكلود ميلسو C. Meillassoux وفي السبعينيات  
دارت المناقشات حول الماركسية الجديدة New Marxism وعن التكوينات  
الاجتماعية الاقتصادية قبل الرأسمالية وعن انبساط الانتاج وكيفية تعاضدها  
مثل كتابات ماتويل تيراي E. Terray .

وفي بريطانيا تعد الاعمال النظرية لبول هيرست P. Hirst  
وبيري هندس P. Hinds عن انبساط الانتاج قبل الرأسمالية « انعكاسا »  
لأراء لويس التومر L. Althusser . كما ان بيري أندرسون P. Anderson  
قد قدم من خلال كتاباته التالية :

— Passages from Antiquity to feudalism.

— Lineages of the Absolutist state.

تحليلا « رائعا » للتحويلات في التكوينات الاجتماعية قبل الرأسمالية .

وقد امانت هذه الرؤى التحليلية في تشييد العلم الانساني التاريخي  
الصبغة القادرة على التفسير وتحليل التشكيل الاجتماعي الرأسمالي وغير  
الرأسمالي، في مجال الأنثروبولوجيا الاقتصادية (١٦) .

« المصادر »

- ١ — R. Firth (Ed) themes in Economic Anthropology. U.S.A. 1970. pp. 1920.
- ٢ — R.E. Murphy. Cultural and social Anthropology. New Jersey, 1986, p. 130.
- ٣ — L. Joy. One Economist's view of the relationship between Economics and Anthropology. (In) R. Firth (Ed) op. cit. p. 38.
- ٤ — R. Frankenberg, Economic Anthropology. (In) R. Firth (Ed) op cit. pp. 47. 87.
- ٥ — R. Firth. op. cit. pp. 8 : 11.
- ٦ — التطور التاريخي لعلم الاجتماع الاقتصادي — ترجمة محمد الجوهري وآخرون في الاقتصاد والمجتمع في العالم الثالث — القاهرة — ١٩٨٢ ص ٣٠ : ص ٣٣ .
- ٧ — المصدر نفسه ص ٤١ : ص ٨٤ .
- ٨ — سلسلة « علم الاجتماع الاقتصادي » ترجمة محمد علي محمد في محمد الجوهري وآخرون — دراسة علم الاجتماع — القاهرة ١٩٧٥ — الفصل السادس .
- ٩ — تمهيد في علم الاجتماع ترجمة وتعليق محمد الجوهري وآخرون — القاهرة ١٩٧٨ — الفصل الثامن .
- ١٠ — أحمد أبو زيد — البناء الاجتماعي ج ٢ — الاسكندرية ١٩٦٧ — ص ١١٠ ، ص ١٨٠ ، ص ٣٦٠ ، ص ٣٦٩ .

R. Fronkenberg, *Economic Anthropology*, (in) R. firth  
(Ed) *Themes in Economic Anthropology*, op. cit. p. 59.

- ١١— أحمد أبو زيد — المصدر السابق — في مواضع متعددة .
- ١٢— محمد عبده محجوب — مقدمة في الاتجاه السوسيوانثروبولوجي —  
الاسكندرية ١٩٧٧ — ص ١٢٧ : ص ١٣٢ .
- ١٣— ثروت اسحق — هجرة النوبيين الى القاهرة — رسالة ماجستير  
غير منشورة — جامعة عين شمس — القاهرة ١٩٧٦ . وانظر  
للمؤلف أيضا :
- ١٤— أثر التصنيع والتحضر على البناء الاجتماعي في المجتمعات الصغيرة  
— رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة عين شمس — القاهرة ١٩٨٠  
ص ٣٣٤ : ص ٣٤٥ .
- ١٥— انظر مقالات ريموند نيرث ( المقدمة ص ٢٢ ) ومقال فرانكبرج  
ص ٥٧ ، ص ٥٨ .
- ١٦ — D. Seddon (Ed) *relation of production*. U.S.A. 1980.  
perface.

## الدراسة الحقيقية

### اوضاع وعلاقات الباعة في الاسواق الحضرية

#### دراسة في الانثروبولوجيا الاقتصادية (١)

تعد الاسواق من أبرز الظواهر القائمة في المدن حيث ينتشر الباعة في هذه الاسواق لتسويق السلع .

وتتخذ هذه الاسواق الطابع غير الرسمي وبخاصة في مدن البلدان النامية .

وتدخل هذه الدراسة في مجال الانثروبولوجيا الاقتصادية حيث سبقتها دراسات أخرى مشابهة فمن أمثلتها الدراسة التي قدمها جالوين وجالوين H. Goldwin, Ch. Goldwin عن الاسواق وباعة الاسماك في ساحل الكاب في غانا واستعاننا فيها بالاحصاءات والرسوم البيانية والمعادلات والخرائط الجغرافية .

وتهدف الدراسة الراهنة للتعرف على نبط العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة في الاسواق الحضرية وعلى اوضاع الباعة الجائلين الذين تضمهم هذه الاسواق وتنوع السلع المتاحة في الاسواق المتناثرة في المدينة وكيفية التعامل فيها بالبيع والشراء وصور الاستغلال التي يتعرض لها البائع والمشتري ، هذا فضلا عن الضغوط الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بهذه الشرائح ووميهم بكيفية التغلب على هذه الضغوط حيث قسمت

---

(١) يتقدم الباحث بالشكر للأستاذ الدكتور عادل عازر رئيس وحدة السياسة الاجتماعية والقانون بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية ويضم هذا التقرير مسودة التقرير النهائي للبحث الذي شارك فيه الباحث بمنوان « المهتمون من الفئات الدنيا في القوى العاملة » .

الدراسة الى قسمين رئيسيين تضمن اولهما دراسة الاسواق اليومية والثانية دراسة الاسواق الاسبوعية في المدينة المتروبوليتانية في القاهرة الكبرى . وقد استخدمت في الدراسة الاولى — التي تناولت الاسواق اليومية — وهى اسواق الخضار والفاكهة والاسماك — الملاحظة بالمشاركة فضلا عن صحيفة ( استمارة ) الاستبيان ( التي تضمنت أكثر من ٢٢٠ سؤال ) طبقت على مينة قوامها ٢٦٧ بائع في اسواق المنيرة الغربية ( امبابية ) ، والدقى ، والخلفاوى ( شبرا ) ، والزيتون . وأختبرت هذه الاسواق اليومية التي يتركز فيها الباعة بالقاهرة الكبرى (١) ويحتشد في هذه الاسواق الدائبة عادة عشرات الباعة ( بعرباتهم الخشبية ) وغالبا ما يتكس باعة كل سلعة الى جوار بعضهم البعض بصورة تسهل للبشرى ان يحصل على السلعة المطلوبة دون عناء كثير وفي الاحياء « الشعبية » حيث الطبقة الدنيا الفقيرة يضع الباعة سلمهم على عربات اليد أو الارفف الخشبية ويفترض بعضهم الارض ويجلسون القرفصاء بينما يتم عرض السلعة أحيانا على بساط من القماش المتين الصنع أو على أكياس ( من الخيش دأكن اللون ) .

وفي الاسواق اليومية الدائبة في الاحياء الى تتشكل عادة أو يغلب عليها سكنى الطبقة المتوسطة مان الباعة يتفون أو يستخدمون مقاعد خشبية للجلوس بجوار عربات اليد التي تحمل عليها السلع أو الى جوار الاكشاك الخشبية التي يضعون سلمهم على ارففها بينما تضاء هذه الاكشاك عادة بلبات النيون الكهربائية لتسهيل عملية البيع في المساء ، وفنى من القول أن اثمان السلع يحددها وفرتها من حيث الكم ومعدل الطلب عليها والسعر الجبرى الذى تحدده الدولة لها ( اذا وجد ) .

والامر الملفت للنظر في الاسواق الحضرية الاستهلاكية في مصر سواء اليومية أو التي تقام اسبوعيا ، انه نادرا ما تخصص لها مساحات من الارض الفضاء بل تقام هذه الاسواق اليومية في شوارع المدينة أو الميادين الصغيرة التي يشترط فيها ملاصقتها للسكان والمنطقة الاهلة بالسكان من جهة وعدم مرور المركبات العامة — قدر الامكان — في هذه الشوارع منعاً للحوادث وارتباك الباعة والزبائن من جهة أخرى وعادة ما يستغل الباعة الشوارع الجانبية والحوارى نتيجة لاتساع نطاق السوق وان كانت الجهات الرسمية ( ويمثلها مجالس المدن والبلديات في مصر ) تتولى تنظيم هذه الاسواق وأماكن وقوف الباعة ونظافة المنطقة .

١٠١١١١

(١) تمييزا لها من أسواق الجبله .

والفرق الاساسى بين الاسواق اليومية والاسبوعية أن الاسواق اليومية تعنى بأن تتم عملية البيع والشراء يوميا في منطقة بعينها في السلع الغذائية الحياتية التى تحتاجها الأسرة يوميا ولا يسهل الاستغناء عنها بينما تتسام الاسواق الاسبوعية بالنسبة للسلع الثانوية ( كالاثاث والاجهزة المستعملة والملابس والادوات المستخففة فى الصناعات الأولية ) حيث يقام السوق فى منطقة بعينها اسبوعيا غير أن الباعة الجائلين ينتقلون فى اليوم التالى الى منطقة أخرى وهكذا حتى نهاية الاسبوع فكان الإشارة باعتبارها اسبوعية تعيد وجود السوق فى منطقة بعينها دون أن ينبسط المعنى بالضرورة على الباعة أنفسهم .

وقد تناولت الدراسة الحقلية الثانية الاسواق « الاسبوعية » فى الاحياء الشعبية فى القاهرة الكبرى وأختبرت أسواق المطرية وأمبابة للقيام بالدراسة الميدانية حيث تقام اسواقها أيام الخميس والجمعة — على التوالي — من كل اسبوع ومعظم الباعة فى هذه الاسواق ممن تعد التجارة البسيطة مهلبم الاساسى فينتقلون بين المناطق والاحياء المختلفة المكونة للمعاصمة المتروبوليتانية التى توجد فيها أسواق اسبوعية ، ولكل بائع موقعه — شبه الثابت — دون الحاجة لاي علامات بارزة تحدد ذلك .

والاستثناء من هذا التجوال بين منطقة وأخرى ينطبق على الباعة كبار السن والنسوة ممن يتعذر عليهم الانتقال ( أسوة بالزملاء ) وأولئك الذين يعملون بحرف أخرى ( فى القطعاع الرسمى ) طوال الاسبوع ويمارسون التجارة البسيطة يوم الراحة الاسبوعية فى المنطقة التى يقع عليها الدور فى إقامة السوق محسوب .

ويشكل الباعة فى الاسواق عابة ما يسمى بالقطاع غير الرسمى الذى أشار اليه جيرى CH. Gerry وبروملى R. Bromley — فى مجال حديثهم من حضر العالم الثالث — فبالرغم من اشراف الدولة فى العالم الثالث على عملية البيع وتحديد ثمن معظم السلع التى تباع للمستهلك إلا أن يدها تكون قاصرة عادة عن الاشراف على عملية البيع والشراء نفسها وعن تنظيم حصول الباعة فى هذه الاسواق على السلعة من كبار تجار الجيلة ( الذين يتحكمون فى ألكم المعروض فى هذه الاسواق ) وضمان عدم استغلالهم بمعرفة هؤلاء ( الكبار ) كما أنها لا تتشغل فى معظم الاحيان بسياسة اجتماعية مفسدة تجاه شرائح الباعة البسطاء وأسرههم أو ضمان مستقبلهم المهنى أو ثبات دخولهم ومواردهم المادية ومن هنا فإن البعض أمثال كوريك

يصف شرائح الباعة الجائلين وأمثالهم بأنهم فئات هامشية Marginal تنتمي للقطاع الثالث من القطاعات الاقتصادية ( قطاع الخدمات ) في المدن ويدمجها النمو الرأسمالي - الذي يتفصل معه أيضا - في بلدان العالم الثالث ، ويعتقد Kowarick أن هذه الشرائح الهامشية تنزح من القرية عادة - نتيجة للتففل الرأسمالي في الريف - طلبا لفرص العمل في المناطق الحضرية . أو على حد تعبير روب دافيز R. Davies فإن العمل الهامشي يعد بالنسبة للغالبية بمثابة نجدة هزيلة من الفقر المدمر :

«Clearly, for most, informal work promises only slight relief from grinding poverty».

وبعبارة أخرى فالأسواق اليومية في المدينة تضم أعدادا كبيرة من الباعة الجائلين الذين يشكلون جزءا غير قليل من القطاع الذى يطلق عليه في المصطلح الاقتصادى القطاع غير الرسمى ويضم عادة شرائح القوة العاملة التى تضم الذكور الذين نزحوا من القرى بحثا عن فرص العمل في المدينة لاستقطبهم القطاع الثالث ( التجارة والخدمات ) ونظرا لاميتهم ونقص تدريبهم ( المهنى ) وضالة رأس المال المستخدم في البيع والشراء ( أو عدم وجوده أساسا ) نهى تعد شرائح هامشية ويطلق عليها جيرى Gerry وبروملى Bromley « **العائلة المعتمدة** » Dependent غالباً على الصغير في هذه الأسواق يعتمد على بائع الجيلة الذى يمكنه من شراء السلعة بالاجل ( بالئمن الذى يحدده بائع الجيلة ) ولكل بائع من هؤلاء الباعة الصغار تاجر يشتري منه السلعة فهو عادة لا يتنقل بين أكثر من بائع الا اذا حدثت مشكلة ما وعلى حد تعبيره :

«The street trader who normally sells»

«Products bought from a specific wholesaler»

وبعبارة أخرى فإن مشكلة القطاع الذى يشكل هذه الأسواق تتمثل في افتقاده للتتظيم والموارد ( أو الأصول المنتجة ) .

«Lack of resources and organization».

## أولا - الأسواق اليومية :

اتضح أن معظم الباعة الجائلين يقومون بعرض سلعهم على عربات يد ويلي ذلك العرض على أرغف خشبية وأن أكثر من ١٠ مجموع الباعة يجمعون مبالغ معلومة للخبراء نظير حراسة المكان أو نظير استئجار العربة .

ويجب نحو ٢٠ مجموع الباعة السلع الغذائية من الأسواق الكبرى بينما تتولى نسبة أقل احضار السلعة من تجار « كبار » خارج أسوار الأسواق الكبرى « وهناك نسبة ضئيلة تتجه للقرى القريبة لشراء الخضار والفاكهة الطازجة .

وقد أوضحت الدراسة الحقلية وجود وسطاء بين تجار الجملة وتجار التجزئة وبينما يؤدي وجود السماسرة الى رفع قيمة السلعة فإن البعض يعتقد أن وجودهم ووساطتهم يؤدي الى تخفيض قيمة السلعة ، ويحصل الوسيط على عبولته من الصلقة ككل أو على كل كيلو على حدة فإذا لم يحصل السماسر على العمولة المقررة فإنه قد يلجأ للإيذاء البدني للبائع للحصول على بغيته . وواضح أن دور الوسيط هنا تسهيل حصول البائع الجائل على السلعة نظير مقابل مادي .

ويتحمل الباعة الصغار نفقات نقل السلعة من مكان الشراء الى منطقة السوق فضلا عن المصروفات الناجمة عن تعبئة السلعة في أكياس أو صناديق وتحيلها على العربات الى سوق التجزئة وتؤدي هذه النفقات عادة الى رفع قيمة السلعة ، ويخاطر الباعة إذ ذاك بالبيع بأعلى من التسعيرة بينما اتفاد أقل من ١٠ الباعة الذين طبقت عليهم استمارة الاستبيان بأنهم لا يستطيعون رفع قيمة السلعة حتى لا يتعوا تحت طائلة القانون وفي الحالتين فإن بائع السلعة يتعرض لمشاكل عديدة سواء بوقوعه تحت طائلة القانون نظرا لتجاوزه التسعيرة المحددة أو لاضطراره بأن يحمل الخسارة 'المادية الناجمة عن ارتفاع ثمن السلعة .

وتضطر ظروف قلة المعروض من السلعة التاجر البسيط أحيانا الى بيع سلعة أخرى أو الامتناع عن البيع بصفة مؤقتة حتى تتخفض قيمة السلعة أو حتى يزيد المعروض منها ، والملفت للنظر أن تربية ٢٠ الباعة يضطرون في المقابل لخفض قيمة السلعة نتيجة لزيادة المعروض أو لقلّة الطلب أو رغبة

منهم في التخلص من المتبقى من السلعة لسداد التاجر الكبير اذ ان القيمة المادية عادة تدفع بتكليفها بعد بيعها وقبل الحصول على الكمية الجديدة ، والمضار هنا هو البائع الصغير الذى يضطر في الحالة الاخيرة لبيع السلعة باى ثمن حتى يتمكن من الالتزام بمسئوليته المادية تجاه تاجر الجملة الذى يقف بمنأى عن اى مخاطرة مادية .

وقد تطرقت الدراسة الحقلية الى الكيفية التى يتمكن البائع في الاسواق الدائمة من سداد قيمة السلعة لتاجر الجملة واتضح ان اكثر من نصف مجوع الباعة في السوق يحصلون على السلعة بالاجل « شكك » اذ انهم يعيشون من « اليد للرم » ولا يتمكنوا من استخدام الاسلوب الرشيد لتجنب راس المال المستخدم في التجارة ، ويلي ذلك السداد الفوري للذين هم الاسلوب المتبع في حالة الحصول على السلعة من اهد التجار الذين لا يبيعون لاجل او من الفلاح مباشرة حيث يلجأ التاجر الى شراء المحصول منه او يشارك معه بعض الباعة في شراء المحصول ( برمته ) وتقسيم القيمة الاجمالية بينهم مع دفع القيمة نقدا للفلاح قبل نقل المحصول الى السوق .

و في حالة العجز عن السداد لتاجر الجملة يقوم البائع لما بتغيير السلعة التى يتعامل فيها ويتجر بسلعة اخرى هربا من التاجر ( بصورة مؤقتة ) او يلجأ للاستدانة لسداد التاجر او كتابة شيك او ايصال امانة او الاستعانة ببعض التجار للوساطة بينهما . ولنا ان نتصور البائع الجائل الذى يحاول ان يحافظ على اتزانه واستقراره ليفقد هذا الاستقرار نتيجة لنقص الامكانيات والاصول المنتجة من جهة واستغلاله من قبل كبار التجار من جهة اخرى .

وقد يلجأ تاجر الجملة في المقابل الى عدم التعامل مع التاجر الصغير او الحجز على متعلقاته او يلجأ لايدائته بدينا ( ضربه ) اذا اعتقد بانه يراوغه في سداد قيمة السلعة .

وليس بخاف ان البائع الصغير يتعذر عليه تماما ان يهرب من منطقة اخرى او من حى الى آخر فهو واقع لا محالة في يد التاجر الكبير .

وقد ذكر نحو نصف مجوع عينة الباعة الذين طبقت عليهم استبارة الاستبيان ان الدولة ( ممثلة في وزارة التكوين ) تتولى تحديد قيمة السلعة وان كان من المؤسف ان الدولة لا تتدخل في تحديد العلاقة بين تاجر الجملة وتاجر التجزئة وهكذا يترك الباعة الجائلين كدمية في يد كبار التجار بينما

يتمرض الباعة الصغار في السوق كذلك للحاسبة بعمرة السلطات اذا حدث اى تجاوز للسعر المقرر .

وقد ذكر نحو ١٠ مجموع الباعة بأنهم يقومون بتحديد ثمن السلعة على ضوء العرض والطلب او التسعيرة ( ان وجدت ) ، والامر الملت للنظر حقيقة .

وذكر البعض بأن درجة جودة السلعة هو السر في اختلاف الثمن من بائع لآخر وقد اتضح كذلك ان التجار يتفقون احيانا على الثمن المحدد من المضاريات اما الامر الغريب حقا فهو ما ذكره ٧٩٪ من مجموع الباعة من ان تاجر الجملة هو الذى يحدد ثمن البيع للتاجر وثن البيع للزبائن ويحاسب التاجر الصغير على هذا الاساس كما في حالة الاسماك على سبيل المثال فتاجر الجملة هنا لا يكتفى باستغلال هؤلاء الباعة البسطاء مستغلا اعتقارهم لرأس المال وعدم تماسكهم في وجه استغلال صفوة كبار التجار فحسب بل يلبى عليهم ارادته في تحديد ثمن السلعة بينما ينفذ يده في حالة حدوث اى مشكلات لبائع الجائل مع الزبائن او مع اجهزة السلطة الرسمية .

والملت للنظر في هذه الاسواق التى تشمل السلع الحياتية بأن ثمن السلعة غير ثابت بل يتغير بين الحين والآخر وهذا التذبذب يرجع اساسا في نظر البائع الصغير الى تذبذب العرض والطلب او لتحكم كبار التجار او لتدخل الدولة .

وقد اصبحت استمارة الاستبيان التى طبقت على الباعة في الاسواق ( مجال الدراسة الحقلية ) ان البيع يتم يوميا بالنسبة لـ ٦٨٪ من الباعة اما بالنسبة لـ ٣١٪ من الباعة الصغار فان البيع يتوقف احيانا ، ويحدث هذا التوقف نتيجة للعجز عن الحصول على السلعة او للمرض حيث لا يجد البائع - وبخاصة اذا لم تكن أسرته برفقته في المدينة - سندا يعينه او للمشاغل الاخرى او رغبة في الحصول على راحة اسبوعية وبخاصة النسبة لكبار السن ، وقد اصبحت المشاهدات الميدانية بأن معظم الباعة الذين طبقت عليهم استمارة الاستبيان بأن ساعات عملهم غير محددة وقد تصل الى ١٥ ساعة يوميا اى انهم يقضون جل يومهم في البيع والشراء ودون ان تتوفر لهم فرصة لرعاية أسرهم ومتابعة اولادهم والترفيه عن انفسهم والاحساس بأنهم يتعبون .

وقد ذكر أكثر من ثلثي مجموع الباعة الذين تم استشارهم بأنه لا توجد هناك مواسم لتسويق السلعة متبادل للثالث قد ذكروا بأن هناك مواسم بيعينها لتسويق السلعة إذ أن بعض الفواكه والخضروات تتصل بفصول السنة نفسها وفي هذه الحالة يلجأ البائع للتجار في سلعة أخرى إبان عدم وجود السلعة .

وقد ذكر معظم الباعة الصغار موضوع الدراسة المسحية بأن هناك فترات يزيد فيها الطلب على السلعة وأنصح نحو ثلثي مجموعهم بأن هذه الفترات تتمثل في المناسبات المختلفة سواء كانت دينية أو اجتماعية بينما ذكر ٢٢٪ بأن هذه الفترات هي التي يمتنع — أو يصرح — فيها ببيع اللحوم ومن المعلوم أنه في هذه الفترات يزيد الطلب على الخضار والفاكهة والأسماك والدواجن ومنتجاتها .

وقد تطرقت الدراسة الحقلية إلى الطريقة التي سلكها البائع الصغير للاستقرار في السوق وأوضح أنه في الوقت الذي لم يعتد فيه أكثر من نصف الباعة على غيرهم اعتد باقي التجار على بلديات أو زملاء أو على أمين الحزب الحاكم في منطقة السوق وهو ما يعكس وعياً بدور الصفوة السياسية لضمان استقرار البائع الصغير الذي نزع من قريته للخدمة طلباً في الحصول على لقمة العيش له ولاسرتة والطريف أن ٧٦٪ من مجموع الباعة الصغار قد ذكروا بأنهم لجأوا إلى « رئيس السوق » ليصرح لهم بالاستقرار في السوق ويقصد بذلك وجود شخصية محورية يحترمها الباعة وتسند على مقومات العصبة وتتبع بدورها من هذا التجمع في الحصول على أصوات الباعة وتحقق من خلالها مكاسب سياسية محدودة .

ويحرص الكثير من الباعة على عدم إثارة مشاكل بينهم وبين تجار الجملة غير أن هذه المشاكل تحدث بسبب مغالة هؤلاء التجار في رفع أسعار السلع أو إلى لجوئهم للفسح مما يصيب البائع باضرار مادية كبيرة وأذا ذاك يتدخل الزملاء والبلديات والأقارب أو كبار التجار وقد تتدخل الجهات الرسمية لفض هذه المشكلات ، وإن كان على البائع أن يتحمل تبعه هذه الشكوى فقد يتعرض للاعتداء من قبل تجار الجملة وحاشيته .

ونادراً ما تحدث مشكلات بين التجار الصغير وقهره من باعة السلع الأخرى وإن كانت المشكلات تحدث عادة بين هؤلاء الباعة وبين الباعة الذين يقدون من مناطق ريفية لبيع الفاكهة ومنتجات الالبان فينتشرون الأرض أمام

هؤلاء وتنشأ الخلافات بينهم نتيجة لذلك ويتدخل البلديات أو التجار الآخرين لحل الخلافات مع الزبلاء منها لاحتدام الشجار ، وقد ذكر ٤٠.٣٪ من مجموع أفراد عينة الباعة الجائلين في الأسواق الدائمة بأنهم يقومون بالبيع بالاجل ومن الملاحظ أن هؤلاء الباعة يتعاملون في الأحياء الشعبية كالنيرة الغربية بابجاية والخلفاوي بشبرا ، ومع الفرائح الفقيرة والمتوسطة الحال ممن ينوء كاهلهم بالتبعات والالتزامات العائلية والحياتية مع انخفاض دخولهم أما من يتعاملون مع الزبائن نقدا فيبررون ذلك بحاجتهم لسداد تجار الجبلة بصورة دورية .

والطريف أن من ذكروا بأنهم يقومون بالبيع « بالشكك » قد اتفق معظمهم بأن معرفتهم الكاملة بالزبائن يشجعهم على ذلك ويتمشى هذا مع احتمال الباعة لتمكن شبه ثابتة في الأسواق بما يتيح لهم عادة التعرف على سكان الحي الذي يتجرون فيه بل أن بعض الباعة قد عسروا سبب لجوئهم للبيع بالاجل بأن الزبون لا يطلب بيمه بالشكك إلا إذا كان مفلسا وأنهم يرون ضرورة طلبية طلب الزبائن لهذا السبب ، وغير خاف أن مصلحة البائع الصغير تقتضى سرعة التخلص من ألفاكهة والخضر والأسماك وغيرها حتى يتجنب التاجر تلف السلعة من جهة ولسداد تاجر الجملة في الموعد المحدد من جهة أخرى ، فالمصلحة هنا مصلحة مشتركة تنتفع منها الباعة الصغار والفرائح العائلية الفقيرة التي يقف مجزها المادى حائلا من دفع قنية احتياجاتها يوميا بعد يوم غيثم السداد في فترات أو مواعيد بعينها .

وقد ذكر معظم الباعة المسفرون أنه لا تثار بينهم وبين الزبائن أى خلافات وهو ما أبرزته الدراسة الحقلية . فالبائع هو الخاسر عادة إذا دخل في فلك هذه المشاكل سواء من الناحية المادية أو من غيرها من النواحي .

فماذا حدثت خلافات بينه وبين العملاء كانت نتيجة لاثام الزبائن له بالسرقة أو محاولة إعادة السلعة المباعة له بعد وقت قصير بحجة رداءة السلعة ...

وقد اتضح أنه تحررت مخالفات لما يزيد عن ثلث الباعة بسبب البيع باعلى من التسمية وشغل الطريق .

وفي حالة حدوث خلافات مع زملاء أو مع زبائن يلجأ البائع الجائل

لغيره من الباعة وللبلديات وقد يصل الامر الى حد النجوة للشرطة اذا تحرش احدها بالآخر وتعذر التوفيق بينهما ،

ومن الحقائق الهامة المتصلة بالحراك المهني بين الابناء والاباء اتضح انه بالنسبة لاکثر من نصف آباءه كان الوالد يعمل بالزراعة وبالنسبة لنحو ثلث الباعة كان الوالد يعمل بالتجارة البسيطة ، ويعنى هذا بعبارة اخرى ان الحراك المهني بين الاباء والابناء يكاد يكون محدودا أو معدوما ، فالزراعة والتجارة البسيطة لا تكاد تختلف عن التجارة السائدة في السوق.

وقد اتضح من الدراسة الميدانية التي استخدمت فيها استمارة الاستبيان ان نحو ٦٠ مجموع أفراد العينة قد جاءوا من محافظات أخرى والغالبية الساحقة منهم قد ولدوا بمناطق ريفية في هذه المحافظات الرييفية ، ومن المرجح ان هؤلاء المهاجرين قد نزحوا من القرى لتحسين ظروفهم الحياتية ويؤدي هذا الحراك الجغرافي الى تغيير اسلوب الحياة ونمط العلاقات والاتجاهات والقيم بالنسبة لهؤلاء المهاجرين وان كان تأثيرها يصبح أعمق شأنًا بالنسبة للجيل الثاني والثالث على وجه الخصوص وغالبية الباعة المهاجرون قد جاءوا الى العاصمة للعمل فيها منذ أكثر من ١٠ سنوات وأقل من ٣٠ سنة . غير انهم ظلوا حتى الآن ترائح فقيرة تعمل بالتجارة البسيطة وتستغل استفلايا منظما من قبل قوى أكبر منهم ، والامر الملفت للنظر ان معظم المهاجرين كان يوسعهم العمل في المناطق التي نزحوا منها غير انهم فضلوا الهجرة للمدينة طمعا في الحصول على العمل والاجر الثابت بدلا من العمل الزراعى المعرض للطابع غير انهم اضطروا لايتهن ونقص تدريبهم المهني — للعمل بالتجارة البسيطة فاصبحوا اداة طيعة في يد كبار تجار الجملة الذين تزداد ثروتهم على حساب هؤلاء الباعة الصغار من يتكئون بالكاد من تغيير ظروفهم المعيشية والقيام بأود أسرهم فيعملون لتحقيق هذا الغرض على تشغيل اولادهم الاحداث معهم في الأسواق فيتعذر على هؤلاء الابناء فيها بعد ان يستكملوا تعليمهم او يعملوا بهن أخرى فنية او نصف فنية ، وقد اصبحت الدراسة الحقلية ان معظم الباعة الصغار يتكدسون مع أسرهم في مساكن ضيقة مشتركة او حجرات او اكشاك خشبية حيث يزداد معدل الازدحام في المسكن غير الصحي فتسهل الإصابة بالامراض المختلفة وقد يترك التاجر الصغير أسرته في الموطن الاصلى ويعيش بفرده في حجرة مشتركة او ينالم بجوار بضاعته في السوق نتيجة لفشله في العثور على السكن المناسب في المدينة بينما يرسل لاسرته جزءا معلوما من دخله

الامر الذى يؤدى بدوره الى مشاكل عديدة شخصية واسرية في مناساطق الجذب والطرد معا . وهكذا يزداد الفقر فقرا نظرا لسوء احواله المعيشية من جهة وسوء المرافق وظروفه السكنية غير الملائمة من جهة أخرى .

ومما يميز الباعة في هذه الاسواق اليومية أن أكثر من نصف هؤلاء الباعة يعيشون في ألحى نفسه الذى يوجد فيه السوق ، ويشترك عدد ليس بقليل من الباعة في **جميعيات اختييارية** تضم الزملاء والبلدات وتوفر لهم المساعدات المادية في حالة تعرضهم للكوارث وتحاول أن تعوضهم عن الروابط والعلاقات الوثيقة ( التى انتقدوها بعد الانزوح للبدينة ) وهى نتيجة تتفق مع دراسات ليتل وغيره من علماء الانثروبولوجيا الذين إبرزوا أهمية الدور الذى تلعبه هذه **الجميعيات** في مناطق الجذب نهى جميعيات تزيد تماسك هؤلاء الباعة من ناحية وتربطهم بالوطن الاصلى من ناحية أخرى كما تحببهم من الصدبة الثقافية في المدينة الكبيرة من ناحية ثالثة .

والامر الملفت للنظر كذلك أن بعض من رغبوا الاثرتاك في هذه **الجميعيات** انماذوا بأنه ليس لديهم وقت لذلك وهو ما يوضح ضغط الحياة المعيشية والجبرى وراء لعبة المعيش نتيجة لدورة الحياة السريعة في المدينة .

وغنى عن القول أن هذه الشرائح تحرم تمامها من ملكية أدوات الإنتاج ومن رعاية الدولة لها وهو ما يعنى أنها **انما تترك ككديبة في يد الشرائح البرجوازية** فتعانى من الاغتراب نتيجة لذلك ويوجه جهدها الأكبر لاشباع احتياجاتها الأساسية التى لا تشبع كما ينبغى .

وما نريد أن نؤكدده في النهاية أن حشود التجار الصغار في أسواق المدينة تؤدى مجموعة من الادوار المزخوجة :

نمى **عمالة وافدة من القرية** للعمل في المدينة حيث تستبدل الزراعة بالتجارة البسيطة أى أنها تخرج من **القطاع الاول** ( كما يسميه الاقتصاديين ) وهو قطاع الإنتاج الزراعى الى **القطاع الثالث** وهو قطاع التجارة والخدمات .

وهى **قوة عاملة عانت من البطالة المتتمة في الريف** فاشتغلت بالاعمال العرضية المتتمة في التجارة البسيطة التى تفتقد لرأس المال وتقع بهامش

الريح البسيط ، أما الريح الحقيقى فيذهب لصالح كبار تجار الجبله من يزداد تراكم رأس المال بالنسبة لهم دون أن يتعرضوا بدورهم لمخاطر وتطلبات السوق .

**وهى شرائح عمالية أو بروليتاريا هامشية تعاني من تدنى خصائصها الاجتماعية (١) وتضطّر في المقابل لتشغيل الإبناء الصغار لسداد قبيصة السلعة بينما لا تلك فكلّا من قبيصة الدولة التى تدافع عن جبههـ المستهلكين وهى تمنّى أيضا من تدخل السماسرة والوسطاء الذين أسهبوا في زيادة قيمة السلعة ويعتبرون منافذ لعملية الشراء .**

فإذا كانت هذه الشرائح العمالية قاصرة عن الوفاء بالتزامات العمل الصناعى أو التجارة الرشيدة في المدينة فإن هجرتهم للعاصمة تلعب دورا هاما في تخفيف حدة البطالة في القرى التى نزحوا منها وإذا كانوا يقاومون بدورهم الذوبان في مجتمع المدينة (٢) فإنهم ينتخبون بعض الأساليب التخفية الحضرية التى تسهل احتكاكهم بمجتمع المدينة ولا تعارض وثافتهم التقليدية .

والهجرة هنا بالنسبة للباعة في السوق تأتى كاستجابة للفروق الموجودة بين الريف والحضر في مصر ودول العالم الثالث حيث ينشد البائع الصغير في السوق العمل في مجال التجارة البسيطة دون أن يفقد الأمل في الانتقال للقطاع الحديث للعمل في مجال الخدمات الهامشية اذا سنحت له الفرصة في المستقبل .

ويرجع كوستلو F. Costello ويريز سبب تكس الباعة الجائلين في الأسواق وأرصعة مدن العالم الثالث الى تدنى مستويات دخول هذه الشرائح وقيام الدول بتنظيم تولجدهم في المدن فضلا عن رغبة هؤلاء الباعة في التركيز في مناطق بعينها في المدينة . وغير خاف أن هذه المبررات لا تقصر تكسها في هذه المناطق إذ أن السبب الحقيقى يكمن في نقص الاصول المنتجة وضآلة رأس المال فمهم يلجأون عادة للأحياء الشعبية

---

(١) يقصد بها الخصائص التعليمية والمهنية ومكانتها الاجتماعية الخ .  
(٢) اذ يحتفظ معظمهم بلباسه التقليدى ولهجته الأصلية .

والمناطق ( المتخلّفة ) حيث الأعداد الهائلة من البشر الذين يتكونون من تصريف سلّهم بواسطتهم كما أن هذه السلع بدورها تكون عادة متوسطة الجودة رخيصة الثمن مما يسهل بيعها في هذه المناطق .

### ثانيا - الأسواق الاسبوعية :

تمت هذه الدراسة الحقلية في أسواق المطرية وإبابة حيث تقسم هذه الأسواق اسبوعيا في هذه الأحياء وليس بخلاف أن هذه المناطق كانت بدورها مناطق زراعية قبل أن تضم لكردون المدينة . وقد انضح أن « الفرخة » ( ١٠ ) تعد أكثر السلع تداولاً في هذه الأسواق كما أن أعمار الباعة مادة تزيد عن ٤٠ سنة ( ٧٥ ٪ ) من مجموع الباعة المدروسين في أسواق المطرية وإبابة ) وليس بخلاف أن الأعمار هنا أعلى قليلاً من أقرانهم في الأسواق اليومية فالحنكة والمهارة لازمة وإساسية للبائع في هذه الأسواق وغنى عن القول أن الأهمية تنتشر بينهم بصورة ملحوظة ، والغالبية الساحقة من الباعة متزوجين ولهم أطفال غير أن نسبة من يبلغ أولادهم خمس سنوات فأكبر تصل إلى ٣٠ مجموع الباعة في هذه الأسواق الشعبية ويعنى هذا أن أسرة البائع كبيرة الحجم حيث يصبح الأولاد مصدراً أساسياً للدخل الضئيل . وبعبارة أخرى فالبائع هنا ينتقى للبرحلة العمرية التى تسمى مرحلة ما قبل الشيخوخة « ٥٠ فأكثر » ، وهو أمى صاحب أسرة كبيرة الحجم ، ويشكل هذا تدنياً في الخصائص الاجتماعية والديموقراطية ، وينتقى معظم باعة هذه الأسواق الاسبوعية لمدينتى القاهرة والجيزة وليس هذا بالامر المستغرب فمن الطبيعى أن يسكن باعة الأسواق الاسبوعية في اقليم القاهرة الكبرى حيث تنتشر في مجتمعاتها المحلية هذه الأسواق ، ويتفق أفراد هذه الشريحة مع شريحة الباعة في الأسواق ( اليومية ) في انتسابهم لإباء كانوا يعملون بالزراعة والأعمال الحرفية البسيطة ويعنى هذا أن الآباء كانوا يعملون في مجال المهن البسيطة وأن الحراك المهنى بين الآباء والأبناء ليس كبيراً وهكذا يعاد انتاج العامل الأمى المتزوج صاحب الأسرة الكبيرة الحجم الذى يكاد يكفى بالكاد توت أولاده بينما يعيد أولاده هذه الدورة عادة مرة أخرى ، وآلملت للنظر بالنسبة للأسواق الاسبوعية أن البضاعة

---

(١٠) تشمل الفرخة أدوات كهربائية مستعملة وأخشاب وقطع اثاث وحديد ونحاس ... الخ .

او السلعة تتجمع لدى الباعة من المرور على المنازل والمؤسسات والمتعهدين والاسواق الكبرى ، وهى عملية تستلزم جهدا وقدرة على المساومة فى الشراء والبيع . والطريف أن معظم الباعة لا يستسيغون فكرة عمل اولادهم فى مجال التجارة ( البسيطة ) كباعة فى الاسواق الاسبوعية ويعنى ذلك أنهم يرغبون عادة فى أن يعمل الابناء بأعمال أكثر استقرارا عوضا عن العمل بهذه الاعمال المعارضة غير المستقرة غير أن استماعتهم باولادهم فى سن صغيرة وحرمانهم من التعليم يجعل تحقيق هذه الرغبة أمرا عسيرا ، ولا تكاد نسبة الباعة الذين ذكروا أن ثمة مشاكل بينهم وبين الزبائن تتعدى ربع مجموعهم وان كانت معظم هذه المشاكل تحدث بسبب الاختلاف فى تقدير الثمن فالبيع والشراء يتم عادة هنا دون وجود لافتات بالاسعار المقررة بل من خلال عملية المساومة ، ويدفع معظم الباعة قيمة مادية نظير الدخول فى السوق وهذه القيمة تحصلها فى التاجر جهات رسمية كالمجلس المحلى ولكنها تصل عادة الى جيوب السماسرة و « الفتوات » فى الاحياء الشعبية ممن يفرضون عليهم اتاوات .

وفى حالة حدوث مشكلات فى السوق تترك الامور عرضة لتدخل « أى حد » للتغلب على المشكلات بينما يتدخل البوليس بصورة تتعدى ربع مجموع المشاكل بقليل . والواقع أن المشاهدات قليلة الحدوث فالقراء هم رواد هذه الاسواق وهم يعلمون أن السلعة بدورها مستعجلة من قبل وبها عيوب .

ومهما يك من تمايز للبائع فى هذه الاسواق عن البائع الجائل فى الاسواق اليومية للخضر والفاكهة والسلع الغذائية ( حيث لا توجد رقابة على الاسعار ولا ضغوط من تاجر الجيلة ولا سماسرة أو وسطاء ) فإن الزبون يكاد يخطف عن قرينه فى الاسواق اليومية فهو لا يذهب لشراء ما يسد رمقه بل يتردد عادة لشراء بعض قطع الاثاث القديمة أو الملابس المستعملة أو الخردة من الادوات الكهربائية وغيرها من السلع ( الكيالية ) التى يتولى اصلاحها حتى لا يضطر لشراء الجديد ذو السعر المرتفع واذا ذاك فان كم الضغوط الرسمية هنا على البائع الجائل أقل بكثير فى هذه الحالة منها فى حالة اتجاره بالسلع الغذائية كما ان الكثير من الزبائن فى هذه الاسواق من الهواة الذين يبحثون عن التحف أو قطع الفخار أو الصور والاجزاء التى تعذر عليهم شرائها من متاجر المدينة أما عن شكل السوق نفسه فان الباعة فى الاسواق الاسبوعية يقرشون عادة الارض حيث توضع السلعة

على اسمال بالية ويضطر الزبائن للجلوس القرمصاء لانتهاء عملية الاختيار والشرء ، كما تتم عملية الشرء عادة في زمن أطول نظرا لرغبة الزبون في فحص السلعة ومعرفة عيوبها وفحص تناسب مقاسها أو حجمها مع المقاس أو الحجم اللازم له كما أن الاثاث والأجهزة الكهربائية وغيرها في حاجة الى المزيد من الفحص قبل بداية عملية المساومة ، حتى لا يكتشف الزبون عدم صلاحيتها بعد أن يشتريها . وعادة ما يستقر الكثير من هؤلاء البساعة بسلمهم الكبيرة منذ مساء اليوم السابق للسوق حتى يتمكنوا من ضمان الموقع أو مكان عرض سلعهم ووضعها في الحيز المتاح بصورة تسهل عملية البيع والشرء ، وينفض السوق عصر اليوم التالي ومن ثمة ينتقل معظمهم الى منطقة ثانية وثالثة حسب تواجد السوق الاسبوعي في هذه المناطق ، وهكذا يلهث البائع بصورة مستمرة وراء لقمة العيش دون أن تتوفر له أبسط الضمانات التي تكفل له حياة عائلية أو اقتصادية مستقرة .

وغنى من القول أن هذه الشرائح بدورها تحرم تماما من ملكية أدوات الانتاج ومن رعاية الدولة لها وهو ما يعنى أنها تترك كدمية في يد الشرائح البورجوازية .

فالبائع الجائل يعمل لمجرد أشباع احتياجاته الأساسية بحسب وهو يحرم عادة من تدخل الدولة لحمايته مما يؤدي لعدم استقراره . ولا تعامل هذه الشرائح الهامشية معاملة الشرائح المهنية أو العمالية الأخرى التي لها حقوقها النوعية في الرعاية الصحية أو الإسكان أو المواصلات بل أنها تترك في هذه الحالة وحيدة تلهث خلف الحد الأدنى من الرعاية الصحية المجانية غير الكافية وتتعرض نتيجة لضعف دخلها للعديد من المشكلات الشخصية والاسرية ، وقد أتبع للباحث أن يقضى فترات متقطعة في ملاحظة الاسواق اليومية والاسبوعية في بعض البلدان كتركيا واليونان واتضح أن البساعة الجائلين في اسواق أسطانبول وإثينا ليسوا بأسعد حالا من نظرائهم في مصر .

ولعل هذا يؤكد ما ذكره كوريك بقوله :

«That of self — employed workers intertiary sector (street vendors) selfemployed workers in maintenance and servicing .. which in addition to unemployment and temporary and seasonal

work are not only constantly stimulated by capitalist development but also structurally articulated with it».

وما نريد أن نؤكد في النهاية هو أن شبكة العلاقات الاجتماعية في الأسواق الحضرية اليومية والاسبوعية بين البائع الجائل والمستهلك هي علاقة تقوم على دعائم مستقرة وشبه ثابتة وإذا كان البائع يتعرض من سكان الأحياء الشعبية لضغوط مادية واجتماعية لا حصر لها فإن الباحث يشعر في نهاية الأمر أن البائع في هذه الأحياء التي قمنا بدراستها يتعرض لضغوط اجتماعية واقتصادية من قوى في سوق الجبلية ، ومن الجهات الحكومية التي تركز على رقابة الأسواق الاستهلاكية وعلى العلاقة بين البائع والمشتري دون أن تمتد هذه الرقابة لتحكم العلاقة بين تجار الجبلية أنفسهم وتجار التجزئة الذين تؤدي ظروفهم وأوضاعهم الاقتصادية السيئة للوقوع في براثن هذه الشرائح البورجوازية التي لا تكتفى بظلم هذه الشرائح بل وبإفلاقهم كذلك بالأسعار مما يصيب الناس بهزات اقتصادية عنيفة وتعرض الاقتصاد القومي بمرته لمخاطر عديدة .

---

## الفصل الثامن

### « الأنثروبولوجيا السياسية »

يذكر سبرادلى ومكردى Spradley, McCurdy (١) أن السياسة  
تعنى العمليات الثقافية المستخدمة لصنع القرارات التى تؤثر فى السياسة  
العامة .

وليس معنى هذا أن المجتمعات المتقدمة والامم الحديثة تحتكر لنفسها  
هذا النسق السياسى دون غيرها من المجتمعات البسيطة بلدى معظم هذه  
المجتمعات البسيطة والقبائل انساقها السياسية التى تنهض على قواعد  
وأعراف وتقاليد غير رسمية وغير مكتوبة .

ولكل مجتمع وسائل لإنهاء الخلافات بين الافراد كجزء من نظامه  
السياسى ، وقد تتضمن هذه الوسائل نظما رسمية كالمحكمة . وفى احسان  
أخرى يستخدم المجتمع وسائل غير مادية لإنهاء هذه الخلافات وهى التى  
يمبر عنها كوش K.F. Koch بقوله :

«Every Society has as part of its political: System, Means  
for settling disputes among members».

غير أننا نرجح أن المجتمعات البسيطة والقبائل التى تعيش فى عزلة  
نسبية تستمد السلطة السياسية فيها قوتها من غيرها من الانساق ولا سيما  
من الانساق القرابية ومن بعض المحددات الموروثة كالمكانة الاقتصادية  
وقوة وسطوة القادة والزعماء وغيرها من المحددات الذاتية ، ويذكرنا هذا  
بما سبق أن ذكره سير هنرى مين Maine حين ميز بين شبكة العلاقات  
الاجتماعية فى المجتمعات البسيطة القائمة على اساس المكانة الموروثة  
والقراية مقابل العلاقات الاجتماعية المعقدة القائمة على اساس المكانة

المكتسبة في المجتمعات المعقدة وما قدمه فيبر M. Weber عن المجتمعات التقليدية وغير التقليدية ( كنماذج مثالية ) (٢) .

وقد زخر تراث الرواد أمثال ماركس وإنجلز وميرتون بالمعديد من وجهات النظر والمداخل المختلفة التي يمكن أن تساعدنا في تحليلنا للنسق السياسي وفهم دينامياته المختلفة فماركس Marx قد أبرز الوعي بالصراع الطبقي Class Struggle وأرجع الاختلاف بين الجماعات الاقتصادية لوعيها الطبقي الذي يجسد ويزيد من حدة هذا الصراع حيث تشكل علاقات الإنتاج ( البناء الاقتصادي ) البناء السياسي العلوي للمجتمع (٣) فتمسك الانتاج يشكل الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية برمتها في التراث الماركسي .

بينما يؤكد إنجلز Engels أن الدولة في كل حقبة تبرز سيادة طبقة بعينها على ما عداها فالدولة في الحقيقة هي دولة الطبقة الحاكمة (٤) .

وقد اهتم ميلز Mills بالقوة والسياسة والناس والمعرفة واعتبرها جوهر الدراسة في الانسانيات وغير خاف أن هذه المعطيات هي جوهر النسق السياسي ذاته ومفتاح دراسته أيضا (٥) .

وقد تعرض ميرتون Merton للنسق السياسي — في معرض حديثه عن البناء والوظيفة الاجتماعية حيث تساعد الوظيفة الاجتماعية لأى تنظيم في تصدب البناء الاجتماعي — وهو يؤكد أن الجهاز السياسي يؤدي وظيفة بعينها في المجتمع ماذا حدثت غيوب بالنسبة للجهاز الرسمى للدولة ظهر بقاء سياسي ( يدلل ) لاشباع الحاجات المرجوة بدرجة أكثر كفاءة ولاشباع حاجات أخرى غير مشبعة لجماعات وشرائح مختلفة من السكان (٦) .

وتشير السياسة عادة الى القسوة حيث تستحوذ القوة السياسية عادة لتحقيق أهداف اقتصادية فالثروة تعنى القهرة على الضبط والهيمنة السياسية إذ أن الاقتصاد والسياسة صنوان (٧) .

ويرى بعض النقاد أن النسق السياسى يعكس فكرة المحافظة على النظام فى المجتمع فى أغلبهم معين بالذات من خلال استخدام القوة أو التهديد باستخدامها .

وان المتبع لتعريف رواد هذا العلم للنسق السياسى واسلوب معالجته يلحظ خلافات بينهم فى وجهات النظر فهويل Hoebble يرى سيادة التنظيم السياسى فى كل المجتمعات الانسانية بينما يقصر ردفيلد Redfield وجوده على المجتمعات المعقدة فى الوقت الذى يعتقد فيه مردوك Mrudock أن عامل العدد أو حجم السكان فى المجتمع له دخل كبير فى تكوين الدولة (٨) .

وغنى عن القول أن النسق السياسى فى المجتمعات البسيطة والمعقدة على حد سواء — لا يمكن دراسته الا فى ضوء علاقته بباقى الانساق ، ويذكر روفيلد أن كل من فورتنس F.M. Fortes وإيلنر برتشارد E. Pritchard قد قلما بدراسة الانساق السياسية والقانونية والقروية فى بعض المجتمعات الانثريتية ويتفق هؤلاء الرواد فى أن وحدة الجماعة من الداخل وتماسكها من الخارج هو السند الذى يستمد منه الأفراد أوضاعهم ومراكزهم الاجتماعية فالبناء الاجتماعى فى نظر فورتنس على سبيل المثال يعكس نسق المراكز والادوار السياسية والقانونية ( التى ترتبط بالمكانات التقليدية فى المجتمعات البسيطة ويعزز بواسطة الاغلب والجزاءات الشعائرية ) .

ويرى فورتنس أن هناك نظاما يقفل فى البنية التى تمثل سدئ النسيج الاجتماعى أو لحبته — فضلا عن العلاقات التى تقوم بين أرباب السلطة الذين يخضعون لهذه السلطة .

ويلفت ردفيلد النظر فى دراسته لشان كوم Chankom الى ظاهرة الحزبية والانقسامات داخل المجتمع المحلى والتى تدور عادة فى فلك القرابة واللاتات القروية — لبلوغ أهداف سياسية — ومن المعروف أن قرية ( شان كوم ) التى درسها ردفيلد كانت جزءا من دولة قومية وهى المكسيك وكانت جماعة « ليجسا » فى المجتمع المحلى تضم الشهاب فى القرية وتعتمد بدورها فرعا من الحزب السياسى المسيطر فى الدولة ، وقد درس ردفيلد المدرسة والحزب السياسى والجمعية التعاونية الزراعية كأجزاء مستحدقة فى البناء الاجتماعى أنتليدى لهذه القرية (٩) .

وقد استحوذت **التغيرات السياسية** التي تحدثت في المستعمرات  
الامريكية على اهتمام علماء الانثروبولوجيا وقد نظر البعض من امثال  
**مالينوفسكى Malinowski** الى هذه المجتمعات باعتبارها محل تعامل  
ثقافة أصنية تقليدية وأخرى استعمارية وافدة مطلق عليها « المجتمعات  
المؤتلفة » وسمى لدراسة وتحليل عمليات التغيير والتفاعل الثقافي ،  
بينما نظر اليها البعض الآخر من امثال **وانكليف براون** ليس في ضوء فكرة  
التفاعل محسب ، بل على اعتبار أن تفاعل الافراد والجماعات يتم داخل  
بناء اجتماعي واحد قائم بالفعل يمر — هو نفسه — بعملية تغير لها يحدث  
في احدى قبائل « الترانسكاي » لا يمكن دراسته الا باعتبار ما يحدث  
يشكل جزء من **النسق السياسي** الذي يصعد بدوره احد اركان **البناء  
الاجتماعي** اكبر المتركيز هنا على البناء الاجتماعي وليس على عملية التغير  
نفسها (١٠) ومع أهمية النسق السياسي ( اوى اى نسق آخر ) الا أن جورج  
جورفيتش G. Gurvitch يلفت النظر الى أنه لا يمكنه أن يعبر بمفرده  
عن البناء الاجتماعي للمجتمع الكبير بل أن الدولة نفسها أو الاحزاب  
السياسية ألقائبة في المجتمعات المعقدة تمجز وحدها عن اعطاء « صورة  
حقيقية عن هذا البناء » (١١) .

ويذكر الفريد ستيبان Astapan (١٢) أن هناك ٣ **واجهات أساسية  
للدولة في أى مجتمع :**

١ — **حماية المجتمع من الغزو الخارجى .**

٢ — **حماية كل عضو من تعسف الغير وارساء دعائم العدالة .**

٣ — **تأسيس ودعم النظم العامة في المجتمع .**

والامر الذى ينبغى أن يعترف الباحث به أن الانثروبولوجيا السياسية  
لم تمنح اهتماما حقيقيا من العلماء خفية القاء الضوء على الاستعمار  
والكشف من حقيقة ممارساته بل أن اصحاب المداخل الوظيفية ممن قاموا  
بدراسة النسق السياسي وبخاصة في افريقيا لم يتوصلوا — بصورة  
أو باخرى — الى أن هذه المجتمعات قادرة على حكم نفسها طبقا لثقافتها  
وتقليدها السياسية الخاصة وعلى العكس من هذا فقد توصلت معظم هذه  
الدراسات الى أن هذه المجتمعات ما زالت تسودها الفوضى السياسية  
والتناحر بين القبائل المختلفة (١٣) .

ويقرر بيلز وهويجر Hoijer ، Beals (١٤) أنه بالرغم من أن الجماعة المحلية تشكل نقطة انطلاق في دراسة النسق السياسى إلا أن الجماعة في حد ذاتها قد لا تشكل بالضرورة وحدة سياسية مستقلة غير أن وجود شخصية أو شخصيات قيادية يعد من مستلزمات هذا النسق ولدى بعض القبائل تتشكل الوحدة السياسية من مجموعة من العشائر أو العصبية التي تشترك عادة في مشروعات اقتصادية أو اجتماعية أو طقوسية وإذا ذلك تؤدي الوظيفة السياسية من خلال التنظيم الأخرى كالقراية والدين فتظهر الوظيفة السياسية دون التنظيم السياسى ذاته وهو ما يسود عادة في المجتمعات البسيطة المنعزلة ، وهناك المجتمعات المنظمة سياسيا والتي تلجأ أحيانا للانتظام في اتحادات ( بينها يسودها الاقتصاد المبتسئ ) كما أن هناك مجتمعات حربية تطمح في السيطرة على ما عداها حيث ينتج الاقتصاد فائضا يمكن تبادله مع العالم الخارجى .

وغنى عن القول أن كتابات ماركس ومؤلفاته في الاقتصاد السياسى قد أثرت تأثيرا واضحا في مجال الأنثروبولوجيا السياسية وقد أوضح فهم (١٥) أن علماء الأنثروبولوجيا قد شغلهم في أعمال كارل ماركس مسألتين أولهما نظرة ماركس للإنسان ، والثانية نظريته في التطور الاجتماعى ، وعلى الأخص آرائه عن المجتمعات البسيطة ( البدائية ) فالإنسان من جهة جاع للعلاقات الاجتماعية - التي تجسد في الظروف المادية الحياتية - كما أن الحقوق الإنسانية وأشكال الدولة لها جذورها فيها يعبرف « بالمجتمع المدنى » الذى يتوقف بدوره على أسلوب الانتاج وهو بدوره أساس التشكيل الاجتماعية الاقتصادية ، وهكذا ظهر علماء الأنثروبولوجيا أصحاب النهج الماركسى أمثال ستانلى داييوند Diamond الذين ينظرون للباركسية كنهج للتحليل الاجتماعى التاريخى والبصرة الاجتماعية واتجه أصحاب المادية الديالكتكية بنظرهم لاعتبار الأنثروبولوجيا جزءا من حركة سياسية كبرى تدمم البروليتاريا وتهدف لتدمير النظام الرأسمالى كما أدى هذا الحوار الى التنوع في وجهات نظر الأنثروبولوجيا الثقافية .

وفي الوقت الذى يرى فيه ايسستون Easton وفريد فريد Smith ودونالد كرتز D. Kurtz أن هناك تصورا واضحا في الاطمار النظرى في مجال الأنثروبولوجيا السياسية ولامحها الاساسية يرى كوهين أن الأنثروبولوجيا السياسية تقف على أرض أكثر صلابة من غيرها من الدروع والعلوم السياسية نظرا لحرصها على الحصول على بيانات وأمية عن الامتنل والحولة والمجتمع (١٦) .

وقد زخر مجال الأنثروبولوجيا السياسية بمعديد من الدراسات النظرية والميدانية وانتفع هذا المجال — رغم حداثته النسبية — من التراث النظرى الذى أرساه علماء السياسة والاقتصاد السياسى فقد ناقش داغيد بيدنى D. Bidney (١٧) على سبيل المثال فى مؤلفه عن الأنثروبولوجيا النظرية Theoretical Anthropology — وفى معرض حديثه عن النظريات المثالية والمادية الخاصة بالازمات الثقافية — قضية الحرية الفكرية والسياسية ، وقضية السلطة ، والايديولوجية التى تشر بدورها الى أداء القوة الأساسية لممارسة الضبط السياسى الشامل على الحياة الثقافية .

كما ناقش البعض الآخر أمثال ل . رادولف وسوسمان رادولف A.L. Rudolph ; Susanne Rudolph ما يمكن أن نسميه بالتحديث السياسى للبنيات التطبيقية فى الهند فى ضوء المفاهيم الماركسية والاتجاهات الراديكالية وغيرها (١٨) .

ويعتقد روبرت ميرفى R.F. Murphy (١٩) أن عدم المساواة واختلال توزيع القوة يتركز فى المجتمعات المتقدمة بينما لاحظ كذلك أن الجماعات البسيطة التركيب لا تشهد عادة وجود طبقات ، وقد توجد قيادة محدودة أولا توجد على وجه الإطلاق لدى الشوشونى Shoshoni لا يوجد رؤساء اذ انه ليس ثمة حاجة وظيفية للقيادة فى هذه القبيلة

وفى مقاله عن الصراع كتب جورج سميل عن الجماعات المتنافسة ( كالهنود والأمريكان ) ويمثل الصراع أحيانا فى تبنى أشكال معينة من القيادة كوسيلة للتعايش المتبادل والوصول لاتفاقات بين هذه الجماعات .

كما قدم سميل أمثلة أخرى عن قبائل شوشونى نيفادا وبنده الأريكوا ( التى تسكن وسط وغرب ولاية نيويورك وبنسلفانيا ) وتبذل الأولى جهودها وتدخل فى صراع مع السلطات الرسمية للحفاظ على حقها فى صيد الجاموس وبيذل الأريكوا جهودا مماثلة للسيطرة على زيادة السكان ومواجهة زيادة الضغط على المصادر .

وقد استعاد البعض من تراث علم الاجتماع السياسى وذلك من خلال

كتابات ماكس فيبر ومفهومة عن القيادة « الكارزمية » ومن « الصنفوة »  
الذى قدم له باريتو وروسكا وميتشلز .

وقد ظهرت بعض المؤلفات تحت مظلة مدرسة التبعية لتأكيد اثر  
العوامل الخارجية على البلدان المتخلفة حيث يتركز الاهتمام هنا على اثر هذه  
( العوامل الخارجية ) في تشكيل الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية  
والثقافة في تلك البلدان المتخلفة صناعيا ، ويعد راؤول بريش اول من  
استخدم تعبير المركز والمحيط في نهاية الاربعينيات لدراسة اثر النظام العالمى  
والتغلغل الامبريالى في البلدان المتخلفة .

وقد انتقدت مدرسة التبعية لجلها للتعميم مع ان المجتمعات المتخلفة  
التي سميت هذه النظرية لدراستها تتنوع في طبيعتها وتختلف في خصوصيتها  
التاريخية .

ومن هنا حاول البعض ابطال براس المزاوجة بين افكار مدرسة  
التبعية والمعالجات الاجتماعية والاجتماعية والاقتصادية والطبية في العالم  
الثالث وهى المعالجة التى تمت صياغتها بعد ذلك في عدة مداخل معرفية :

١ - المدخل القليلسىدى ويدرس اثر التبعية على الاوضاع السياسية  
في المجتمعات المتخلفة باعتبار هذه الاوضاع تعبر عن البناء الاجتماعى  
الذى تشكله علاقات التبعية وفقا لوضع المجتمع داخل النظام  
العالمى .

ب - المدخل الذى يركز على دراسة علاقة التبعية بالظاهرة السياسية  
في المجتمع المتخلف لفهم الدور الذى تلعبه التبعية في صياغة شكل  
الدولة في المجتمعات والبلدان النامية .

ج - المدخل الذى يركز على التبعية الثقافية من خلال دراسة الثقافة  
عامة ونسق القيم بصفة خاصة .

د - دراسة التأثيرات المباشرة للقوى السياسية للدولة الكبرى من خلال  
التركيز على طبيعة المعونات الخارجية ( مادية وفنية وعسكرية .. الخ ) .

## اتجاهات الدراسة في الأنثروبولوجيا السياسية :

### ١ - الاتجاه البنائي :

وقد تأثر أتباعه بكتابات ماكس فيبر ودوركايم ومين وسيميل وغيرهم ويضم كذلك مورتنس وإيفانز برتشارد الذين قاموا بدراسة الانساق السياسية في افريقيا وهذا المدخل يركز على التصنيف الأولى ( للجماعات الى ما يمكن تسميته بالدول ) ( التنظيمات الادارية المركزية ) والدول ( العشائر والعصبيات ) . ويمصرف براون هنا التنظيم السياسي بأنه التنظيم الذي يعمل على المحافظة على النظام الاجتماعي في الاطوار الاصلية بواسطة الممارسة المنظمة للسلطة ( الفيزقية ) ويأخذ البعض من امثال لويد Lloyd على هذا الاتجاه تركيزه على لوحات الادارية للحكم محسب ، وتجاهله لصناع القرار والسياسة الاجتماعية ، كما يأخذ البعض امثال كرتز Kurtz على اتباعه المبالغة في اظهار التباين بين الانساق السياسية في المجتمعات غير الاوربية والمجتمعات الاوربية بينما يعتقد البعض امثال فورتنس Fortes وسميث Smith وبيفو Befu ان الاسهام الحقيقي لهذا المدخل يتمثل في التمييز بين الأنشطة السياسية وغير السياسية ( كالانشطة القربية وغيرها ) وهذا المدخل كما يذكر Chen لا زال يعد ابرز مداخل الدراسة في الأنثروبولوجيا السياسية رغم ضحالة تركيزه على الفعل السياسي نفسه .

### ٢ - مدخل المصالحات :

ويركز على العمليات السياسية التي تؤثر في القوى الداخلية والخارجية للأفراد والجماعات الذين يستوعبهم التنسيق السياسي كما ان هذا المدخل يركز على التنافس والصراع لدى الجماعات دون أن يقتصر على الابنية الرسمية وحدها والسياسة في ضوء هذا المدخل تعنى العملية السياسية او العملية التي تسهم في تحديد وتحقيق الاهداف العامة من خلال استخدام القوة ويشير الفعل السياسي هنا الى الافراد والجماعات الذين يشاركون في النشاط السياسي فضلا عن القيم والمعاني والرموز المستخدمة لمباشرة هذا النشاط ويعبر عن هذا الاتجاه جلوكمان Gluckman وفلسن Veisen وتيرنر Turner وقد حاول بالي Bailey وبارث Barth التوفيق بين الاتجاه البنائي وهذا الاتجاه

## ٢ - مدخل الاقتصاد السياسى :

يتبنى هذا الاتجاه بقولة يؤداهما أن التحكم فى الموارد الاقتصادية وتوزيعها هو العامل المؤثر فى نمو القيادة السياسية والقوة وفى زيادة تمتد الحياة الاجتماعية ويعمل التنظيم السياسى على ادارة المجتمع والتحكم فى مراكز وتعمل باقى الافراد والجماعات ومن رواد هذا الاتجاه **انجلز و آدم سميث** كما أن من اتباعه **سالمين Sahlin** و **آدمز Adams** و **فريد Fried** و **لنسكى Lenski** و **يعد مارفن هاريس M. Haris** و **كارنيرو Carneiro** من أبرز من مبروا عن فكرة التطورية السياسية والاقتصادية حيث تظهر السلطة السياسية نتيجة لاستحواذ بناء القوة **Power Structure** فى المجتمع على العناصر الاقتصادية .

## ٤ - مدخل تحليل شبكة العلاقات الاجتماعية :

ويركز هذا الاتجاه على تحليل شبكة العلاقات الاجتماعية فى الجماعات غير الرسمية التى لا يضيها بناء معين ولسد الفجوة بين الاشخاص والابنية الرسمية فى المجتمع ، ويلخص **بيلز** وهويجر طبيعة التنظيم السياسى الذى يقوم **الانثروبولوجى** بدراسته هنا فى أنه يتضمن عادة ظهور تجمعات أكبر وأكثر تعقيدا من الأسرة حيث تكون مصادر الطعام ووفرة نتيجة للتركيز السكانى الكبير واستخدام التكنولوجيا المتطورة ، ولا ينكر هذا الاتجاه أن المجتمعات الصغيرة المنعزلة تضم تنظيمات سياسية — كما لدى **اسكيبو ( الشوشونى )** — حيث يمكن أن نجد الجهاز السياسى ووسائل الضبط الاجتماعى فى **الرسمية** .

وتهتم **الانثروبولوجيا السياسية** بدراسة **النسق السياسى** المتبذل فى التنظيمات التى تهدف للمحافظة على النظام الاجتماعى فى الداخل ونسق العلاقات الخارجية ، ودور **الانثروبولوجيا السياسية** هنا يتبذل من جهة فى التعرف على الأجهزة والتنظيمات السياسية وعلى علاقة هذا **النسق (كل)** بالإنسانى الأخرى فى البناء الاجتماعى من جهة أخرى .

وتتنوع الموضوعات المدروسة فتشمل الاتحادات والروابط العسكرية وبناء القوة وعلاقات التبعية مع العالم الخارجى (٢١) .

وقد قدم كرسونر ألين حصرا بالدراسات الاجتماعية في المجال السياسي في افريقيا ، ومن الدراسات الحقلية التي أشار اليها نحو ٢١ دراسة أجريت عن كينيا ، و ١٥ دراسة عن مالي ونيجيريا و ١٢ دراسة عن زيمبابوي وساحل العاج ... الخ . وقد ابرزت هذه الدراسات جميعها العلاقة التفاعلية بين النسق السياسي والانسق الاخرى في البناء الاجتماعي مما يدل على السعي الحثيث للاستعانة بالدراسات الحقلية في هذا المجال .

ومن الدراسات الهامة التي تناولت النسق السياسي في أمريكا الجنوبية دراسة نابليون شاتون N.A. Chagnon من « هنود يانوماو » Ganomamo Indians حيث وصف هذه الجماعة التي تنهض السلطة فيها على « متصل للنف » وناقش اعتقاد سكان القبيلة في طبيعتهم ( الوحشية ) واستعدادهم لممارسة العنف ( رغم انكار الباحث لسيادة هذه السمات الشخصية داخل القبيلة ) .

وهناك كذلك الدراسة القيمة التي قدمها كلوس فردرك كوش K.F. Koch عن النسق السياسي وطريقة حل المنازعات في غانا الجديدة لدى قبيلة جال Jale .

وتكشف بعض الدراسات الانثروبولوجية عن امكانية دراسة ما يعرف بأدب الرسائل لتصوير بعض الجوانب الثقافية او بعض جوانب البناء الاجتماعي ( لاجتماعهم او المجتمعات او ثقافات أخرى في حقبة زمنية بعينها ) وبعض هذه الرسائل تشبه المذكرات اليومية التي يدونها الانثروبولوجي في الدراسة الحقلية .

ومن بين هذه الدراسات ما أعاد منه أبو زيد (٢١) اللثام وخاصة في مجموعة « رسائل من مصر » Letters from Egypt التي حررتها ليدى لوسى دون جوردون Lucie Duff Cordon في مستنابات القرن التاسع عشر فقد ابرزت هذه الخطابات رأي الفلاس في الحاكم التركي وموقفهم من بناء القوة فهي تذكر على سبيل المثال « لا يزال الطفيلان كما كان دأبهما .. فالمصريون يدركون مدى التحيز القائم ضدهم » وحين زار السلطان العثماني

مصر كتبت بدورها رسائل أخذت عليه ترفعه على الشعب المصرى وتكشف من مظاهر التفرقة بين الاتراك والمصريين ، « لقد أمر الباشا بأن تحتجب كل نساء الطبقات الدنيا في بيوتهن أثناء وجود السلطان لان النساء العربيات سافرات وربما يرفعن أصواتهن بالشكوى في وجهه » .

وقد تعرض نبيل صبحى(٢٢)للتنسيق السياسى فى المجتمعات الصحراوية لماصح من ميكانزمات خضوع الجماعات الصحراوية لسلطة الدولة حيث تزداد القوة العسكرية وقوة التنظيم السياسى للبدو ابان ضعف الدولة بينما تتطلب هذه القوة نتيجة لازدياد قوة الحكومة المركزية .

الحكومة الاردنية على سبيل المثال تعتمد اعتمادا سياسيا على القبائل البدوية فى الحصول على دعم سياسى ويستشهد صبحى هنا بما ينكره كوك كذلك من الجيش السعودى حيث تزداد المنافع التى تحصل عليها القبيلة بقدر مناهية افرادها فى خدمة الوطن وبذا تضمن الدولة استيعابا لقبيلة والانتفاع بخبرتها والاستعانة بها فى صد الهجمات الخارجية .

بينما تقوم قبائل الكرك فى جنوب الاردن مثالا للعداء بين القبيلة والدولة حيث هاجمت هذه القبائل الدولة فأرسلت الدولة حملة عسكرية لاختصاص هذه القبائل .

وهذا فضلا عن ذلك العداء الدائر بين القبائل فى الصحراء مما يؤدي للاقتتال المستمر بينها ، ومن أمثلتها الصراع الدائر رحاء بين قبائل « الهنادى » وقبائل « اولاد على » .

وهناك الغزوات التى تقوم بها جماعات بدوية على جماعات مسافرة أو على قرى ثابتة ( حيث كانت القرى تقدم أنوات تسمى بالخاوة ) وقد تعرض صبحى لنظام « الزجالة » فى سيوة حيث كان هؤلاء الرجال يشكلون شريحة تعيش فى معسكرات ويشترط عليهم عدم الزواج ويقولون مهمة الزراعة فضلا عن الدفاع عن الواحة .

كما اوضح فى دراسته لمجتمع « الكرك » كيف أمكن للقبائل ان تكون

صاحبة النفوذ في الاقليم وتقوده سياسيا وكيف تسنى لها ادارة شئون الاقليم وتحقيق الاتصال بين الحكومة المركزية والقطاعات المحلية فالقيادة القبلية تركز على المجلس المحلي لتوفير الخدمات المختلفة وعلى « المختار » او ممثل القبيلة ، وقد تمكنت الدولة من خلال البرامج التنموية ( تعليمية واقتصادية ) من انعاش الاقليم اقتصاديا مما أدى لزيادة معدل التغيير الاجتماعي والثقافي ويزداد تأثيرها في الاقليم .

نخلص من هذا أن الانثروبولوجيا السياسية هي ذلك الفرع الهام من فروع الانثروبولوجيا الذي يهتم بدراسة السلوك السياسي في سياقه المجتمعي Societal Context وينظر للأنظمة والظواهر السياسية Political Phenomena في ضوء علاقتها بالنظم والظواهر السياسية الأخرى .

فالانثروبولوجيا السياسية Political Anthropology تهتم بدراسة النسق السياسي في ضوء علاقته بالبناء الاجتماعي Social structure كما تنظر للسلوك السياسي Political Behaviour في ضوء علاقته بالنسج الاجتماعي وشبكة العلاقات الاجتماعية التي يشب في ظلها .

وبعبارة أخرى فالانثروبولوجيا تهتم بتحليل النظام السياسي والظواهر السياسية الواقعية والملموسة في المجتمع كما تهتم بالعلاقة بين النسق السياسي والنسق الأخرى : اقتصادية وايكولوجية وقربانية فضلا من الضبط الاجتماعي ونسق القيم في المجتمع .

« المصــادر »

- Conformity and conflict. Little, Grown and comp. Bos- — ١  
ton. 1980 p. 255.
- R.F. Murphy. Cultural and social Anthropology U.S.A. — ٢  
1979. pp. 142 : 150.
- David Bidney. Theoretical Anthropology achoken Books. — ٣  
New York. 1967 pp. 138 : 442.
- Alfred Stepan. The state and society princeton. New — ٤  
Jersey. 1978 p. 12 : 22.
- I.L. Horowitz. power politics, and people The collected — ٥  
Essays of wr. Mills 1982 : p. 2.
- ٦ — على ليلة — البنائية الوطنية في علم الاجتماع والاثنوبولوجيا — دار  
المعارف — القاهرة — ١٩٨٢ — ص ٤٠٣ ، ص ٤٠٤ .
- R. F. Murphy. op. Cit. U.S.A. 1979. p. 141. — ٧
- ٨ — أحمد أبو زيد — البناء الاجتماعي — الانسان — ج ٢ — دار الكتب  
انعري — الاسكندرية — ١٩٦٧ — ص ٤٦٥ : ص ٤٧٩ .
- ٩ — روبرت ردفيلد — المجتمع الصغير كبناء اجتماعي — ترجمة أحمد  
أبو زيد مطالعات في العلوم الاجتماعية ١٩٦٠ ص ٨٤ : ص ٨٦ .
- ١٠ — رأكليف براون في البناء الاجتماعي — ترجمة السيد عبد الحميد  
الزين مراجعة أحمد أبو زيد .

مطالعات في العلوم الاجتماعية — سنة ١٩٦٠ ص ١٤ : ص ١٦ .

١١— جورج جورفنتس — مفهوم البناء الاجتماعي — ترجمة خليل صابات .  
في مطالعات في العلوم الاجتماعية — ١٩٦٠ ص ١٤٢ ، ص ١٤٤ .

١٢— جيرار لكرك — الانثروبولوجيا والاستعمار — ترجمة جورج كتورة —  
معهد الانماء العربي — بيروت — ١٩٨٢ — الفصل الثالث .

١٣— بيلز وهويجر — مقدمة في الانثروبولوجيا العامة ترجمة محمد اللجوهري  
والسيد الحسيني ج ١ — القاهرة — ١٩٧٦ — الفصل الثالث عشر .

١٤— حسين فهميم — قصة الانثروبولوجيا — عالم المعرفة — الكويت  
١٩٨٥ — ص ٢١١ ، ص ٢١٢ .

١٥— أحمد أبو زيد — البناء الاجتماعي — ١٩٦٧ الفصل العاشر .

١٦— Bidney. op. cit. cf. 14 : 16.

١٧— Op. cit. Introduction.

١٨— R.F. Murphy . . op. cit. ch. 7.

١٩— أسامة المغزالي — حرب الاحزاب السياسية في العالم الثالث —  
عالم المعرفة — الكويت — سبتمبر ١٩٨٧ ص ٤٦ : ص ٧٤ .

٢٠— أحمد أبو زيد — الفصل الحادي عشر .

٢١— أحمد أبو زيد — رسائل أنثروبولوجية — عالم الفكر ص ٣ : ص ٣٠ .

٢٢— نبيل صبحي — المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي — دار  
المعارف — القاهرة — ١٩٨٤ — الفصل الخامس والسادس .

## الدراسات الحقيقية

### في مجال الأنثروبولوجيا السياسية

أولا — الدين والسلطة لدى نيورو — أوفندا :

يعرض جورج بالاندييه رائد الأنثروبولوجيا السياسية في فرنسا — في مؤلفه عن الأنثروبولوجيا السياسية — من خلال استراضه للدراسات العقلية في إفريقيا أن ثمة علاقة وثيقة بين الدين والسلطة إذ أن وحدة الرموز في بعض المجتمعات الإفريقية تجسد هذه العلاقة فالمفاهيم المستعملة لوصف جوهر السلطة هنا مستمدة بدورها من المعجم الديني والمقدس ، وهكذا تلجأ نظرية الملكية في جماعة « نيورو الأوغندية » إلى مفهوم « موهاتو » ويعبر هذا المفهوم عن السلطة التي تجيز للملك المحافظة على النظام وتنتقل وفقا لإجراءات طقسية دقيقة . أما « الموهاتو » فيمتنع الانتشار فهو يشارك في أعمال عديدة إما إذا اشترك في أعمال عنف فهذا يعني أن هناك خطر خارجي يهدد الناس ، فإذا حدث ما يهدد النسق القرابي أو النوع أو العبر أو التدرج الاجتماعي تدخل الملك « موهاتو » للمحافظة على توازن البناء الاجتماعي في المجتمع التقليدي بل أن على « الموهاتو » أن يكشف للمجتمع المخاطر التي تتهدده قبل أن تحدث كما يتدخل أخيرا في مجرى الحياة الشعارية عند الولادة والتكريس والوفاة وهكذا يبدو أن الموهاتو حاضرا دوما سواء فيما يتعلق بعلاقة الفرد بالمجتمع أم بعلاقة الفرد بالقوى التي تحدد مصيره ومستقبله . ويمكن القول بأن الجهاز السياسي هو ضابط للموهاتو فمراكز السلطة أو السيطوة التي يحددها هذا الجهاز من شأنها أن تبرر تفاوت أصحابها في الحصول على تلك القوة — التي تصون الحياة — وتحافظ على النظام . وملك النيورو Nyoro هو الذي يستحوذ على سلطة الموهاتو Mohano كلمة فالطقوس جميعا تهدف لصنع الملك وصيانة شخصيته وحمايته كرمز للحياة نفسها فحماية الملك تحمي الجماعة كلها من الموت ، فالملك هو الذي يسيطر على الأشخاص والأشياء ويحافظ على

تنظيمهم ، وبواسطة الملك ينتظم العالم الاجتماعى وتتقدم سلطته على القبيلة وعلى « الموهانو » تتركز بدورها الميكانيكيات المكونة للعالم والمجتمع فهو الذى يتيح للملك الاضطلاع بمهامه ، وهذه السلطة الروحية تعد مصدر خطورة في حد ذاتها لان لها متطلباتها وشروطها على من يملكها ، والموهانو تحافظ على الرئيس حتى لا يتصرف بصاحبة أو رعوفة .

والامر الملفت للنظر ان « الموهانو » يحتوى على ازدواجية تضم مجموعة من القيم المتناقضة كالحياة والموت .

وهكذا تبرز هذه الدراسة علاقة الانساق الدينية والسياسية في هذا المجتمع التتليدى حيث تتحد السلطة الروحية والسياسية في شخص الزعيم أو القائد .

#### ثانيا - القيادة في قرية مصرية (ج) :

تبت هذه الدراسة الحقلية لاحدى قرى محافظة المنوفية في الستينيات واستخدمت في الدراسة الملاحظة بالمعيشة وصحيفة الاستبيان مع الجمع بين مميزات مقياس أسلوب الشهرة Reputation approach والأسلوب السوسيويمترى وتبعد القرية المدروسة عن مدينة شبين الكوم بنحو ٢٠ كم ، وقد انصحت الدراسة الحقلية عن ان للقرية «هرم قيادى جامد ومفلق» ويضم هذا الهرم مجموعة قيادية مفلقة تحتل قمة الهرم وترتبط معا عن طريق الدم أو المصاهرة ( الانتهاء لبذنة واحدة ) كما لوحظ بالقرية اقتراب صورة القيادة غير الرسمية من القيادة « الرسمية » و « شبه الرسمية » وبخاصة في مجموعة القمة حيث يشغل جميع اعضاء هذه المجموعة مراكز قيادية رسمية أو شبه رسمية ، وهكذا تتداخل النماذج القيادية الثلاثة الرسمية وشبه الرسمية وغير الرسمية معا .

---

(ج) قام بهذه الدراسة د. محمود عودة استاذ علم الاجتماع لائجاز رسائلته للحصول على درجة الماجستير في كلية الاداب جامعة غير شمس عام ١٩٦٦ — انظر لويس مليكة — قراءات في علم النفس الاجتماعى — الهيئة المصرية للناثيف — القاهرة ١٩٧٠ .

ويرتكز القادة في مجموعة ( القبة ) هذه على المركز الوظيفي الرسمي أو شبه الرسمي بالإضافة للعائلة والمصيبة مما أدى لاحتلالها مكانة مرموقة في بناء القوة .

وقد أدرك الناس أفراد هذه المجموعة بسهولة كمجموعة قادرة على مجابهة كل المواقف ( سياسية - اجتماعية - اقتصادية ... الخ ) وتحتل المجموعة القيادية **المتوسطة** مكانة القيادة في بعض المواقف المتخصصة ونفسا لراى الناس اذ يتبعد أفرادها عن مراكز القوة بينما تظهر خصائصهم القيادية في مواقف معينة ، وتضم القيادة المهنية المتخصصة كالمدرسين والمثرف الزراعى على أسس غير قرابية ، وتتل هذه المجموعة أهم مجموعات البناء القياىى كما أنها بحاجة لتقديم لواجهة المجموعة التقليدية فى النسق السياسى .

**أما المجموعة الثالثة** فتتسم بالتركز القياىى فى موقف أو موقفين على الاكثر ، اى أن القرويين قد آخاروا اعضاء هذه المجموعة كمستشارين فى موقف واحد أو موقفين على الاكثر وهى تضم تشكيلة مخفظة وان اختلفت بدورها فى الحاجة لمزيد من اعتراف مجتمع القرية بهم وقد أوضحت الدراسة الحقلية عن أن قادة القرية ينتون الى الطبقة المتوسطة ( العليا ) وان ثمة سيطرة قرابية ملحوظة على بناء القوة فى القرية مع تمتع هذه المجموعة القرابية المسيطرة بشغل معظم المراكز الرسمية الفعالة المصحوبة بنفوذ متسع وهو ما أسماه الباحث بالتركز العائلى للقوة .

وقد تركز قادة القرية فى المرحلة العمرية ٢٥ سنة فأكثر كما ان المستوى التعليمى يرتفع قليلا عن مستوى غير القادة وان كان التعليم كمتفرغ يغلل تماما فى المواقف الرئاسية ويتصل العامل الاقتصادى بالعامل القرابى بحيث يسهمان معا فى تحديد بناء القوة فى مجتمع القرية حيث اتضح أن بناء القوة فى هذا المجتمع محدد بعوامل كامنة فى بنائه الاجتماعى لكسر مما هو محدد بمساهمات شخصية تميز الأفراد ، فالأفراد الذين شغلوا مراكز مرموقة فى بناء القوة بالقرية يشغلون بالفعل مراكز قيادية رسمية وثشبه رسمية وهى مراكز مصحوبة « بقوة ما » . اى أن بناء القوة Power فى المجتمع الريفى المدروس يمثل نسقا فرعيا Sub - System يحمل بداخله خصائص البناء الاجتماعى الكلى للقرية بما يتضمنه هذا البناء من انساق دينية وقرابية وغيرها .



## الباب الثالث

### « الاتجاه السوسيوانثروبولوجي »

الفصل التاسع : الاتجاه السوسيوانثروبولوجي — المنهج والادوات

الدراسة الحقيقية : القادى وميكاتزمات المراع

دراسة موسيوانثروبولوجية

الفصل العاشر : الانثروبولوجيا الراديكالية :



## الفصل التاسع

### « الاتجاه السوسيوانثروبولوجي »

#### التهج والادوات

يهدف هذا الاتجاه للانتفاع من معطيات علم الاجتماع والانثروبولوجيا ونحن نثير هنا التساؤلات الآتية : ما فعوى هذا الاتجاه ؟ وما هي أدواته ؟

مقد ظهرت الدلالة الواضحة لما يعرف بالاتجاه السوسيوانثروبولوجي في الآونة الأخيرة - وبخاصة خلال النصف الثاني من القرن الحالي - حيث تبلورت فكرة المزاوجة بين الاتجاه الانثروبولوجي والاتجاه السوسيوانثروبولوجي اذ ان البعض أمثال رأكليف براون R. Brown لا يرون مانعا من تسمية الانثروبولوجيا الاجتماعية علم الاجتماع المعاصر ، كما ان مرد ذلك يرجع لمحاولة العودة الى الفلسفة التي تتركز عليها العلوم الانسانية بصفة خاصة فقد تساءل علماء الاجتماع والانثروبولوجيا عن ماهية دورهم في دراسة الانسان (١) اذ لم يعد الهدف الاساسي هو االباهة بالنظريات والتعصب في الدفاع او اخفاء الاخطاء بقدر الحرص على زيادة فاعلية هذه العلوم الانسانية في فهم الانسان يؤثر ويتأثر بالحياة في المجتمع وفي ظل ثقافة معينة والعمل من اجل اسعاده والتغلب ايضا على مشكلاته التي تزداد تعقيدا بمرور الايام . وقد ادى هذا المنظور في علم الاجتماع الى ظهور ما يعرف بعلم اجتماع علم الاجتماع Sociology of sociology وبدا علم الاجتماع الراديكالي (٢) يبحث عن دوره في خدمة المجتمع بينما انطلقت الانثروبولوجيا من حيز الاهتمام الرومانسي بالمجتمعات البدائية Primitive societies والمجادلات النظرية التي قادها مورجان وغيره ممن اطلق عليهم « انثروبولوجي المقاعد الوثيرة » الى الاهتمام بالحضر والتصنيع والتنمية ، اما الاتجاه الكلاسيكي فيلخصه لنتون Linton بقوله :

« لقد تناسب الاهتمام بظك الجماعات ( البدائية ) طرديا مع شدة منزلتها عن ثقافتنا واختلافها عنا وكان ( الانثولوجى ) القديم يشمر انه في السماء السابعة لو اكتشف جماعة لم يرها الرجل الابيض من قبل ( ٣ ) .

ومن الطريف ان علماء الانثروبولوجيا حين حاولوا ان يدرسوا المجتمعات المعاصرة كانوا يشعرون وكأنهم ارتكبوا معصية كبرى لا تغتفر فبينما كان الانثروبولوجى يفخر بالقبيلة او المجتمع المنعزل الذى يقوم بدراسته فانه كان يجتهد من ناحية اخرى ان يخفى اسم المدينة او المنطقة الحضرية التى يتولى دراستها . فقد قام هـ. ليند ، ر. ليند Lund's بدراسة مدينة أمريكية قبل الحرب الثانية غير انها اسمها فى التويه اطلقا عليها : «Middle town, Yankee City, Plainville» أى منطقة كذا من ولاية كذا ... الخ ( ٣ ) .

#### اولا — فعوى هذا الاتجاه :

لقد شهد الانفصال بين علم الاجتماع والانثروبولوجيا انفصالا مماثلا فى الادوات البحثية التى يستخدمها كلا منهما فقد اعتدت الانثروبولوجيا على **الملاحظة والملاحظة بالمشاركة ، وذاكرة كبار السن ( والاخبارين ) والطريقة الجينالوجية** لتسجيل شجرة العائلة والاقارب ، و**دراسة تاريخ الحياة Autobiography** للحصول على المادة الانثوجرافية التى يقضى بموجبها تحديد جوانب البنية الاجتماعية وكنية التساند الوظيفى . بينما اعتدت الدراسات السوسيونوجية على الوثائق والاحصاءات واستمارات المقابلة الشخصية ( الاستبيان ) والاستبانات البحثية التى لا تستوفى بعمقنة المبحوث ( الاستبانات ) ونطيل المضمون والاتجاه التاريخى لجميع البيانات اللازمة ( ٤ ) .

وقد احرزت الانثروبولوجيا الان تقدما فى استخدام ادوات البحث الكمية بينما انتفع علم الاجتماع من استخدام **المنهج الانثوجرافى** والدراسات المتعلقة بالامتداد على الملاحظة بالمشاركة ودراسة الحالة وغيرها ومن الادوات البحثية ، وما لبث علماء الاجتماع والانثروبولوجيا معا ان اكتشفوا اهمية تجاوز هذه الثنائية الى ما سى بالاتجاه السوسيونثروبولوجى واستخدمت الادوات ومناهج البحث — التى تحقق الهدف من الدراسة — واساليب

التحليل الموسيولوجية والاثنوبولوجية معا وبخاصة في دراسة المجتمعات الحضرية الصناعية حيث تقوم الدراسة الموسيوانثروبولوجية على عدة مكونات من بينها :

١ — تحديد الهدف الاساسي والاهداف الفرعية للدراسة .

٢ — تحديد الفروض وتساؤلات الدراسة ونوعية القضايا التي مستقوم بدراستها .

٣ — تحديد الاطار التصوري او الاتجاه ( النظري ) الذي يتبناه الباحث والادوات التي يستخدمها في دراسته وتساعد لمن تحقيق اهداف الدراسة دون ان ينحصر اهتمامه في ادوات معينة لا يتعداها وهو يراعى هنا عدة اعتبارات من بينها .

١ — المزاوجة بين الوصف الاثنوجرافي Ethnography والتحليل الموسيولوجي Sociological analysis فقد يدرس الباحث النقابة العمالية في منطقة صناعية ويتتبع كيفية اشباع النقابة لاحتياجاتهم الاجتماعية ويتعرض للخدمات التي تقدم الوظائف التي تؤديها النقابة للعمال غير أنه يحاول ان يربط بين بناء القوة في المصنع ودور النقابة كما انه يتتبع أوجه الصراع ويقوم بتحليلها وعليل ان يستقصى عن المعلومات الخاصة برأى العمال في النقابة ونظرتهم لها وغيرها من المتغيرات مما يجعل من الوصف وسيلة — لا غاية — بينما يتم التحليل والتفسير في ضوء الاطار النظرية التي تبناها الباحث ويشترط ألا يتعارض هذا التحليل ومعطيات الواقع الاجتماعي الذي يقوم بدراسته .

ب — أهمية الدراسة التكميلية للظاهرة لا الدراسة الجزئية لحسب وهي النظرة المعروفة بالنظرة « الجشطاكية » فلا يمكن ان ندرس أدمان العمال للحشيش الا في ضوء العلاقة بين ظاهرة الادمان والظروف الاجتماعية والثقافية في المجتمع العمالي ووسائل الترفيه المتساحة والعلاقات العمالية (ج) غير الرسمية ، والدخول الطفيلية العمالية ( كالتى صاحبت حقبة الانفتاح الاقتصادي في مجتمعا ) وارتفاع

معدلات الامية أو نقص الوعي بين العمال وتتبع ومسؤول المخدرات للعمال وكيفية انتشارها وأسباب التعاطي ( بينهم ) ومعتقداتهم الدينية ورؤيتهم للآثار التي يؤدي إليها ادمان الحشيش ... الخ .

ج — لا يمكن أن ندرس الظاهرة المجتمعية الا في ضوء علاقتها بالمجتمع المحلي الذي توجد فيه فالمولد يختلف بحسب طبيعة المجتمع المحلي الذي يحتفل بالمناسبة وبحسب شخصية المحتفى به وبحسب امكانيات المنطقة ونوعية الزوار الذين يفدون اليها ، ومدى توفر سبل المواصلات من عدمه ، واهتمام الجهات المسؤولة بحفظ الامن والنظام ... الخ .

د — ان دراسة التماسك في الجغرافيا الاجتماعية لا يعنى خلو هذا البناء من اوجه الصراع فحيثما يتواجد الانسان يتواجد التعاون والصراع جنباً الى جنب .

هـ — ان الادوات البحثية التي يستخدمها الباحث الاثنوبولوجي ينبغي ان تكون قادرة على القاء الضوء على مظاهر التغير الاجتماعي الداخلية الخارجية معا ( من داخل المنطقة وخارجها ) .

و — أهمية فهم المراكز والادوار في داخل السياق الاجتماعي للانساق والنظم الاجتماعية حتى يتسنى للباحث أن يربط بين التمايز في العلاقات الاجتماعية والتمايز في الادوار والتوقعات .

ز — أهمية فهم المناخ الثقافي الذي تعمل الظواهر والعلاقات الاجتماعية من خلاله ويتنفس هذا من الباحث الاستعانة بالوسائل المختلفة لدراسة الثقافة سواء الثقافة المادية أو غير المادية .

ح — هناك حقيقة ينبغي أن يضمها الباحث في اعتباره وتتمثل في أن الجماعة التي يدرسها تمثل جماعة جزئية Part Community وتكون مجتمعاً غير متكامل In Complete وهي مقولة تختلف تماماً عنها في حالة دراسة المجتمعات التي كانت تسمى بالمجتمعات المنعزلة

المكتنية بذاتها *Self sufficient* ويدفع هذا بالباحث الى الاستقصاء عن وسائل الاتصال بين الشريحة التي يقوم بدراستها والمجتمع المحلى الصغير الذى يدرسه والمجتمع الكوسى الذى يضمه والمجتمع العالمى الذى يضمهما معا — فقد نظر الكثيرون من الباحثين الانثروبولوجيين للمجتمعات الريفية باعتبارها مجتمعات لا تفهم الا فى ضوء علاقاتها بالتجمعات الحضرية التى تضمها وهى حقيقة اظهرتها دراسة جون امبرى *Embrée* فى اليابان ودوبييه *Dube* فى الهند حيث تتفاعل القرية مع الثقافة التى تاتى من خارجها كما ان كروبر *Kroober* يؤكد هذه الحقيقة نفسها .

وقد قام الباحث بدراسة سوسيو — انثروبولوجية لاحدى اطراف العاصمة للتعرف على اثر التصنيع فى هذه المنطقة — التى تضم مؤسسة صناعية كبرى للمبردات وأجهزة التكييف ومؤسسات صناعية اصغر حجبا لصناعة الاثاث من الاخشاب — فاكشف ان المادة الخام ترد من الخارج ( الاخشاب المستوردة و اجزاء المبردات و اجهزة التكييف ) وانها تصنع بالمنطقة ثم تصبى خارج المجتمع المحلى ، وبعبارة اخرى فان ثمة علاقة عضوية ( وان كانت غير مباشرة ) بين هذا الحى — من احياء المدينة المتروبوليتانية ومناطق التوزيع من جهة — والبلدان المرسله للمواد المصنعة من جهة اخرى ، فالسلعة يتم تصديرها بينما يتم تصنيعها بالمؤسسات الصناعية المستقرة فى المجتمع المحلى (٦) .

وفىما يلى تفصيل لبعض الاساليب السوسيو انثروبولوجية المتبعة :

١ — **الملاحظة بالمشاركة** وتعنى ان يضى الباحث عادة سنتين على الاقل فى الدراسة المحلية مستعينا بهذه اداة ويشترط على الباحث ان يكون على صلة وثيقة بالاهالى وان يستخدم اللغة ( الوطنية ) او المحلية حتى يتمكن من فهم شبكة العلاقات وان يلاحظ المجتمع من الداخل بحيث يشارك فى النشاط اليومى ولا يتيسر هذا الا اذا عاش بينهم واصبح يؤلف جزءا من هذا المجتمع المحلى فهو لم يات لكى يغير اسلوب حياتهم وانما سعى اليهم — فى تواضع — ليدرس اساليبهم الثقافية ويقتضى هذا منه ان يفهم كل شىء حتى الامور التى تبدو تافهة مثل النكت السائدة وطريقة طهى الطعام وذلك فى ضوء

علاقة كل هذه العناصر بغيرها من العناصر الأخرى .

كما ينبغي أن يوضح أولويات تحدد ما يجب أن يدرسه أولاً وما الذي يليه وهكذا ، وتتطلب الملاحظة بالمشاركة عادة شخصية تستطيع أن تتحمل مشاق العزلة من الأسرة والأصدقاء والتكيف مع الظروف الجديدة وأن يتسلح بقدرة على البحث لا بمجرد الإلمام بالمعربة النظرية .

ويجتهد الباحث أن يفسر معنى كل نشاط يدخل في إطار الظاهرة المدروسة ولا يكتفى بمجرد سرد الوقائع (٧) . كما أن شخصيته تد تؤثر في تفسيره للثقافة والانساق دون أن يتغاضى عن تفسير الناس أنفسهم للظواهر من جهة وعن المقارنة بينها في ضوء علاقاتها بالبناء الاجتماعي من جهة أخرى .

٢ — اعداد دليل جمع البيانات من المجتمع المحلي : ويتضمن هذا الدليل مادة أسئلة حول الملكية والمحاصيل ونوع التربة والحيوانات الأليفة والنواحي الصحية والتعليمية والدينية والمناسبات الاجتماعية والدينية التي يحتفل بها الناس .

٣ — تاريخ حياة الأشخاص : وهي أداة متعمقة لسبر غور الشخصية من خلال المناخ الاجتماعي والثقافي السائد للأحداث المحلية التي تصنع بدورها من الحياة الشخصية أو الأحداث الاسرية ( التي ترد من خلال دراسة شخصية معينة فضلاً عن دراسة مظاهر التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة والمشكلات الشخصية ومراحل النمو النفسي والاجتماعي للشخص ويقترب من هذه الاداة ما يسمى كذلك بطريقة الفهم الذاتي Ethnoscience ويشمل طريقة تنظيم الشخص لثقافته الخاصة ،

٤ — الشخص الاخباري : وهو الشخص المحلي الذي يختاره الباحث إما لدرايته الواسعة بما يحدث في المجتمع أو لكبر سنه وخبرته الكبيرة بتراث المجتمع أو لثقافته بأنه سيعطى تفسيرات واضحة لما يغض على الباحث ادراكه . ويشترط ألا تعارض المعلومات التي يثلى بها الاخبارى مع ما يسمعه أو يراه الباحث في المجتمع ، فإذا حدث هذا وجب عليه أن يحدد ما يجلبه الصواب .

٥ — **دراسة الحالة** : وهي الدراسة المتعمقة التي يمكن أن تعتبر الشخص أو الأسرة بموجبها بمثابة حالة Case تدرس بالتفصيل كما يمكن اعتبار المجتمع المحلي بأكمله بمثابة حالة يمكن دراسة نظمه والعلاقة بين سكانه وأوجه التغير الاجتماعي والتنافي التي تتعرض لها إنسانه ويتم ذلك عادة بموجب ما يسمى بدليل دراسة الحالة الذي يضم القضايا المراد دراستها بصورة مفتوحة Opened .

٦ — **استمارات أو صحف الاستبيان والاستخبارات** : وتشمل عادة البيانات الأساسية والديموجرافية والأسرية وأوجه الدخل والانتقال والمكانة الطبقية وأوجه السلوك الاجتماعي والتنافي التي يمكن دراستها بموجب أسئلة محددة ومغلقة Ended .

٧ — **المقابلات الجماعية** : Group Interviews وهو الأسلوب الذي يمكن بموجبه دراسة الظواهر العامة كالهجرة والاتجاهات والظروف الأسرية والاقتصادية في المجتمع المحلي من طريق طرح قضايا محددة ومناقشتها مع جماعات صغيرة من أفراد المجتمع ومعرفة موقف هذه الجماعات من تلك القضايا .

٨ — **الدراسة الجينولوجية للقرابة** : ويمكن بموجبها تسجيل أسماء الأشخاص الأحياء والموتى ، والعلاقات القرابية القائمة ومنهم وتعليمهم ومحل أنسابهم والأدوار والمراكز الاجتماعية والمكانات الطبقية للشخص وجماعته القرابية .

٩ — **دراسة دورة حياة الأسرة** Family Cycle هي إدارة قائمة للاستقصاء من مراحل العمر والوضع العائلي .

١٠ — **الاحصاءات والوثائق ، والخرائط** : ومن المعروف أنه من خلال الدراسة الإيكولوجية على سبيل المثال يلجأ الباحث إلى الخرائط القديمة والحديثة لغارنة التوسع العمراني للمنطقة في حقبة زمنية مختلفة . وغنى من القول أن الباحث يلجأ في استخدامه لهذه الوثائق لبعض الأدوات كالجهاز التسجيل ، والصور الفوتوغرافية

وأجهزة الفيديو وغيرها من الوسائل السمعية والبصرية لأعطاء صورة حية وشاملة للواقع الميداني الذي يقوم بدراسته ويستعين الباحث أحيانا بنقطة الصفر Zero point لمقارنة أوضاع المجتمع قبل وبعد حدوث تغيرات أساسية معينة كتحول الصناعة والثورات والحروب وهذه النقطة تحدد تمسكيا لأغراض الدراسة المتزامنة للمجتمع المطبق مع الرجوع الى ذاكرة كبار السن والوثائق لمقارنة المرحلة السابقة على التغير بالمرحلة اللاحقة لها .

**ثانيا : سنعرض هنا لأبرز هذه الأدوات وهي الملاحظة بالمعيشة وصحيفة المقابلة ودليل دراسة الحالة :**

## ١ - الملاحظة بالمعيشة :

### مقدمة :

تعنى هذه الأداة استخدام مفهوم الملاحظة في مواقف بحثية يتعايش فيها الباحث مع موقف أو الجماعة أو الظاهرة المراد دراستها بحيث يرتبط الإنسان القائم بالملاحظة مع « الآخر » موضوع الملاحظة ارتباطا مباشرا ، وغنى من القول أن تتعامل الباحث ( الملاحظ ) والناس موضوع الملاحظة بشكل المحور الأساسى فى الدراسة الحقلية فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية .

١ - التاريخ للملاحظة بالمعيشة : ان التاريخ لهذه الاداة يقودنا لتقليد الدراسة الحقلية فى الأنثروبولوجيا اذ بدأت الرحلات الأنثروبولوجيا اساسا فى الولايات المتحدة حين قام بواز Boas بدراسه الحقلية فى كولومبيا ( البريطانية ) وانتقلت هذه الدراسات الى انجلترا حين قام هاردين Haddon على رأس بعثة جامعة « كمبردج لدراسة منطقة مضائق توريس Torres straits بالمحيط الهادى فى نهاية القرن التاسع عشر ، وقد اعتبرت هذه المرحلة نقطة تحول فى تاريخ الدراسة الحقلية فى مجال الأنثروبولوجيا فى بريطانيا اذ أسهم سلجمان G. Seligman - أحد أفراد جامعة كمبردج - بدوره فى توجيه بعض رواد الأنثروبولوجيا الى اتباع النهج الخاص بالمعيشة فى مجتمعات معاصرة - بعيدة عن المجتمعات التى عاشوا فيها - ومن هنا بدأت الدراسات الحقلية الغائبة على الملاحظة بالمعيشة تأخذ نصيبها من الاهتمام حيث درس ليفانز برتشارد على سبيل المثال السودان ، والنوير Nuer ونيسام نيام وغيرها من المجتمعات الإفريقية (٨) كما قام رالكليف براون الذى كان تلميذا لريفز وهادن بدراسة لسكان جزر الاندمان The Andaman Islanders وهى من الدراسات المهمة التى حاولت الانتفاع من خبرة الدراسة الحقلية

على أساس استخدام الملاحظة بالمعيشة للسكان حيث يعتمد برأون أن المنهج العلمى يبدأ بالملاحظة ثم التصنيف فالمقارنة والتحليل (٩) ولا معنى هذا بطبيعة الحال أن ( هذه ) الدراسات الحقلية الأولى كانت تمثل النموذج المثالى الذى ينبغي اتباعه فهى لم تخلو بدورها من ثغرات ونقاط ضعف عديدة إذ أن قصر المدة التى كانوا يمضونها بين تلك الشسوب : وجهلهم بلغاتها ، وعدم توطن العلاقات مع الأهالى وغيرها من الأخطاء قد أدت الى الحصول — فى الكثير من الأحيان — على بيانات سطحية ، وليس هناك شك كذلك أن رانكليف براون ( ١٩٠٦ : ١٩٠٨ ) كان أول من حاول الرجوع الى مجتمع بدائى معين لوصف الحياة الاجتماعية بينما يعد **مالينوفسكى** Malinowski وهو تلميذ لكل من **هوبهاوس** Hobhouse و**ويستمارك** Westermarch و**سلجيمان** — أبرغ من قام — من الرواد — بدراسة حقلية إذ استخدم الملاحظة بالمعيشة فى دراسة لسكان جزر التروبريان **Trobriand** فى ميلانيزيا بين عام ١٩١٤ ، ١٩١٨ ومصادق ذلك أنه أول من استخدم لغة الأهالى أنفسهم فى الدراسة وعاش مع الناس بحسب طريقتهم الخاصة فى الحياة ، الإبر الذى مكّنه من التطفل فى فهم الحياة الاجتماعية فى هذا المجتمع فتمكن من دراسته بصورة متعمقة (١٠). كما أن مالينوفسكى كان يؤكد دائما أن النظرية العلمية يجب أن تبدأ من الملاحظة (١١) .

### محتوى هذه الأداة :

تستلزم الدراسة الحقلية التى تتبنى هذا الأسلوب من أساليب الدراسة الحقلية أن يشارك الباحث فى الحياة اليومية للناس — من خلال الموقف الحياتية المختلفة وهو يدخل فى حوار مع الناس ويستوضح تسيرهم للأحداث ، ومن هنا يشعر الناس بأنهم موضع اهتمام الباحث الأنثروبولوجى وأن تفسيرهم الشخصى لمجريات أمورهم يعد موضع تقدير الباحث الحقلى ويحل اهتمامه . وغنى عن القول أن طول الفترة التى يقضيها الدارس الأنثروبولوجى فى الميدان يمكن أن تحسم نهمة للكثير من الظواهر بصورة متعمقة (١٢) .

تتضمن هذه الأداة بذل الجهد الأكبر فى ملاحظة الظواهر وتقصى دورها ووظيفتها ومعرفة تفاصيلها مع بذل الجهد الأقل فى توجيهه الأسئلة ، وبالرغم من أن المعيشة الكاملة فيها تركيز على عملية التفاعل

والاندماج — في حد ذاتها — إلا أنها تتم عادة بصورة قد تنقد الباحث هويته العلمية ، ومن الأمثلة النريدة على ذلك ما حدث في القرن الماضي عندما تحول كشنج F. H. Cushing إلى واحد من كبار الكهنة في قبائل الزوني في نيومكسيكو وتمهد بكم الأسرار ولم بعد قادرا إذ ذاك على أداء دوره كباحث ( أنثروبولوجي ) ( ١٢ ) .

فإن الملاحظة بالمعيشة من جهة أخرى تتضمن التركيز على التفاعل مع الناس حتى لا تنف الملاحظة الكابلية حائلا بينه وبين الاقتراب في الظاهر ، ( نظرا لعزلته عن المجتمع المحلي موضوع الدراسة الحقلية ) كملاحظ فقط ، فالملاحظة بالمعيشة تتضمن **الملاحظة المتعمقة** للظواهر في ظل علاقة تفاعلية مستمرة بين الباحث الحقلى والشخص أو الجماعة موضوع الدراسة ، وكلما كان الباحث أكثر دقة في ملاحظاته وأكثر تفاعلية في علاقاته بأتراذ المجتمع في المواقف المختلفة ازداد نجاحه في استخدام هذه الإداة .

وينبغى التنويه أن الملاحظ المعاش للظاهرة لا يعطى للناس فرصة للاحساس بأنه غريب عنهم بل على العكس تهايا مالتفة المتبادلة بينهما ستجعل بوسع الناس ممارسة أدوارهم المعتادة دون أن يتحول الموقف الدراسى إلى مسورة مصطنعة — تكاد نخلو من الواقعية — وأذ ذاك فإن مطالبة الباحث بأن يحاول الاندماج في المجتمع الأصلى وينسب هويته العلمية لى يصبح أحد أعضاء هذا المجتمع تصبح قليلة الأهمية .

هناك قواعد أخلاقية ينبغى مراعاتها كالمحافظة على سرية الاسماء ومراكز الأفراد الاجتماعية ومواقفهم في البناء الطبقي والحرص على بعض أسرار الجماعة والمحافظة على الوثائق الخاصة بها والتي تكون قد أطلعنا عليها دون أن نثال الاذن بالانصاح عنها .

ويكون التعاطف والقدرة على احترام مشاعر الغير — مهما كانت درجة الاختلاف بينهم — لا يستقيم استخدام هذه الإداة في الميدان ، ويجب أن يتبع الباحث الحقلى بقدره فائقة على فهم الغموض كما أن عليه أن يتجنب إصدار الأحكام والنتائج المتسرعة بل أن عليه أن يقترب من نماذج السلوك التى قد يجدها غير محببة إلى نفسه في نهائية الأمر ( ١٤ ) .

من بين الأدوات التي نستعين بها في ملاحظتنا بالمشاركة **المصور** **الفوتوغرافية** و**الفيديو** ، و**التسجيل الآلى** و**الكتابى** و**الإطلاع على الوثائق** و**المستندات** و**اختيار « الاخباريين »** فضلا عن استخدام **الاسئلة** و**الحوار** و**استجلاء العلاقات** و**الروابط** بين **المواقف** التي يتعذر فهم احداها دون ربطه **بالمواقف والاحداث الاخرى** في **حياة الجماعة** أو **المجتمع المحلى** .

يشير بيلز وهويجر الى هذه الاداة باعتبارها تتضمن مشاهدة تسجيل اكبر قدر ممكن من السلوك مع المشاركة في اكبر عدد من الانشطة تتيجها الفرصة للباحث ، ومن هنا فقد يدعى الشخص الى حفل زفاف أو عيد دينى وعليه أن يفتن الى أهمية هذه المواقف في الدراسة الحقلية وربما لا يستطيع أن يسجل ملاحظات في هذه المناسبات غير انه يسجلها بعد أن يخطو الى نفسه وأذ ذاك فانه قد يكشف بأنه أغفل ملاحظة الكثير من الحقائق الهامة التي ينبغي أن يستوضحها بعد ذلك .

على الباحث أن يتجنب الارتباك بسبب مشكلات المشاركة لشخصية في الطعام والشراب أو لاضطراره لاتباع انماط السلوك المحلية التي لم يتعودها من قبل كما أن عليه كذلك أن يؤجل المصيد من الاسئلة التي قد تلج في طلب الاجابة عليها حتى لا تضع الفرصة الذهبية للملاحظة بالنسبة لبض المواقف ، اذن أن الاجابات المباشرة لا تكاد تخلو عادة من التبسيط المخل أو التهويل الشديد أو المغالطة المتعمدة .

هناك عدة محاور أساسية ينبغي أن تأخذ نصيبها من اهتمام الباحث لضمان الاستخدام الموضوعى لهذا المنهج ومنها :

١ — أن يبدأ الباحث دراسته في اطار فهمه الوامى **الحقيقى للنظرية** **الانثروبولوجية** ، فالاطار النظرى والتصورى هو الذى يقوم الدراسة الحقلية ويوجهها ، ويثريها .

٢ — أن يقوم بتحديد الهدف الاساسى والاهداف الفرعية و**الفروض** أو **تساؤلات الدراسة** ، والبيانات التى يرغب فى التوصل اليها .

٣ — أن تكون له دراية وافية **بالتراث المتوفر** عن موقع الدراسة وأن يحاول دراسة اللغة وعادات السكان قبل النزول للميدان .

٤ — أن يتولى الأعداد ( الجيد ) وحشد كافة الإمكانيات والطاقات التي تستلزمها طبيعة الحراسة الحظية قبل مقابلة الناس .

٥ — أن يقضى فترة طويلة في الميدان لا تقل عن عام وقد تصل الى عدة سنوات كما تطول هذه الفترة بقدر جهل الأنثروبولوجي بالمجتمع المحلي واتساع المجتمع المدروس وتمعد بنيته وثقافته .

٦ — أن يقوم الباحث بتصنيف وتحليل وتفسير المادة التي جمعت للخروج بنتائج واضحة ومفصلة .

وإذا ذاك ينبغي أن يحدد الباحث دوره في المجتمع المدروس فأمراء المجتمع سينظرون اليه كغريب ، وقد تتراوح ردود أفعالهم تجاه الغريب بين العداء والكرم ، وينتقل بيلز وهويجر عن وأجلى C. wagley أن المجتمع المحلي كان يتعاطف مع الباحث الأنثروبولوجي في إحدى القبائل الهندية في الأمازون حيث كان الأفراد ينظرون اليه كشخص جاهل بالمعلومات الأساسية اللازمة — وأن الواجب يقتضيهم تعليمه ما يعرفونه (١٩) .

### الظواهر التي تستخدم الملاحظة بالمعيشة لدراستها :

تعد الملاحظة بالمعيشة منهجا كليا وشمواليا Holistic Approach للدراسة الحظية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية Social, Cultural Anthropology وهي تستخدم عادة لدراسة الأبعاد الآتية :

١ — **الإنسان الاجتماعية Social Systems** وتتضمن هذه الأنساق الأساسية والفرعية أنماط السلوك الإنساني Behaviour Patterns التي تتضح من خلال المواقف التي يظهر فيها الاعتماد المتبادل Interdependence بين الناس .

ب — **مؤسسات المجتمع المحلي** وهيئاته الرسمية .

ج — **ثقافة المجتمع** سواء الثقافة المادية Material Culture أو غير المادية

التي تشمل المعتدات *Rituals* والمادات والاتجاهات والقانون العرفي *Customary* وغيرها .

د — **مشكلات المجتمع المحلي والانحرافات** *Deviations* ، وأنماط الجناح *Delinquency* ، وعادة ما يجد الملاحظ المعاش للمجتمع المحلي نفسه في مواجهة مركبات سلوكية *Behavioural Complexes* تستوجب دراستها (١٦) .

ومن المعتاد في الدراسات الحقلية التي تستخدم فيها الملاحظة بالمباشرة كذلك تتبع التغير في أنماط السلوك وديناميات التغير التي تحدث في الحياة اليومية .

وهناك بعض الملاحظات العامة التي ينبغي أن يهتم بجمعها الملاحظ إبان احتكاكه بالمجتمع المحلي *Local community* موضوع الدراسة ومن بينها :

— **عدد السكان** ، والبيانات الديموجرافية من المجتمع .

— **الموارد الطبيعية** ونمط النشاط الاقتصادي والحيوانات ، والنباتات وأنواع الطعام التي يألفها الناس .

— **الطرق والمسكن** ونمط المسكن والأثاث المتوفر عادة لدى الطبقات المختلفة في المجتمع .

— **الخدمات التعليمية والصحية** والمواصلات الموجودة والتي تربط المجتمع بالمجتمع الأكبر والمناطق المجاورة .

— **التفاعل** وشبكة العلاقات التبادلية *Network of social Relations*.

— **المناسبات الاجتماعية** ، والأمرية والدينية .

— **التفروق بين الطبقات** والشرائح الاجتماعية *Socio-Economic*

Power structure

وبناء القوة

Stratification

في المجتمع .

— شجرة الانساب والمصطلحات القرابية

Genealogy, Kinship terminology

— السحر والقولكلور والاساطير (١٧) .

وعلى الرغم من الاختلافات بين المخلين الثقافي والبنائي لدراسة الحياة الاجتماعية فان اول ما يسترعى نظر الدارس للانثروبولوجيا الثقافية في دراسته الحلقة انماط التغير للموس والمظاهر المخططة للحياة المادية التي تدخل في اطار الثقافة المادية ، بينما تدخل العلاقات الاجتماعية وشبكة التفاعل داخل الانساق في صميم اهتمام الانثروبولوجيا الاجتماعية وتحتاج دراستها الى كثير من التحليل والفهم المتعمق ، بينما يعيب ابو زيد على رادكليف براون اعتقاده بان الملاحظة « المباشرة » تدلنا على العلاقات ( البنائية ) فانه يعتقد ان هذه الملاحظة المباشرة يمكن ان تكشف لنا عن الانماط الثقافية نحسب بينها تحتاج العلاقات الاجتماعية الى شيء من التجريد والتعمق الذي يمكن ان يتم في مرحلة لاحقة (١٨) .

وبعبارة أخرى فان الباحث الانثروبولوجي احوج ما يكون الى المشاركة والملاحظة بالمعيشة وبخاصة حين يكون مهتما بدراسة الانساق الاجتماعية والتغير الاجتماعي في المجتمع المحلي .

ومن الواضح ان صغر حجم المجتمع — يتيح للباحث الانثروبولوجي استخدام هذه الاداة من طريق الاتصال المباشر وبالاتامة في المجتمع ، ومشاركة الناس بنشاطهم المخططة والاتامة في هذا المجتمع فترة لا تقل من عامين ، ومن هنا كان المدخل « البنائي » ينقر اشد النفور من الادوات والاساليب التقليدية كاستمارات الاستبيان ، ويتيح هذا المدخل فهم اى نظام في ضوء علاقته بالبناء الاجتماعي ككل ويذكر ميري ميزأت هذه الاداة بقوله (١٩) :

«The hall mark of the anthropological method is participant observation, a ponderous, term that means only that the research-

cher lives among the people he is studying takes part in their social life, and watches what is happening, asking question when he does n't understand.»

وليس بخاف أن الملاحظ المعايش للناس ينبئ أن تكون له شخصية سوية وأن يكون غير متعصب لدينه ، أو جنسه ، أو نومه فالتعصب يمكن أن يعنى عينية تماها عن الرؤية الدقيقة والتفسير الحقيقى للموقف أو الظاهرة المدروسة .

وليس هناك شك أن الملاحظة بالمعايشة تواجه في الكثير من الاحيان بصعوبات وتحديات كثيرة فالجباة لا تقبل بسهولة انضمام الاغراب اليها ومن المعروف أن الكثير من الجباة المتطرفة سياسيا او عنصريا تحكم بالموت على الشخص صادة اذا اكتشفت أنه يمكن أن يفشى أسرارها أو ينشرها للعالم .

#### ب — صحيفة المراقبة :

تعد استمارة المراقبة احد أبرز الأدوات البحثية في علم الاجتماع والانثروبولوجيا وبخاصة في الحالات الاتية :

١ — الحالات التى يتعرض فيها الحصول على بيانات من خلال الملاحظة والملاحظة بالمشاركة كالمواقف الماضية المتعلقة بتاريخ الأسرة والزواج والانجاب أو البيانات الخاصة بأسلوب وميكانزمات الهجرة بالنسبة للمهاجرين الريفيين المدن ... الخ .

ب — المواقف التى يستلزم الامر فيها مقابلة أعدادا كبيرة من الأشخاص (٢٠) يشكلون عينة ممثلة للمجتمع المحلى مع الحصول على النسب المئوية واليزن النسبى والدلالة الاحصائية بالنسبة لكل سؤال يوجهه الباحث لافراد العينة وبخاصة فى حالة وجود عينتين يقارن بينهما أو عينة واحدة تنقسم بالثراء الواضح فى خصائصها العنصرية والنومية والزواجية والتعليمية والمهنية والطبقية ... الخ . لاماكن المقارنة بين الظروف الاجتماعية والاستجابات النوعية لكل شريحة .

ولذلك يشيع استخدام هذه الاداة في **المسوح الاجتماعية** **الشمالية** في الدراسات الانثروبولوجية التي يدرس الباحث فيها كل وحدات المجتمع المحلي من خلال المقابلة الشخصية لمعرفة اتجاههم نحو الزعيم أو نحو القادة المحليين أو تجاه الصنوة أو نظام الحكم أو المستعمر أو المعاملات الاقتصادية واساليب الضبط الاجتماعي وغيرها .

جـ - تتبع المقابلة الشخصية فرصة ذهبية **للتفاعل** بين الباحث والمبحوث وقد يحدث هذا اللقاء في منطقة السكن مما يتيح الفرصة لملاحظة المستوى الاجتماعي - الاقتصادي للسكن ونوعية الاثاث فضلاً عن لقاء باقى افراد الاسرة وبخاصة اذا كان موضوع البحث هو النظام الاسرى والعلاقة بين اعضاء الاسرة الواحدة أو اذا كانت الدراسة عن صراع الاجيال داخل الاسرة ، ومن المعروف أن صياغة الاسئلة ينبغي أن تتمشى مع المستوى التعليمي وتراعى مدى القادة العريضة ممن ستطبق عليهم صحيفة المقابلة (٢١) .

ومن الواضح هنا أن الاتجاه السوسيوانثروبولوجي لا يقصر استخدام **الاستبيان الفريد** الذي ينشئ العلاقة بين الباحث والمبحوث حيث يكتب بارسال الصحيفة بالبريد دون اشتراط وجود المقابلة الشخصية ، كما أن الباحث لا يلجأ عادة الى ترك الاستشارة في يد المبحوث أو افراد المجتمع المحلي لكي يتولوا استيفائها بمعرفةهم في غيبة الباحث .

د - يستخدم الباحث هذه الاداة اذا كانت الشريحة المراد دراستها منتشرة في رقعة جغرافية متسعة وهو ما يحدث عادة اذا رغب الباحث في دراسة قادة المجتمع في المجالات المختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية ... الخ .

هـ - تستخدم صحيفة المقابلة في حالة دراسة بعض الجماعات الهامشية كالجماعة الجائلين على سبيل المثال .

وتستخدم هذه الاداة بخاصة في حالة انخفاض المستوى التعليمي لافراد المجتمع المحلي حيث توضع الاسئلة باللغة العامية التي يتحدثون بها .

و — تتبع صحيفة المقابلة اشتراك مجموعة مدربة تدريباً عالياً من الباحثين تحت إشراف الباحث الرئيسي وهو ما يسهل إجراء الدراسة السوسيوأنثروبولوجية في وقت وجيز نسبياً إذا قورنت بالدراسة الأنثروبولوجية التقليدية التي يقوم بها الباحث بمفرده ويقضى في المجتمع موضوع الدراسة عدة سنوات قد تصل إلى ٤ سنوات كما فعل مالفينوسكى ويفعل غيره في علماء الأنثروبولوجيا .

ز — تتضمن صحيفة المقابلة عادة إما أسئلة مقيّدة Closed أو أسئلة مهيكلية Structured كالسؤال عن الحالة الزوجية مع إضائة متغيرات الإجابة الآتية :

متزوج ( ) أمزب ( ) مطلق ( )  
أرمل ( )

وقد تتضمن الصحيفة أسئلة من النوع المفتوح Open أو غير المحددة un structured بهدف التعمق والتفصيل كالسؤال عن معلوماته الخاصة عن سبب تعاطي الشباب للمخدرات ويستخدم مثل هذا النوع من الأسئلة في الدراسات الاستطلاعية التي ليس للباحث معرفة كافية باحتمالات الإجابة مبها أو في الحالات التي تحتاج للاستطراد وللتعمق في فهم الظاهرة المدروسة (٢٢) .

ح — تتبع الصحيفة المستخرجة من خلال المقابلة الشخصية الفرصة لدراسة الإطار العام للمجتمع أو المظهر الخارجي للمجتمع المحلي Profile of the community ويمكن الباحث من خلالها أن يتعرف على الجماعات التي يضمها المجتمع المحلي والشرائح والطبقات والفئات المختلفة والعمليات الاجتماعية Processes التي تحدث بينها من تعاون وتنافس وصراع فهو يقوم بتوجيه الأسئلة نفسها بسؤال كل شخص على حدة دون أن يتأثر بآراء غيره من الأفراد ومن هنا يذكر ميرفي Murphy (٢٣) أن الأنثروبولوجيين الثقافيين يخصصون وقتاً طويلاً لهذه الأداة حيث يجمعون تدريجاً متسهماً من المعلومات A broad range of data والأداة لذلك تمتد متبشسية مع المجتمع الحديث .

ويؤكد فكور بارنو Bar Nouw (٢) أن صحيفة المقابلة تعد أداة مكملة

للملاحظة في الدراسة الانثولوجية فهي تتضمن ايضا لما يراه الباحث وهي تتضمن الملاحظة أيضا ، فالباحث لا يكتب ما يذكره البحوث فحسب بل يلاحظ كيف يتصرف البحوث ويتحدث ويرقب ايماءاته ومصحة شفاهه ووقفاته وتعلمه في الاجابة ويدرس عن كلب اثار مسكته ومقتنياته ، نصحية المتابعة تزيد مادة من معلوماتنا عن اعضاء المجتمع المدروس فالناس قد تغفل الانصاح عن بياناتها بحرية للاقرب عنها بالنسبة للاصدقاء .

ويذكر بارنو أن علينا أن نهتم باعداد الاستبيان اعدادا جيدا لكي نركز على افعال بعينها أو على حد تعبيره :

«A previously prepared schedule focuses the observer's attention on certain selected acts»..

ويستشهد بارنو على ذلك بأن أوسكار لويس وجدد الناس في نيويورك أقرب للباحثين منها بالنسبة لبعضهم البعض :

O'Lewis, for example found that the people of Tepoztlan were distant to one another but willing to open up to him and his coworkers.

وقد استخدمت هذه الاداة بكفاءة في الابحاث الخاصة بالثقافة والشخصية كالتي قام بها منتيرن L. Minturn ولايمبرت Lambert من الام في ست ثقافات mothers of six cultures حيث قاما بمسؤال الام عما تفعله في حالة بكاء الطفل وقد قام اريك فروم Fromm وميشيل ماكسوبي M. Maccoby بدراسة الخصائص الاجتماعية لاحد المجتمعات المحلية الريفية المكسيكية .

### ج - دليل دراسة الحالة : Case study Guide

تعد دراسة الحالة أداة رئيسية للتعلم في فهم الوحدة المدروسة سواء كانت الحالة فردا أو جماعة أو مؤسسة أو مجتمعا محليا Community وذلك بقصد :

١ - **الدراسة الشمولية** Molistic للوحدة المدروسة وهذا أبداً يعد من أهم المبادئ التي بحرص عالم الأنثروبولوجيا على اتباعها حيث أبرزت النظرية الجشطالتيّة Gestalt أهمية التعرف على الموقف الكلى للوحدة المدروسة والنظر للجزئيات في ضوء علاقتها بالكل فنحن ندرس على سبيل المثال بناء القوة في المجتمع power structure في ضوء علاقة هذا البناء بباقي شرائح المجتمع وطبقاته الاجتماعية .

ب - **الدراسة المتعمقة** Indepth للظاهرة أو النظام الذي ندرسه وهي خاصية تميز دليل دراسة الحالة عن استبارة الاستبيان فإذا درسنا الأسرة فإننا ندرس تفاصيل العلاقة بين الزوج والزوجة ( جسديا ونفسيا واجتماعيا واقتصاديا ) ودلالاتها ثم علاقة الزوج بالأبناء وعلاقة الزوجة بالأولاد ، ثم علاقة الذكور بعضهم ببعض الآخر وعلاقة الإناث بعضهم ببعض ، ثم علاقة الأبناء الذكور بالإناث الخ .  
هي أداة لا تلتزم بالدراسة السطحية للعلاقات الاجتماعية بل تتعمق في فهم شبكة العلاقات الاجتماعية وتهتم بتحليلها .

ج - استخدمت دراسة الحالة بكفاءة عالية لدراسة المجتمع المحلي كوحدة كلية والواقع أن معظم دراسات المجتمع المحلي قد اعتبرت هذا المجتمع سواء كان حضريا أم ريفيا أم منطقة صحراوية بمثابة « حالة » يمكن من خلالها تفسير أى ظواهر اجتماعية داخل أسوارها فالبناء الاجتماعي والثقافة يعدان بمثابة المتغيرات المستقلة التي تصلح لتفسير كافة الأنظم والظواهر الاجتماعية في الداخل دون اغفال للعلاقة التفاعلية بين هذه الوحدة الجزئية المدروسة والمجتمع الأكبر ، وتعد دراسة هيربرت جانز H. Gans (٢٥) بمثابة دراسة حالة لأحد الأحياء المتخلفة بمدينة بوسطن ويسمى The west End يضم الأمريكان من

أصل إيطالى وقد استخدم جاتز غسلا عن الملاحظة بالمعايشة المقابلات المتعمقة وهو يذكر فى هدف دراسته :

«My main research interests were two : to study a slum and to study the way of life of a low income population I want to know what a slum wallike and now it felt to live in one .. I have tried to describe the way of life of lower people as they might describe it themselves..

كما يوضح بالنسبة لهذه الاداة التى استخدمها وهى صحف المغابلة التى تحوى دورها أسئلة متممة :

«This study based primarily on intensive interviews».

د — تهدف دراسة الحالة أيضا الى توضيح التساويح التصيلي للوحدة المدروسة اذ أن القصد من لقاء الضوء على هذه الوحدة بمحاولة تتبع جذورها التاريخية بغية فهم الحاضر كما تهدف الى الفوص فى حياة الوحدة موضوع الدراسة ، فقد ندرس حالة طه حسين وتاريخ حياته لفصل الى فهم كامل لعصره او لالزهر او للقرية المصرية الخ . ومن أشهر الدراسات التى استخدمت هذه الإدارة دراسة توماس وزنانيكى عن « الفلاح البولندى فى أوروبا وأمريكا » كما درس عاطف غيث قرية « القبطون » فى مصر مستخدما هذه الاداة نفسها (٢٦) .

ويعد دليل دراسة الحالة بمثابة قائمة تضم اما مجموعة أسئلة مفتوحة سبق اعدادها بدقة او مجموعة الموضوعات الأساسية والفرعية التى تساعد البحوث على ترتيب استجابته وإفكاره وتمطى الفرصة لرونة أكبر حيث يملك الشخص القدرة على الاستطراد فى الحديث فى ضوء العلاقة التفاعلية الوثيقة التى تربط الباحث بالوحدة المدروسة وتتأكد هذه العلاقة فى ضوء طبيعة دراسة الحالة نفسها فالنليل قد يستلزم القيام بمقابلات عديدة تستحوذ القضايا الأساسية والفرعية على مدة جلسات تتوقف من خلالها العلاقة بين الباحث والبحاث وتزداد المعرفة المستقصاة حتى يمكن استيفاء البنود المتوقعة فى دليل دراسة الحالة وعلى سبيل المثال فسان الباحث الانثروبولوجى قد يقوم بدراسة ظاهرة السحر فى المجتمع فبتولى دراسة حالة السحرة ويعتبر كل ساحر هنا بمثابة حالة Case يمكن دراستها

ومعرفة التفاصيل المتصلة بتنشئة الاجتماعية وظروئه الاسرية واحواله التعليمية والمهنية والزواجية وطبقته الاجتماعية وكيفية ممارسته السحر وخصائص الجمهور الذى يتردد عليه ونوعية المشكلات — لن يأتون اليه بها لحلها — والشعائر الطقوسية التى يؤديها ... الخ .

وتقد يدرس حالة الاشخاص الذين قبض عليهم لارتكابهم جريمة الاغتصاب لمعرفة الاسباب التفصيلية لشيوع هذه الجريمة رغم أن عقوبتها تصل للاعدام .

وما من شك ان الباحث يستطيع من خلال هذه الاداة أن يدرس الظواهر الثقافية كالولود وجلسة الحشيش والزار وحلقات الذكر وغيرها حيث يعد المولد وجلسة الحشيش والزار وغيرها بمثابة حالة يمكن دراستها دراسة متعمقة وشمولية أيضا . كما يمكن استخدامها بكفاءة عالية اذا اردنا أن ندرس ظاهرة كالانتحار من خلال دراسة حالة أولئك الذين أنقذوا فى اللحظات الاخيرة قبل أن يغادروا الحياة .



## « المصادر »

- ١ — محمود عودة — تاريخ علم الاجتماع — بيروت — بدون .
- ٢ — سمير نعيم — النظرية في علم الاجتماع — القاهرة — ١٩٧٧ —  
الفصل الأول والثاني .
- ٣ — ١. ب. دوزير مفهوم البدائية والوطنية في الانثروبولوجيا ( في )  
اشلى مانتافيو ( محرر ) البدائية — ترجمة محمد عصفور — عالم  
المعرفة — مايو ١٩٨٢ .
- ٤ — محمد عبده محجوب — مقدمة في الاتجاه السوسيوانثروبولوجى —  
الفصل الرابع .
- (\*) انظر الدراسة التى اشترك فيها الباحث ضمن فريق البحث  
الانثروبولوجى المصرى — الهولندى فى الدراسة التى اشرف عليها  
المركز القومى للبحوث الاجتماعية عن « امكانات التنبيه بين ذوى  
المستوى المعيشى المنخفض » المركز القومى للبحوث الاجتماعية  
والجنائية — ١٩٨٢ و ١٩٨٣ .
- ٥ — محمد عبده محجوب — المصدر السابق — مواضع عديدة وايضا  
محمد عاطف فيث — التغير الاجتماعى والتخطيط — الاسكندرية —  
١٩٦٢ .
- ٦ — ثروت اسحق — اثر التصنيع والتحضّر على البناء الاجتماعى —  
دكتوراه غير منشورة — جامعة مير شمس — ١٩٨٠ — الفصل  
السادس .
- (\*) يتيح ذلك فرصة للملاحظة الحية الاجتماعية فى كل نصول السنة  
وتسجيلها بكل دقائقها .

- ٧ — ١. برتشارد — الانثروبولوجيا الاجتماعية — الفصل الرابع .
- ٨ — ايفانز برتشارد — الانثروبولوجيا الاجتماعية — ترجمة أحمد أبو زيد — القاهرة — ١٩٧٥ — المقدمة .
- ٩ — على ليلة — البنائية الوظيفية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٨٢ — الفصل الرابع .
- ١٠ — ايفانز برتشارد — المصدر السابق — الفصل الرابع .
- ١١ — على ليلة — المصدر السابق — الفصل الثالث .
- ١٢ — ثروت أسحق — الملاحظة بالمشاركة — ورقة مقدمة للندوة المنهجية التي عقدت بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية — يناير ١٩٨٣ .
- ١٣ — بيلز وهويجر — مقدمة في الانثروبولوجيا العامة — ج ١ ترجمة محمد الجوهري والسيد الحسيني — القاهرة ١٩٧٦ — الفصل الخامس .
- ١٤ — المصدر نفسه — المكان نفسه .
- ١٥ — المصدر نفسه — المكان نفسه .
- ١٦ — نرفانا أحمد — طريقة المعاشية — ورقة غير منشورة — مقدمة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية — وحدة الأسرة — ١٩٨٤ .
- ١٧ — البناء الاجتماعي — ج ١ — ١٩٦٥ — الفصل الخامس .
- ١٨ — المصدر نفسه — المكان نفسه .
- ١٩ — R. F. Murphy, Cultural and Social Anthropology, New Jersey. 1986, p. 222.
- ٢٠ — Ibid p. 225.
- ٢١ — عبد الباسط محمد حسن — أصول البحث الاجتماعي — القاهرة — ١٩٦٣ — الفصل السابع عشر .

٢٢— مسير نعيم — المنهج العلمى فى البحوث الاجتماعية — القاهرة —  
١٩٨٨ — الفصل الثامن .

Op cit. pp. 225, 226. —٢٣

Culture and personality U.S.A. 1973. pp. 261 : 277. —٢٤

The Urban villagers. U.S.A. 1965, preface. — ٢٥

٢٦— هناك دراسة أخرى خصبة المحتوى تناولت دراسة المجتمع المحلى  
كمائة ، انظر :

R. Redfield, Avillage That chose progress Chan Kom  
Revisited. Chicago. 1964.



## « النادي وميكنزمات الصراع في مجتمع محلي »

### دراسة سوسيوانثروبولوجية

#### مقدمة :

ينهض هذا البحث على دراسة حقلية لأحد أطراف مدينة القاهرة حيث تبعد المنطقة عن وسط المدينة بنحو ٢٠ كم ويذل تاريخ المجتمع المحلي من أنه كان بمثابة منطقة زراعية حتى قيام ثورة ١٩٥٢ حيث استهدف المجتمع للتغير الاجتماعي — تحت وطأة التصنيع والتحضر الذي ابتدأ الى الأجزاء المجاورة له في منطقة حلوان الصناعية التي استقبلت مشيرات المؤسسات الصناعية إليها — واضطرت مدلات الهجرة الداخلية المتجهة للمجتمع المحلي خلال العقدين الأخيرين بناء على ذلك بصورة ملحوظة .

وقد تأسس النادي منذ حوالي ١٠ سنوات بعد صراع طويل حيث تحبس الشباب لفكرة تأسيسه على أرض « حكر » مملوكة للمجتمع المحلي بينما تحبس كبار السن — ومن اقتربت أعمارهم من سن الشيخوخة — لتحويل المبنى الى مؤسسة تباع السلع الاستهلاكية أو تؤدي خدمات معيشية أخرى غير متوفرة في المجتمع المحلي ويانتصار الشباب أحس كبار السن بالهزيمة والاحباط الشديد نتيجة لذلك ومن ثم اتهم الشباب بعدم أخذ الحياة مأخذ الجد بينما دافع الشباب عن رأيهم بأن النادي سيصبح المتفلس الوحيد لانشطتهم والبديل عن ارتياد المقاهي والتي يقوم البوليس بعمل « كبسات » عليها في أحيان كثيرة للتأكد من عدم ممارسة ألعاب القمار وتعاطي المخدرات وبخاصة بالنسبة للأغراب عن المنطقة وسائقي عربات الأجرة والسيارات الكبيرة المارة بالمنطقة .

وقد أجريت الدراسة الحقلية للنادي في الفترة الممتدة من مطلع سنة ١٩٨١ حتى مطلع سنة ١٩٨٢ وتم الاستعانة بالملاحظة بالمعايشة لمدة

لا تتل عن ٤ أيام أسبوعيا فضلا عن المخابرات الجماهيرية وقد قام بالملاحظة بالمشاركة واحد الباحثين الهولنديين .

وتفصح المشاهدات الميدانية عن الفجوة بين النادي والمجتمع المحلى او على حد تعبير احدى الحالات « سبب فشل النادي فى تكوين علاقة مع المنطقة » ( المجتمع المحلى ) ترجع فى نظرى لنقص وعى الناس وكمكان ( علشان ) علاقة اعضاء مجلس ادارة النادي بتقوم على التفاسق وناس بتحاول تظهر بمظهر القوة وانهم اقوى من — الناس — الثانىين « وقد ادى هذا الى تجييد بعض الأنشطة وبخاصة الأنشطة التى تتيح الفرصة للحوار ومناقشة مشاكل الشباب حين تذكر حالة اخرى « مغروض النادي يفتح ابوابه نهارا وليللا ولكن لا يوجد مسئول ويمكن أن تهاجم باى اتهام داخل النادي ومايفش اهتمام بمسابقات الشطرنج مثلا وعلشان كده فيه شباب يفضل التهوؤ « ( الجلوس على المقهى ) . وتستكمل حالة اخرى هذاً بقولها « النادي الوقت منفصل من المنطقة « المجتمع المحلى » الشباب نفسم ( انفسهم ) بيروحوا النادي علشان ألينج مثلا لكن مايفش حاجة مشجعة ، رئيس مجلس الادارة بطبيعته راجل مش رياضى ... وبيختلس ايرادات النادي « . ومفهوم النادي فى حد ذاته مصدر نقد من الشباب انفسهم « او على حد قول احدىهم « النادي مفهومة عند الناس مفهوم خاطئ، ينصب أساسا على لعب كرة القدم بالذات وده مفهوم خاطئ ويرجع لارتفاع معدل الامية على أساس ( تكبرهم ) ان النادي مكان أجتباع الشباب الفاضى « ( الذى لا يعمل ) .

أما الاهداف غير الرياضية والثقافية فانها صوحت بدخول بعض الأشخاص من لهم اتجاهات سياسية وميول دينية متطرفة ، وأزدادت حدة الصراعات داخل « اللجنة الثقافية » مما أدى الى إلغاء هذه اللجنة تماما منعا لحدوث المشكلات واحتمال انعكاسها على النادي مما قد يهدد باغلاقه .

والحقيقة أن النادي يعكس بصورة واضحة أوجه الحياة الاجتماعية فى المنطقة ، إذ أن المجتمع المحلى يضم أربع عصبية كبيرة :

( عميره ، شادى ، الصاوى ، خزام ) .

فضلا من عائلات ( خالد ولطيف ) ويحاول الجميع بينهما حتى يتكن من تحقيق أهدافه فى ظل تمثيل عصبية المجتمع المحلى والعائلات ويعكس

بدوره أوجه الخلاف بينهما أما الاعداد الكبيرة المهاجرة للمنطقة طلبا للسكن بجوار محال مهلم من يطلق عليهم « الفرط » (١) فلا لزوم لتهيلهم إذ أنهم لا يشكلون مصدر الثقل في التركيب السكاني والتنظيم الإجتماعي بالمنطقة كما أن الصراعات التي تتور بين العصبيات والعائلات تنعكس بدورها على النادي فقتد حدثت بعض المشاكل بين هذه العصبيات في نهاية السبعينيات (١٩٧٠) ، وأسفرت عن تنحية رئيس مجلس إدارة النادي وأمين الحزب الحاكم ( وكانوا ينتمون لاحد هذه العصبيات ) وتجريدهم من بعض اختصاصاتهم والتشهير بهم .

والنادي يضم بين أعضائه مجلس ادارته بعض اصحاب المؤهلات الجامعية كالحامى والمهندس بينما يضم في عضويته الطلاب والعمال وغيرهم ، وغير خاف أن العصبية هي قطب الحياة الاجتماعية في هذا المجتمع التقليدي وفي ملكها تتزايد الصراعات التي تهدف لاستحواذ كل عصبية على بناء القوة داخل المجتمع بينما تعتمد الجول السياسية والدينية داخل بنية هذه العصبيات نفسها ، ويعبر أحد الأشخاص عن ذلك بالقول « عصبية ( مادي ) يميلوا لبعض أكثر من النسادى » وبعض « شباب عصبية ( الصاوى ) يرفضون العضوية ملثشان المشاكل والمناقشات » ، وبين عصبية ( شادى ) ورئيس مجلس إدارة النادي شخصان لا تخفى على أحد . . في انتخابات المجلس المحلي الأخيرة هو خاتمهم وعصبية ( الصاوى ) كمان خانوه . . الخ . وقد اقتصت الدراسة الحقلية عن أن عصبية ( عميرة ) كمعصبية كانوا يعارضون أساسا تأسيس النادي . أما ( الصاوى ) فكانوا يرفييون في وضع اليد على مساحة محدودة من الأرض ملاصقة للنسادى — خلت بنقل أحد الأكشاك المخصصة لتوزيع السلع الاستهلاكية منها — وضبه للبعثى المواجه للنادى والتي يملكها أحدهم وعارض الشباب هذا واستعانوا بالجهات المسئولة، أما الامر الملفت للنظر فإن عصبية(الصاوى)لجات الى احد الوزراء من البلديات لتحقيق رغبتهم من جهة كما أن الوكيل الثانى للنادى ( وهو شقيق صاحب المقهى ) قد حاول من جهة أخرى الوقوف مع عصبيته لحرمان النادي من هذه الأرض وضبه لشقيقه طمعا في فوز العصبية على حساب النادي .

---

(١) الفرط هم الافراد الذين نزحوا كافراد او مع أسرهم الزوجية لا في ظل جماعات او عصبيات .  
(٢) قبيل إجراء الدراسة الحقلية .

وقد فشل رئيس مجلس ادارة النادى فى المحافظة على علاقات ودية  
حمية بينه وبين العصبيات مما عاقى النادى عن تحقيق الكثير من اهدافه  
نتيجة للصراعات التى ثارت بينه وبين الاعضاء الذين ينتمون لهذه العصبيات  
والعائلات .

اما رد الفعل الناتج من هذا الصراع والتى لحقت برئيس مجلس  
الادارة فمجلته يخشى من هذه العائلات والعصبيات مما جعل الحقة الاخيرة  
توصف من جانب الشبان بأن « رئيس مجلس الادارة مش حازم وبيرامى  
العائلات نتيجة خوفه الشديد من هذه العائلات لان العند بيولد الكفر » .  
وانعكس ذلك على نظام التدريب . وعلى حد تعبير أحد الحالات « تحس  
اننا عيلة واحدة علشان القرابة والجيرة وده مش كويس . احنا فى حاجة  
للجدية فى التدريب بتاعنا » . ومن هنا أصبحت القرارات الصادرة من  
مجلس ادارة النادى غير معبرة عن مصلحة المجموع بل معبرة عن الخوف  
الشديد من اغضاب رؤساء العصبيات والعائلات فى المجتمع المحلى وتعبير  
بدورها عن المصلحة الذاتية لافراد أكثر منها مصلحة القاعدة المتسعة من  
شباب النادى فعلى حد قول أحد الشباب « رئيس مجلس الادارة يسيطر  
على قرارات النادى » بينما عبر غيره عن أن هذه الهينة لم تحقق الهدف  
الذاتى المرجو منها ، فقد فشل رئيس مجلس ادارة النادى فى المحافظة  
على علاقات ودية حمية بينه وبين العصبيات الموجودة مما عاقى النادى عن  
تحقيق الكثير من اهدافه نتيجة للصراعات التى ثارت بينه وبين بعض  
الاعضاء الذين ينتمون لهذه العائلات ، وقد حدث حين اتخذ المجلس قرارا  
بفصل أحد الاعضاء ان قام هذا العضو بتقديم عشرات الشكاوى الكيدية  
التى اضير بسببها رئيس مجلس الادارة — وبعض اصحابه — ممن كانوا  
يظنون بناء القوة فى هذا المجتمع المحلى — مافيا وادبيا .

وهكذا لم يقوى النادى على مجاراة التحول الاجتماعى الذى تعرض  
له المجتمع المحلى فى تحوله من منطقة زراعية الى منطقة متاخمة لعشرات من  
المؤسسات الصناعية والذى أدى الى جذب عشرات الاسر التى وجدت  
للمجتمع المحلى طمعا فى الحصول على مساكن قريبة من محال العمل فظل  
التنظيم داخل التسادى يتسم بالتقليدية ويعكس امضاء الصراعات بين  
عصبيات المجتمع التى كانت مستقرة به قبل أن تلحقه آثار التصنيع والتحضر  
اما رؤساء العصبيات انفسهم فاتهم يقفون بالرصاد ضد مشاريع النادى حيث  
يعدون الك امة أحد امضاء النادى ، بقوله « عاقب الناس . أكمل . هنا

يكروهوا النادي كره العمى ( كراهية عمياء ) مخ الناس الكبار ان النادى  
معناه كورة وبس معنى فساد ... علشان كده كل البيوت هنا متضايقين  
من النادى » .

اما رئيس النادي فينسب هذا الصراع برمته الى الظروف والملابسات  
المصاحبة لتأسيس النادي فقد حاولت الجهات السياسية ( ممثلة فى الاتحاد  
الاشتراكى ) والادارة الحكومية ( ممثلة فى رئاسة الحى التابعة له المنطقة )  
والجهات الاقتصادية ( ممثلة فى مؤسسة الاهرام للجمعيات التعاونية  
الاستهلاكية ) الاستيلاء على المبنى « لكن الشباب وقفوا معنا وكبار البلد  
قالوا بقى مبنى زى ده يأخذهو يلعبوا فيه العيال ... » . والامر الملفت  
للنظر ان النادي لا يملك حتى الان الارض وبالتالي لا يملك المبنى الخاص  
به فالارض التى شيد عليها النادي ولعب الكرة شاتها شان معظم اراضى  
المنطقة « ارض حكر » وتعد من الناحية الرسمية تمديا على لبلاك الدولة  
ولم يحسم امرها حتى الان وتلصح الدراسة الحظية من ان النادي يستثير  
صراعا يمتد بدوره داخل كل اسرة مالاخر التقليدية فى المنطقة والتى تنتمى  
للطبقة العاملة الفقيرة تعتبر النادي اضافة للجهد والوقت الذى ينبغى ان  
يخصص بجملته للعمل وكسب المال والتحصيل الدراسى . والنادى هنا  
يمثل مؤسسة شبابية يلفظها المجتمع المحلى اذ انها من وجهة نظره تتناسى  
المشكلات المحلية المرتبطة بالحياة اليومية رغم ان النادي يشجع على عقد  
اللغاءات بين كبار رؤساء العصبيات والقيادات السياسية والتنفيذية لمناقشة  
المشاكل الملحة للمجتمع المحلى او عمل ندوات فى المناسبات الدينية  
والاجتماعية غير ان هذه اللغاءات تحدث لمها .

وينعكس موقف المجتمع من النادي فى اهماله المتناهى للؤسسة  
ذاتها وللعمادات غير المستحبة والتى تتصل بعدم احترام الناس للنسادى  
فالاسرة فى المجتمع المحلى ترى — من وجهة نظرها — ان النادي لا يساعدها  
فى الحصول على تسهيلات معيشية وهكذا يتعرض المبنى من الخارج ولعب  
الكرة للافاء الغائزوات والقاء القمامة والحجارة وغيرها من النفايات الامر  
الذى يلزم الشباب بتنظيف الملعب والمساحة المحيطة بالمبنى يوميا هذا  
فضلا عن المعاكسات التى يتعرض لها اعضاء فريق النادى من غير الاعضاء  
من يريدون احيانا مرض سيطرتهم على هذه الفرق الرياضية التى تشارك  
فى النشاط لا سيما فرق الاشتغال والاحداث .

ابا المساجد والجمعية الشرعية وغيرها من المؤسسات الدينية فقد

انصحت من أن النادي يمثل اللهو والانغماس في الأمور الدنيوية وأن هذا الوقت المستغرق في الرياضة يمكن استغلاله في النشاط الدينى وحفظ القرآن والدعوة الدينية .

أما المقاهى في المنطقة فيعتقد أصحابها أن لا لزوم للنادى فالمقهى تقوم بوظيفتها خير قيام لجذب الذكور مع توفر التلفزيون والالعاب البسيطة والمرطبات وغيرها من المشروبات داخل المقهى نهارا وليلة . ولا ينتظم مجلس ادارة النادي في الحضور للنادى يوميا بينما يقل تردد الاعضاء في موسم الشتاء نظرا لانشغال الطلاب في الدراسة واستفكار دروسهم .

ولا جدال أن النادي بتركيب مجلس ادارته الحالي منذ تأسيسه سنة ١٩٧٣ قد فشل في جذب الصفوة المتعلمة تعليميا عاليا والشخصيات التي يمكنها أن تخدم المنطقة خدمة مخططة .

غير أن النادي في نهاية الامر هو نادى للذكور فقط وقد انصحت المقالات التي تمت مع انكث من امعاتهم لواقع المجتمع المحلى ووقت الشباب الذكور منهم وقد طالبوا بن يفتح النادي أبوابه لهم فترة الصباح كمخفل للفتيات وكدار حضنة للصغار من أبناء العائلات في المنطقة وهكذا يعكس الصراع في النادي اصداء الصراع في منطقة تقليدية تعرضت لآثار التصنيع والتحضر وبدا معظم الأشخاص ينزحون للمجتمع المحلى ويتجهون للعمل في المؤسسات غير أن التحكيم القبلى لا يزال أهم وسائل الضبط الاجتماعى في المنطقة .

ومازال النادي يعكس اصداء الصراع بين المعصبات من جهة واصداء صراع اطالاب الحيانية الملحة لعشرات الاسر التي تنتمى للطبقة الدنيا الفقيرة والتطلعات المشوية بالقلق لشباب المنطقة ( الذى يشعر بان من حقه أن يشبع حاجته للترفيه كحاجة ملحة تتصل بالمرحلة المعبرية التي يحياها ليحيا حياته دون تطرف او جوح ) من جهة اخرى كما أن الصراع داخل النادي يعكس بدوره صراع ابنية القوة في المجتمع المحلى ويهسد اختلاف الرؤى الاجتماعية والسياسية في مجتمع الاطراف موضوع الدراسة سواء رؤية المؤسسة الدينية أو رؤية المؤسسات الترفيهية القائمة كالمقهى وغيرها أو صوت المصالح الذاتية للصفوة التي تقود العمل الاجتماعى داخل المؤسسة نفسها .

ويعبر النادى فى نهابة المطاف عن مجتمع نوعى يتفرد فيه الذكور بالعمل والشباب احتياجاتهم الاجتماعية . دون الاثاى حيث يحجم دور الانثى تماما فى المجتمع المحلى .

غير ان النادى قد فشل فى نهابة المطاف فى قيادة العمل الاجتماعى فى منطقة تقليدية تعرضت لاثار التصنيع والتحضّر فى احدى احياء المدينة المتروبوليتانية بينما استغرقتة النظرة الرياضية ( الضيقة ) دون أن يهتم بالنظرة ( المتسعة ) التى تهتم بالاشباع الجسدى والنفسى والفعلى للشباب من سكان المنطقة ، كما فشل فى أن يعكس الخصائص الحضريّة على هذا المجتمع التقليدى ليسهل ربطه اجتماعيا وثقافيا مع العاصمة الام التى تضمه وهذه الدراسة تعبر من وجهة نظرنا عن كيفية استخدام المنهج السوسيوانثروبولوجى فى الدراسة العقلية التى شارك فيها الباحث واحد الباحثين الاجانب .

---



## الفصل المائى

### الانثروبولوجيا الراديكالية

#### اولا - الماركسية والانثروبولوجيا :

يرى تيماشيف N. S. Timasheff ان ماركس قد اسهم فى ابراز أهمية النظام الاقتصادى كمحدد لبناء المجتمع وتطوره اذ ان تنظيم الانتاج يشكل التنظيم السياسى والقانونى والدينى والعلمى والاخلاقي للمجتمع ، وانه قد اهتم كذلك بميكانيزمات التغيير الاجتماعى لنسق الانتاج الاقتصادى والطبقى فى المجتمع الانسانى (١) وكما يفكر منه كوزر .

Marx's focus on the process of social change it forms all his writings etc ...

فالناس يطورون قواهم الانتاجية من خلال الكساح المشترك والصراع مع الطبيعة حيث تحدد هذه القوى ظروف الانتاج اى بناء الاشكال الاجتماعية وديناميتها ، وبفضل الماركسية هنا انها لم تحاول النصل بين العوامل المادية والظروف الفكرية خلال العملية الانتاجية كما اوضحت كذلك ان الثراء الفكرى الذى يحققه الفرد يتوقف على مدى ثراء العلاقات الاجتماعية الفعلية ولذا تجنب ماركس تصوير المجتمع - بالنسبة للأفراد - كفكرة مجردة وربما يرجع الفضل لانتجلز Engels كذلك فى ترويج افكار ماركس الاجتماعية .

وتقد تائر البعض بكتابات ماركس ومن بين هؤلاء كارل فوجلجراف Volgraf ( ١٧٩٢ - ١٨٦٣ ) الذى صدر له كتاب بعنوان « محاولة اولية للدفاع العلمى عن الانثروبولوجيا من خلال الانثروبولوجيا » .

وكذلك كوفاليفسكى Kovalevsky الروسى حتى ان الانثوجرافيا فى روسيا قد ظلت لفترة طويلة نسبيا خاضعة لمنهج كوفاليفسكى القائم على استخدام البيئات الانثوجرافية فى الدراسات التاريخية والسوسولوجية للتشريعات الروسية مع التركيز على العناصر المادية فى ثقافة الشعوب المختلفة .

كما تأثر به بوجيسيك Bogisic اليوغوسلافى الذى تتبع النظام الابوى فى المنطقة السلافية الجنوبية ويمكن أن نذكر أيضا أوليبيج ماتديك الذى اهتم بالانثوجرافيا وتساى يان بى Tsei yuan pei الذى كان يشرف على قسم الانثولوجيا التابع لكلية العلوم الاجتماعية بالصين ، وقد اهتم هذا العالم بالدراسات الحقلية مما كان له اكبر الاثر على زملائه وطلابه (٣) .

والواقع ان الرؤية الماركسية للواقع الاجتماعى تتضمن بعض الافتراضات الاساسية عن :

#### ١ — الافراد والانسان الاجتماعى .

##### ب — انظم الاجتماعية المسيطرة .

##### ج — نظام الانتاج والطبقات الاجتماعية .

وترى الماركسية ان الطبيعة الانسانية هى اساسا طبيعة جيدة فانسان ليسوا اشرارا بطبيعتهم ( وهى الحقولة الاساسية فى علم الانسان بصفة عامة والانثروبولوجيا الراديكالية بصفة خاصة ) .

فالمعيوب الاجتماعية كلها ترجع للنظام الاجتماعى الذى توجهه الطبقة المستغلة فيظهر الفقر والبؤس والمشاكل الاجتماعية التى ينبغى البحث عن حلول لها ليس فى الافراد انفسهم بل فى النظام الاجتماعى القائم لا سببا من خلال ازاحة تلك الشريحة التى تعمل على السيطرة على عملية التبادل الاقتصادى بقصد ملكية وسائل الانتاج والحصول على القوة الاجتماعية . ولنزيد من احتمالات الصراع الاجتماعى بين الجاعات المتعاضدة المصالح فى الحياة الاجتماعية (٤) . ويعتقد البعض أن من أبرز المفاهيم التى تأثر بها

علماء الأنثروبولوجيا — كاتعكاس للماركسية — مفهوم ماركس من المجتمعات البدائية حيث تتحدد طبيعة الإنتاج ، أشكال استيعاب الثروة والظروف والأوضاع الاجتماعية في مرحلة تاريخية بعينها لهذا المجتمع وكذلك رؤيته للشكل الاجتماعي أو بمعنى آخر نظريته للتطور الاجتماعي حيث تتشكل العلاقات الإنتاجية بأسلوب الإنتاج الذي يعبر عن مرحلة تاريخية بعينها يعد المجتمع المشاعي البدائي أول التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت في الوجود (٥) .

وقد ظهر في وقت لاحق في الأدبيات المعاصرة ما يعرف بالماركسية الجديدة Neomaxism ومن أقطابها ستانلي دايموند Diamond الذي أصدر دورية بعنوان « الأنثروبولوجيا الديالكتية Dialectical Anthropology ويرى دايموند في أعمال ماركس سواء ما كان واضحاً أو ضليلاً — رؤية صالحة للتحليل الاجتماعي ومصدراً للفكر الأنثروبولوجي الثوري وهكذا يناقش الأنثروبولوجيون الماركسيون غالباً قضايا وموضوعات تتصل بإصلاح الأوضاع في المجتمعات القريبة من خلال المنظور الخاص بالمجتمعات البدائية (٦) .

## ثانياً — الاتجاهات الراديكالية والأنثروبولوجيا :

اتجهت بعض التيارات الفكرية في الغرب إلى المناداة بجمع أحداث تغير اجتماعي متسع Massive social change فالمجتمع والمعلوم الإنسانية بحاجة إلى الأيديولوجيا Ideology ، وكما يذكر لازارسفيلد Lazars وسويل Sewell وويلنسكي Wilensky (٧) .

«They need the fig ideas that move men to act and introduce these social changes etc».

وهكذا بدأ الاهتمام بقضايا خاصة بالتغير في النسق الاجتماعي والبناء الاجتماعي والتي من أبرزها تغير ملكية وسائل الإنتاج «Change in the ownership of the mean of production».

وقد بدأ رايت ميلز Mills وغيره من العلماء يفتحون باب الحوار ويثيرون العديد من القضايا والمسائل التي لم يك أحد يفكر في إثارتها

بهذا الوضوح والمراحة في العرض أو التناول من قبل وبدأ العلماء ينسحبون عن الاهتمام بالأعمال البوتوبية والمنافشات السوفسطائية التي ظلت تشغل وتركز على « المركزية الأنثية » الأذهان في الماضي . وقد انطلقت الاتجاهات الراديكالية بقوة في الولايات المتحدة كاتعكاس للتوتر وللقلق الذي يخيم على المناخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في ستينيات هذا القرن ، وإذا كان طلاب علم الاجتماع قد أصيبوا بخيبة أمل كبيرة حين اكتشفوا أنهم إنما يدرسون قضايا أكاديمية شكلية تؤهلهم لحمل مسئوليات مهنية محددة (٨) فإن طلاب الأنثروبولوجيا بدورهم قد اكتشفوا أن الأنثروبولوجيا التطبيقية كانت مجرد أداة في يد القوى الاستعمارية وسلاح موجه لاستغلال لروات وشعوب الدول الفقيرة بل أن النظرية التطورية والنظريات الانتشارية كانت تفسر في معظم الأحيان لاثبات تفوق الإنسان الأبيض وأظهره في صورة الإنسان العاقل الذي يمثل قمة التطور الانساني حيث تتم عملية التثقف في المقابل من البلدان الغربية الى القبائل والشعوب المنعزلة والفقيرة وكان هذه النظريات لم يقصد بها الا تبرير تفوق الرجل الأبيض وتبرير استعماره لدول العالم الثالث .

وترتبط الرؤية الأمبريالية برفض الاعتراف بما في المجتمعات غير الغربية من معاليلات ، ومن المعروف كما يذكر جورج كتورة أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية قد تطورت بشكل واضح في بريطانيا وهي الامبراطورية الكبرى التي ارتبطت بالسياسة الاستعمارية التوسعية اذ أن المدرسة الوظيفية نفسها ترتبط كذلك بالاستعمار والأنثروبولوجي صاحب هذه التوجهات هو الذي يعمل في حقله وهو الذي يؤلف الصورة الخاصة مستخدما مفاهيمه الخاصة فالباحث والمنظر هنا شخص واحد .

وهو الامر الذي عبر عنه كتورة بقوله :

« باعتبار الاستعمار حقيقة موضوعية لا نظما له بعده التاريخي والايديولوجي أثابت الأنثروبولوجيا الكلاسيكية معه علاقة مزدوجة فالواقع الاستعماري يقدم لها حقلًا تجرب فيه مفاهيمها الخاصة باعتبارها علمًا اجتماعيا ... » (٩) .

### ثالثا — الأنثروبولوجيا الراديكالية :

تهدف الأنثروبولوجيا الراديكالية باصرار لبحث احتياجات البشر وإمكانياتهم الفورية كما تهدف لتكوين الباحث الذى يتخذ موقفا إيديولوجيا محددا — والذى يقف من الظواهر موقفا إيجابيا — بالعمل مع الناس — لتغيير الأوضاع القائمة في ضوء الإمكانيات البيئية والبشرية والثقافية والأخلاقية المحيطة بهم .

ومن أبرز القضايا التى أثارت اهتمام هؤلاء الأنثروبولوجيين مناقشة التباين القائم بين مادية ماركس التاريخية ونظرية المادية الثقافية Cultural materialism التى وضعها الأنثروبولوجى المريكى المصاصر مارفيل هاريس Marvin Harris حيث يتفق الماركسيون المحدثون مع دعاء نظرية المادية الثقافية على أن الظروف والأوضاع المادية للحياة الإنسانية لها أولويتها في ضوء آفئسق الإيكولوجى التى توجد في ظلها هذه الأوضاع والظروف (١٠) .

ولقد قام هرسكوفيتز Herskovits بنقد الرؤى الليبرالية والإمبريالية التى دافعت عنها الأنثروبولوجيا الوظيفية بينما أعلن بعض علماء الأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة موقفا ثوريا تجاه ما أسماه بالمسألة الاستعمارية . وأودعوا سنة ١٩٤٧ المكتب التنفيذي للجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية ( لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ) مشروع إعلان أوضحوا فيه صراحة أنه نظراً للعدد الكبير من المجتمعات الإنسانية التى أدخلت في عالمنا الحديث مرحلة احتكك وثيق ونظراً لتعدد طرق الحياة ، فإن على كل إعلان لاحق لحقوق الإنسان أن يسعى أساسا لحل المشكلة التالية : كيف يمكن تطبيق الإعلان المقترح على الكائنات البشرية كافة ، من غير أن يكون إعلانا للحقوق مصافا بمعارات تصطبغ بسيطرة القيم الغربية السائدة في أوروبا الغربية وأمريكا . ومن المعروف أن هرسكوفيتز قد رفض الأنثروبولوجيا التطبيقية ( البريطانية ) التى يمكن استغلالها من قبل الاستعمار .

ويستحدثنا علماء الأنثروبولوجيا هنا للتكرير على مقولات

الانثروبولوجيا الثقافية المرتبطة بالنسبية الثقافية Cultural relativism (\*\*) وهكذا يقرر عالم الانثروبولوجيا ديلافينيات Delavignette في كتابه « افريقيا السوداء الفرنسية وقدرها » سنة ١٩٦١ ان عملية القضاء على الايديولوجيا الاستعمارية المسيطرة تظهر في علم الانثروبولوجيا بلغة ذات نبرة امبريالية حيث ترد ظاهريا على الاقل الى اصولها لتتحول الى اداة مناهضة للاستعمار ... الخ .

وهنا لا ينبغي أن نفترض بأن الشعوب البسيطة والمنعزلة أو ما برح اصحاب مدرسة التبعية على تسميتها بالمحيط بحاجة الى حماية المركز ( أو الاستعمار ) بل لابد من تقسيم جديد للعمل على المستوى العالى والتخلص من التبعات والروابط الكيفية فالتحلل من الاستعمار على ما يذكر جاك بيرك J. Berque لا يتم الا بتغيير العلاقات الاقتصادية المعالية واستبدال النرجسية الامبريالية بحوار ثقاف فيه المجتمعات والثقافات في موقف الاحترام المتبادل وهى ما اتفق جورج كثورة مع انور عبد الملك في تسميتها بتركيبة النزعة القومية Nationalitarisme ويستشهد سيكوتورى على ذلك بأن الاستعمار الفرنسى في افريقيا قد تزامن مع الدراسات التى قدمها اينى بريل عن العقلية البدائية التى تسفر من منطق الإنسان الافريقى (\*\*).

وقد لفت ايميه سيزار A. Cessaire النظر في مؤلفه عن الاستعمار ١٩٥٦ الى عدم المساواة الاستعمارية كما ذكر « انى اعتقد انه لا يحق لاوروبا المستعمرة أن تبرر لاحقا العمل الاستعماري بحجة تحقيق تقدم مادي واضع في بعض المجالات ابان وجود الاستعمار » . ومن ثم رد بعد ذلك من الاستعمار في افريقيا « الافريقى يطالب الان بالطرق والموانى فهو الذى يريد السير الى الامام والمستعمر هو الذى يريد أن يجره الى الوراء... الخ » .

وقد كشف ليكلرك Lecaerc ان الانثروبولوجيا التطبيقية ومدرسة

---

(\*\*) اذ تركز النسبية الثقافية على ان لكل ثقافة طابعها المميز وبالتالي لا ينبغي أن نفترض أن بعض خصائصها الثقافية بالغة السوء أو أنه من اللازم تغييرها للاحسن .

(\*\*) المؤتمر الثانى للكتاب والفنانيين السود — روما سنة ١٩٦٥ .

التعبية الثقافية لم يتسنى لها أن يقفا وقفة حاسمة ضد الاستعمار إذ أن لغتهم ومواقفهم ظلت تعكس الموقف الغربى ازاء شعوب العالم الثالث .

هذا بينما نادى اصحاب الاتجاهات الراديكالية باعادة تقييم موقف الانثروبولوجيا وتقييم دور عالم الانثروبولوجيا إذ يفترض انصار الاتجاهات الراديكالية أنه مع الاعتراف بالصعوبات التى تواجه الباحث الوطنى فى دراسته لمجتمعه الخاص الا أن الباحث الوطنى هو الذى يدرك بعمق امانى شعبه وتطلعاته وقد ظهرت هنا البيوية الانثروبولوجية حيث حاول كلود ليفى ستراوس جاهدا أن يثرى النظرية الانثروبولوجية وأن ينادى بانثروبولوجية مستقبلية مناهضة للاستعمار تدافع عن هوية العالم الثالث ، لقد رأى ستراوس أن على الباحث أن يبدأ باستخلاص القواعد والقوانين التى تحكم سلوك الأفراد ثم يحاول الكشف من طبيعة العلاقات الاجتماعية وخصائص الثقافة القائمة من خلال التعمق فى تحليل البناء العقلى كما حدد ستراوس ثلاثة أنواع من أنظمة الاتصال بين الأفراد والجماعات وهى **التواصل اللغوى والزواجى والاقتصادى** وبعبارة أخرى فإن الأمل ممتد الآن على الانثروبولوجيا الراديكالية التى تنطلق بدورها من منطلقات نظرية واعية لبناء علم للإنسان قادر على أن يفهم الواقع ويستعد لبناء المستقبل (١١) .

---

## فهرست

ص ٤	اهداء
ص ٥	مقدمة

ص ٧ : ص ٣٨	الباب الاول : علم الانسان ظروف النشأة وفروعه الاساسية
------------	--

ص ٩	الفصل الاول : نشأة علم الانثروبولوجيا
ص ٢٧	الفصل الثاني : علم الانسان وفروعه

ص ٣٩ : ص ٢٤٤	الباب الثاني : مجالات علم الانسان
--------------	-----------------------------------

ص ٤٠	الفصل الثالث : الانثروبولوجيا الثقافية
ص ٦١	مقدمة : مجالات الانثروبولوجيا الاجتماعية
ص ٦٣	الفصل الرابع : الانثروبولوجيا الريفية
ص ٩٥	الفصل الخامس : الانثروبولوجيا الحضرية
ص ١٧٣	الفصل السادس : الانثروبولوجيا الصناعية
ص ١٩٩	الفصل السابع : الانثروبولوجيا الاقتصادية
ص ٢٢٧	الفصل الثامن : الانثروبولوجيا السياسية

ص ٢٤٥ : ص ٢٨٧	الباب الثالث : الاتجاه السوسيوانثروبولوجي
---------------	---

ص ٢٤٧	الفصل التاسع : الاتجاه السوسيوانثروبولوجي المتجه والادوات
ص ٢٨١	الفصل العاشر : الانثروبولوجيا الراديكالية





الناشر  
مكتبة الحرية  
جامعة عين شمس  
١٩٨٨/٣٠٢٧